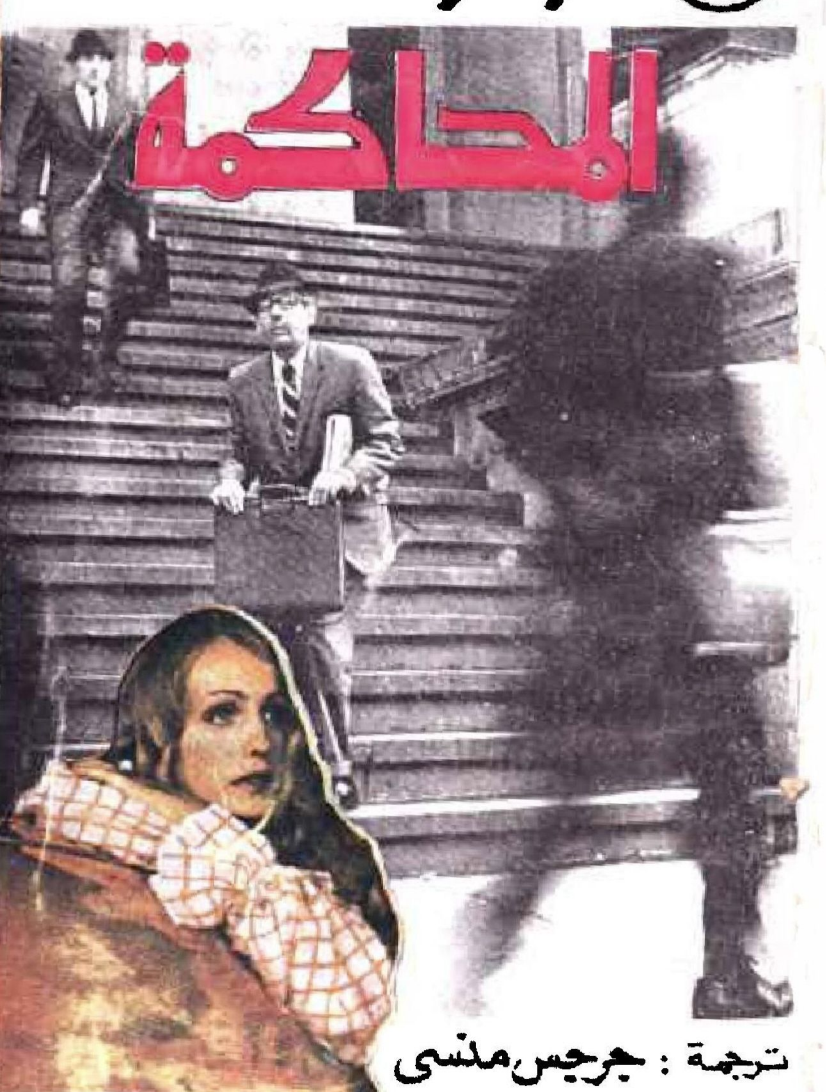
فرانز كافكا



ترجمة : جرجس منسى

فرانز كافكا

المحاكمة

ترجمة : جرجس منسى





لقد اكتسبت « المحاكمة » لكاتبها التشيكى الغامض فرانزكافكا ــ الذى مات بداء الرئة عام ١٩٢٤ ــ مركزا مرموقا فى الادب العالمى ولقد دفعت أعماله العديد من النقاد الى محاولة تفسير آرائه فى الحياة وفى البشر ٠

وفى هذه الرواية يحـاول « كافكا » أن يعرض بعض المعضلات الاساسية التى تزخر بها حياة الانسان ، وهى بمثابة فـانوس سحرى يعرض حياة انسان ناء بثقل الحياة واعبائها . حياة تمر وكأنها فيلم طـويل اختلطت فيه الحقيقة بالخيال ٠

جرجس منسى

الفصل الأول

« رسالة بالقبض على جوزيف ك · »

لابد وان أحدهم افترى الاكاذيب على ك · لانه دون أن يرتكب أى خطأ قبض عليه فى صبيحة يوم مشمس ، ففى ذلك الصباح تخلفت عن الظهور الطباخة التى كانت دائما تأتيه بفطوره فى الساعة الثامنة .

وانتظر ك . فترة اطول وهو يرقب ــ ورأسه على الوسادة ــ السيدة العجوز فى المنزل المقابل والتى بدت وكأنها تحدق فيه بحب استطلاع غير مألوف لم يعهدد حتى بالنسبة اليها · ودق ك · الجرس وقد أحس بالجوع والظمأ ، وفى اللحظة التالية سمع أحدهم يطرق الباب ، ثم دخل الحجرة رجل لم يره فى المنزل من قبل · كان رجلا نحيلا انيقا يرتدى حلة سوداء محكمة كحلة فنان ، وسأله ك · وهو ينهض فى فراشه :

ــ من أنت ؟

لكن الرجل تجاهل السؤال وكأن ظهوره لا يحتاج الى تفسير ثم قال :

ــ هل ضغطت الجرس ؟

ــ انى أنتظر ان تحضر لى آنا فطورى ·

وأخذ ك. يفحص الرجل بتركيز كى يستطيع ان يخمن من يكون ، لكن الرجل لم يمتثل لهذا الفحص طويلا، بل

استدار ليفتح الباب ويتحدث الى شخص بدا واضحا أنه يقف فى الخارج وقال :

ـ انه يقول أن على آنا ان تحضر له فطوره ٠

وسمع ك ٠ ضحكة مجلجلة فى الحجرة الاخرى اجابة على ذلك ، ضحكة لم يستطع أن يحدد ما اذا كان صاحبها رجلا واحدا أم عدة رجال ،ورغم ان الرجل الغريب لم يستشف من الضحكة شيئا أكثر مما كان يعرفه فعلا فقد قال محدثا ك ٠

ـ لا ٠٠ ليس هذا ممكنا ٠

صرخ ك . وهو يقفز من فراشه ويرتدى بنطلون منامته بسرعة :

ـ هـذا نبا جـديد على بالتـاكيد .. يجب ان أرى من يكـون اولئك الذين يجلسون فى الحجـرة المجاورة ، وكيف ستفسر فراو جروباخ ما يحدث .

وفى اللحظة التالية خطر له أنه ما كان ينبغى له أن يتحدث بصوت مرتفع لانه بهذا قد اعترف بأن لهذا الغريب حقا فى التدخل فى افساله ، لكن هذا لم يبد له اهتماما فى تلك اللحظة ، وعلى اية حـال فقد فهم الغريب كلماته على معنى آخر وقال :

ـ اليس الاجدر بك أن تظل هنا ؟ ٠

ـ لن ابقى هنا ، ولن أسمح لك بأن تخاطبنى حتى تعرفنى بنفسك ٠

ـ اننى لم أقصد الا مصلحتك ٠

قال الغريب ذلك وفتح الباب من تلقاء نفسه ، ودخل ك . الحجرة الاخرى ببطء لم يكن يقصده ، وبدا له كل شىء كما تركه فى الليلة السابقة . كانت حجرة معيشة فراو جروباخ ولم يكن قد اعتراها من تغيير سوى وجود رجل يجلس بالقرب من النافذة المفتوحة يقرأ كتابا رفع

عنه وجهه ليقول :

ـ كان يجدر بك ان تبقى فى حجرتك ، الم يقل لك فرانز ذلك ؟

ـ نعم ، نعم ولكن ما الذى تفعلانه هنا ؟

وجه ك . هذا السؤال وهو ينقل بصره بين ذلك الرجل الجديد وفرانز الذى كان لا يزال واقفا الى جوار الباب. ومن خلال النافذة المفتوحة لمح ك . المراة العجوز وقد تحركت فى نافذتها الى موضع يمكنها من رؤية كل ما يجرى .

قال ك . وكأنما ينتزع نفسه من بين الرجلين (رغم وجودهما ، على مبعدة منه) ويتحرك وكأنه سيخرج :

ـ يجدر بى أن اذهب الى فراو جروباخ .

قال الرجل الواقف الى جوار النافذة وهو يطوى الكتاب وينهض ليضعه على المنضدة :

ـ لا ، لن تستطيع الخروج ، فانك مقبوض عليك .

ـ هكذا الامر ! ولكن لماذا ؟

ـ ليس من سلطتنا ان نخبرك بذلك . اذهب الى حجرتك وانتظر هناك ، لقد بدات الاجراءات ضدك وسوف تعرف كل شىء فى الوقت المناسب ، انني أتجاوز التعليمات التى صدرت الى بتحدثى اليك بهذه الصراحة ، ولكنى أرجو الا يكون احد قد سمعنى سوى فرانز الذي عاملك أيضا بحرية أكثر مماتسمح به التعليمات ، واذا استمر حظك حسنا كما هو الحال مع حارسيك فان كل شىء سينتهى على خير .

وشعر ك . ان عليه أن يجلس ولكن لم يكن أمامه سوى المقعد الموضوع بجوار النافذة .

وقال فرانز وهو يتقدم نحوه بالتبادل مع الرجل الاخر ، « سوف تعرف اننا نصدقك القول » . وأخذ

كلاهما يفحص منامته ويقول أن عليه ان يرتدى ملابس أقل اناقة من الان فصاعدا ، وانهما يأخذان ثيابه ليحتفظا بها ، فاذا ظهرت براءته أعاداها اليه فيما بعد ، واختتما حديثهما قائلين :

ـ الافضل أن تعطينا هذه الاشياء بدلا من تسليمها فى مخزن السجن حيث تتفشى السرقة، ولانهم هناك يبيعون كل شىء بعد فترة من الوقت سواء صدر حكم فى قضيتك ام لا ، خاصة فى هذه الايام حيث لا يعرف المرء مطلقا المدة التى تستغرقها اية قضية . انك بالطبع ستحصل على الثمن من المخزن على المدى الطويل ، لكنهم سيدفعون لك ابخس الاسعار لانهم سيبيعون اشياءك لمن يدفع لهم الرشوه ، وليس لمن يدفع أعلى الاسعار، ثم انه من المعروف أن النقود تتناقص بعد أن تتبادلها اكثر من يد واحدة . ولم يكن ك . ليعير انتباهه لهذه النصيحة لانه لم يكن يهتم بكيفية التصرف فى حاجياته. فقد كان أهم شىء عنده الان هو أن يفهم موقفه بوضوح ، لكنه فى وجود هؤلاء الناس الى جواره لم يكن يستطيع التفكير.. من هم هؤلاء الرجال ؟ ما الذى يتحدثون عنه ؟ وما هى السلطة التى يمثلونها ، ان ك . يعيش فى بلاد لها دستور شرعى ، بلاد يسود فيها السلام وتنفذ فيها القوانين ، فمن الذى يجرؤ على القبض عليه فى مسكنه .. ؟ انه رجل يميل لان يأخذ الامور ببساطة وان يعترف بالاسوأ عندما يقع الاسوأ فعلا .. رجل لايهتم بالغد حتى لو كان الغد مغلفا بالتهديد . ثم خطر له أن هذه السياسة لا تنفعه الان ، وان المرء يستطيع أن ينظر الى الامر كله على انه نكتة سخيفة افتعلها زملاؤه من رجال البنك لسبب غير معلوم ، ربما لان هذا هو يوم عيد ميلاده الثلاثين .. هذا محتمل بالطبع ، ولعله يستطيع

الان أن يضحك فى وجوه هؤلاء الرجال وكأنه يعلم كل شىء ، وربما استطاعوا هم أيضا ان يضحكوا فى وجهه ، وربما كانوا مجرد حمالين من على ناصية الشارع فانهم أقرب شبها بذلك. ورغم هذا فان اول نظرة له تجاه فرانز جعلته يقرر الا يضيع اية ميزة يعلوبها عن هؤلاء الناس. وخطر له أن هناك مجازفة فى ان يقول اصدقاؤه فيما بعد انه لم يتحمل دعابة كهذه، لكنه تذكر أيضا عدة مناسبات تصرف فيها باهمال وضد نصيحة اصدقائه فدفع ثمنا غاليا لذلك ، لكن ذلك يجب أن لا يحدث مرة أخرى ، لا ، ليس هذه المرة ، واذا كانت هذه مهزلة فسوف يلعب دوره فيها حتى النهاية .

واستأذنهما فى أن يذهب الى حجرته ، وفتح درج مكتبه ليبحث عن بطاقته الشخصية ، لكنه لفرط اضطرابه لم يجدها ، رغم أن كل شىء كان فى موضعه تماما ، وفى النهاية وجد تصريح قيادة دراجته ، وهم بالعودة فى اللحظة التى فكر فيها انها شىء تافه ، واعاد البحث ثانية حتى وجد شهادة ميلاده . وحين بدأ فى العودة الى الحجرة الاخرى فتح الباب المواجه له ليرى فراوجروباخ أمامه ، لكنه لم يكد يلمحها حتى بدت وقد غلبها الحرج واعتذرت عن تطفلها لتختفى مرة أخرى خلف الباب . وكاد ك . ان يقول لها ان تدخل لكنه وقف فى وسط الحجرة والاوراق فى يده، ولم ينتبه من تطلعه الى الباب الا حين سمع أحد الحارسين يصرخ فيه، وحين استدار وجده يلتهم الفطور الخاص به شخصيا وسأل :

ـ لماذا لم تدخل فراو جروباخ ؟

أجابه أحدهما :ـ ليس مسموحا لها بذلك لانك مقبوض عليك .

ـ لكن كيف يقبض على ؟ وخاصة بهذا الاسلوب الذى

يدعو للسخرية ؟

قال الحارس وهو يضع بعض الزبد والمربى فوق قطعة خبز :

ـ ها أنت تعود لذلك مرة أخرى اننا لا نجيب على مثل هذه الاسئلة ٠

ـ لكن عليك الان أن تجيبنى ، فها هى اوراقى ٠ ارنى ما يدل على هويتكم وأول كل شىء اريد أن ارى الامر بالقبض على ٠

ـ اوه ٠٠ بالله ـ لو انك فقط ادركت موقفك ولم تصر على ازعاجنا نحن الذين نحرص على مصلحتك أكثر من أى شخص اخر فى هذه الدنيا ٠

ـ ها هى أوراقى الشخصية ٠

ـ وما الذى يهمنا من أوراقك ؟ انك تتصرف اسوأ من طفل ، ما الذى تهدف اليه ؟ هل تعتقد انك تعجل بانتهاء قضيتك اذا تشاحنت معنا بخصوص أوراقك وامر القبض عليك ؟ لسنا الا موظفين صغيرين لا نكاد نعرف قراءة وثيقة قانونية ، وليس لنا شأن بقضيتك سوى أن نحرسك لمدة عشر ساعات فى اليوم ونحصل على اجرنا بعد ذلك ، لكننا نعرف ان السلطات العليا التى نخدمها لابد أن يكون لديها بيانات كافية عن أسباب الاعتقال وشخصية السجين قبل أن تأمرنا بالقبض عليك ٠ ليس هناك من خطأ فى ذلك ، فرؤساؤنا كما اعرف عنهم ـ وانا لا اعرف منهم سوى ادنى المستويات ـ لا يخرجون لاصطياد الجرائم بين الشعب ، لكنهم ـ كما ينص القانون ـ يشعرون بشىء يجذبهم نحو المجرمين فيرسلونا نحن الحراس للقبض عليهم . هذا هو القانون فكيف يمكن أن يكون هنـــاك خطأ فيما يفعله ؟

ـ انذى لا أعرف هذا القانون ٠

ـ هذا مما يزيد موقفك سوءا .

قال ك . وهو يحاول ان يكتشف ما يدور فى عقل الحارس :

ـ ربما لا يكون لهذا القانون وجود الا فى رأسك .

لكن الحارس قال فى صوت فاتر يثبط الهمة : ـ

ـ سوف تضطر لمواجهة هذا القانون سريعا .

وقاطع فرانز زميله قائلا :

ـ اسمع يا ويلم ، انه يعترف بعدم معرفته بالقانون ومع ذلك فهو يدعى البراءة .

ـ انك على حق فى ذلك ، لكنك لن تستطيع ان تحمل مثل هؤلاء الناس على معرفة الصواب .. ولم يجب ك. على تعليقاتهم ولكنه كان يفكر فى نفسه « هل أترك هذين المأجورين يفقدانى صوابى ، انهما يعترفان بأنهما مأجوران ، وهما يتحدثان عن أشياء لايفهمانها ، ولا يعطيهما هذا الاحساس بالثقة سوى غباء مطلق ، والحديث مع شخص على نفس مستوى ذكائى خير من التحدث ساعات بطولها مع هؤلاء الشخصين » .

وأخذ ك . يذرع الحجرة جيئة وذهابا بضع مرات ، وفى الناحية الاخرى من الشارع استطاع ان يرى المرأة العجوز وقد وقف الى جوارها فى النافذة رجل أكبر منها سنا أحاطت خصره بذراعها . وأحس ك . أنه لابد له أن يضع حدا لهذه المهزلة فقال :

ـ فلنذهب الى الضابط الذى أصدر لكما الامر .

غمغم الحارس الذى يدعى ويلم قائلا :

ـ ليس قبل أن يسمح هو بذلك ، وأنصحك الان بالعودة الى حجرتك والبقاء هناك فى هدوء لتنظر ما يستقر بشأنك ، وننصحك بالا تسمح لوساوسك بأن تتغلب عليك .

بل عليك أن تستجمع شجاعتك لانك ستكون مطالبا بالرد على أشياء كثيرة ، ثم تذكر أنك لم تعاملنا بالمعاملة الحسنة التى نستحقها ، بل نسيت أننا رجال أحرار بالنسبة لك وهذه ليست بالميزة التافهة ، وعلى اية حال فاننا مستعدان اذا كان لديك ما يكفى من المال ان نبتاع لك فطورا من المطعم القريب ٠

وظل ك٠ واقفا دون حراك لايجد جوابا ، بل أخذ يفكر فى أنه لو فتح باب الحجرة المجاورة المؤدى الى البهو فان ايا منهما لن يجرؤ على منعه ، وربما كان هذا أكثر الحلول بساطة لحل المشكلة برمتها ، ولكن ربما أمسكا به ، فاذا حدث ذلك فقد تنهار كبرياؤه وعلو شأنه بالنسبة لهما ٠ ومن ثم فانه بدلا من هذا الحل السريع فقد اختار الطريق الطبيعى الاكيد الذى يجب ان تسير فيه الامور وعاد الى حجرته مرة اخرى دون أن يهمس ببنت شفه ولم يتكلم الحارسان بدورهما ٠

القى ك٠ بنفسه على الفراش ثم تناول تفاحة كان قد وضعها على المنضدة فى الليلة السابقة ٠ كانت هذه التفاحة هى كل ما يستطيع أن يفطر به ، ولكنها على أية حال أفضل بالتأكيد من أى فطور كان يمكن ان يحضره له الحارسان من المطعم ٠

واجتاحه شعور بالثقة والتفاؤل ، ورغم معرفته أنه لن يلحق بعمله فى البنك هذا الصباح ، فانه لم يكن يهتم لان ذلك يمكن اغفاله نظرا لمركزه المرموق فى البنك ٠ هل يخبرهم فى البنك بالسبب الحقيقى لغيابه ؟ فاذا لم يصدقوه — وهذا محتمل — فانه يستطيع أن يستشهد بفراو وجروباخ ، او بهذين المخلوقين اللذين يتطلعان اليه من نافذة المنزل المقابل .

وشعر ك ٠ بالدهشة وهو يتأمل مغزى ان يرسله

الحارسان الى حجرته ويتركانه بمفرده هناك حيث تتاح له آلاف الفرص للهرب بحياته ، ولكنه أيضا أخذ يتأمل فى موقفه هو ، هل يهرب لان حارسين يجلسان فى الحجرة المجاورة منعاه من تناول فطوره ؟ ان هربه سيكون عملا أخرق لا حكمة فيه ، ولن يستطيع الاقدام عليه حتى لو اراد. واذا لم يكن افتقار الحارسين الى الذكاء واضحا لظن أنهما لم يجدا اى خطر فى تركه وحيدا • وقد كانت لهما حرية مطلقة فى مراقبته وهو يتجــه نحو دولاب الحائط ليخرج زجاجة خمر فاخرة يفرغ بعضـــها فى كأس يعوض به عدم تناوله فطوره ، ثم تناول كأسا آخر يعطيه بعض الشجاعة ، وفجأة سمع صيحة عالية من الحجرة المجاورة ، صيحة جعلته يجفــل بقــوة حتى اصطكت اسنانه بزجاج الكأس ، صيحة قصيرة عسكرية لم يكن يتخيل أنها تصدر من فرانز ، صيحة تقول :

ـ ان المفتش يطلبك •

كان ك • فى أشد الحاجة الى هذه الكلمات ومن ثم أجاب صائحا يرد عليها وهو يغلق الدولاب ويهرع الى الحجرة المجاورة :

ـ أخيرا •

وفى الحجرة رأى الحارسين وقد وقفا الى جوار النافذة ، لكنهما ما أن شاهداه حتى هرعا اليه وعادا به الى حجرته واحدهما يصيح قائلا :

ـ هل تعتقد انه يمكنك الظهور أمام المفتش بقميصك فقط ؟ هل تريد أن تنال ما لا يرضيك ونحن معك ؟

ـ دعونى وشأنى عليكما اللعنة ، هل تتوقعان أن أكون مرتديا كامل ملابسى وقد امسكتما بى فى الفراش ؟

أجابه الحارسان فى صوت رفيق كانا يستخدمانه كلما صاح ك • فيهما ، مما يجعله يحس بالارتباك ويعيده الى

صوابه :

ـ لكن هذا لن يساعدك فى شىء ٠

زمجر ك ٠ قائلا :

ـ يا لها من اجراءات رسمية سخيفة

لكنه تناول معطفا من فوق ظهر مقعد ورفعه أمام عينيهما وكأنه يحصل على موافقتهما عليه . وهز الحارس فرانز رأسه نفيا وقال :

ـ يجب أن ترتدى حلة سوداء ٠

ومن ثم فقد ألقى ك ٠ بالمعطف على الارض وقال دون أن يعى ما يقول :

ـ لكن التهمة ليست من النوع الذى يحكم فيها بالاعدام ٠

وابتسم الحارسان واصرا على أن تكون حلة سوداء فقال ك ٠

ـ اذا كان هذا يساعد على الانتهاء من القضية بسرعة أكثر فلن يضيرنى ذلك

وفتح دولاب ملابسه وبحث فترة بين ثيابه العديدة الى أن اختار افضل حلة سوداء كانت موضع اعجاب اصدقائه ،وفى قرارة نفسه كان ك ٠ يعتقد انه قد اتخذ خطوة يسرع بها الى الانتهاء من قضيته لان الحارسين قد نسيا انه لم ياخذ دشا ٠ لكن ويلم لم ينس أن يرسل فرانز ليخبر المفتش ان ك ٠ يرتدى ملابسه ٠

وبعد ان انتهى من ذلك كله كان عليه أن يسير ويلم فى اعقابه خلال الحجرة التى لم يكن بها أحد الان الى الحجرة الاخرى التى فتح باباها على مصراعيهما . كانت هذه الحجرة كما كان له ٠ يعرف تشغلها فراولين بورستنر ، وهى تايبست تخرج الى عملها مبكرا جدا وتعود فى وقت متاخر مما لم يمكن ك ٠ من مبادلتها سوى بضع كلمات

اثناء لقاء عابر · وها هو ك · الان يشاهد منضدتها وقد دفعت الى منتصف الحجرة كى تستخدم مكتبا يجلس اليه المفتش ويعتمد عليه باحدى ذراعيه ·

وفى أحد اركان الحجرة كان هناك ثلاثة شبان وقفوا يستعرضون صور فراولين بورستنر المعلقة على الحائط · وفى النافذة المقابلة لم يشاهد ك · العجوزين فحسب ، بل أن رجلا آخر انضم اليهما وهم يحاولون أن يشرئبوا بأعناقهم ليروا ما يجرى فى الحجرة .

وقال المفتش وكأنه ينتزع ك · من افكاره المشتتة :

ـ هل أنت جوزيف ك · ؟ ·· حسنا ، ربما تكون الدهشة قد تملكتك من أحداث هذا الصباح · أليس كذلك ؟

أجاب ك. وقد ملاه السرور اذ يقابل آخر الامر رجلا عاقلا يستطيع أن يناقش الامر معه :

ـ بالتأكيد · نعم اننى دهش بالتأكيد لكننى لست دهشا جدا ·

ـ لست دهشا جدا ؟

اضاف ك· بسرعة وهو يتلفتحوله ليجلسعلى احد المقاعد :

ـ اقصد ·· هل استطيع أن أجلس ؟

ـ ليس جلوسك شيئا مألوفا ·

ـ أقصد أننى مندهش جدا بالطبع ، لكن حين يكون المرء فى مثل سنى، أقصد فى الثلاثين يشق طريقه فى الحياة كما كان على أن أفعل ، فان المرء يصبح أكثر صلابة فى مواجهة المفاجآت ، ولا يعود يأخذها مأخذ الجد ، وخاصة مفاجأة كمفاجأة هذا الصباح ·

ـ ولماذا مفاجأة هذا الصباح بالذات ؟

ـ اننى لا أقول أن الامر مجرد فكاهة فان الاستعدادات

التى تمت لا توحى بذلك ، فان كل من يعيشون فى هذا البنسيون يبدو انهم مشتركون ، وانتم أيضا معهم ، ولا يوحى ذلك بالفكاهة ٠

قال المفتش وهو يعبث بالاشياء الموضوعة على المنضدة :

ـ هذا صحيح ٠

استطرد ك ٠ يحدث المفتش ملتفتا الى الرجال ليشركهم فى الحديث :

ـ لكن من الناحية الاخرى ، فان الامر لا يمكن أن تكون له أهمية كبيرة أيضا ، فرغم انه يبدو اننى متهم بشىء ما فاننى لا أتذكر اننى ارتكبت آية مخالفة ولو ضئيلة ـ ولكن هذا قليل الاهمية فلابد أن أعرف أيضا من الذى يوجه الى اتهاما ؟ ما هى السلطة التى توجه هذه الاجراءات ؟ هل انتم ضباط ؟ انكم لاترتدون الزى الرسمى . الا اذا اعتبرتم ان ثيابكم هذه رسمية ، لكنها تشبه ملابس السياح أكثر من أى شىء آخر ٠ اننى أطلب اجابة كاملة على هذه الاسئلة ، وأشعر بثقة أننا سنفترق أصدقاء بعد أن تقدموا لى تفسيرا ٠

ـ انك تعيش فى وهم كبير ، ان هؤلاء الرجال مثلى ليس لهم علاقة بقضيتك ولا نكاد نعرف شيئا عنها ، اننا نستطيع أن نرتدى زيا رسميا لكن هذا لن يفيدك بشىء ، ثم اننى لست واثقا من أن تهمة ما موجهة اليك ٠ كل ما أعرفه هو انك مقبوض عليك ، ربما كان الحارسان قد أعطياك انطباعا مختلفا لكنهما ليس الا ثرثارين ٠ فاذا لم أكن فى وضع يسمح لى بالاجابة على اسئلتك ، فاننى على الاقل أستطيع أن اسدى اليك نصيحة ،وهى أن تحد من تفكيرك فينا وفيما سيحدث لك ، وأن تركز تفكيرك فى نفسك بدلا من ذلك ، وهناك شىء

آخر وهو الا ترفع عقيرتك بالصياح بأنك تشعر بالبراءة فان هذا يفسد الانطباعات الحسنة التى تثيرها فى مجالات أخرى وعليك أن تلزم الصمت لان ذلك أكثر فائدة ٠

أخذ ك ٠ يحدق فى المفتش وهو يتساءل عما اذا كان عليه أن يتلقى دروسا فى السلوك من رجل ربما يكون أصغر منه سنا ؟ وهل عليه الا يتساءل أو يستعلم عن سبب القبض عليه ؟

وبدا ك ٠ يشعر بالاضطراب ، فأخذ يسير فى الحجرة جيئة وذهابا دون أن يعترضه أحد، ثم أمسك ياقة قميصه ومسح على شعره ، ثم سمع وهو يمر الى جوار الشبان الثلاثة أحدهم يقول « ان هذا لغو فارغ » وبدا ثلاثتهم يوجهون اليه نظرات مليئة بالشفقة والاحترام ٠ وتوقف ك ٠ أخيرا أمام المفتش وقال :

ـ ان المحامى هاسترر صديق شخصى لى فهل يمكننى أن أتحدث اليه بالتليفون ؟ ٠

ـ بالتأكيد لكننى لا أرى أية فائدة فى ذلك الا اذا كنت تريد أن تستشيره فى أمر شخصى بحت

وصاح ك ٠ وهو يشعر بالدهشة أكثر مما يشعر بالضيق :

ـ لا ترى أية فائدة فى التحدث اليه ! أى نوع من الرجال أنت اذن ؟ ٠٠ انك تطلب الى أن أكون متعقلا ، ثم تتفوه بأكثر الاشياء مجافاة للعقل ٠ ان ذلك كاف لان يدفعنى الى الجنون ٠٠ فها هم رجالك يدخلون على فى منزلى ويقلبون الحجرة رأسا على عقب ويتركوننى أضرب أخماسا فى اسداس اريد أعرف سبب ذلك ، وها أنت تتساءل عن الحكمة فى أن أتصل بمحام فى حين أننى مقبوض على ، حسنا لن أتحدث اليه بالتليفون ٠

قال المفتش وهو يشير الى البهو الداخلى حيث يوجد التليفون :

ـ لك أن تتكلم لو أردت ·· أرجوك أن تتكلم فى التليفون ·

ـ لا ، لا أريد أن أفعل ذلك ·

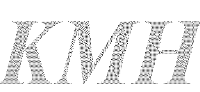
وتحرك ك · الى النافذة ليرى أن المجموعة التى تراقب ما يحدث من شرفة المنزل المقابل ما زالت هناك ، يتمتع افرادها بمشاهدة ما يجرى · وكان ظهور ك · أمامهم بمثابة رادع لكن العجوزين تحركا وكأنهما سينهضان ، لكن الرجل القابع خلفهما استبقاهما ؛ فصاح ك · يتحدث الى المفتش وهو يشير اليهم :

ـ ها هى مجموعة رائعة من المتفرجين ·· اذهبوا بعيدا ، عليكم اللعنة ·

وتحرك العجوزان ليختفيا خلف الرجل الطويل الذى بدا من حركة شفتيه وكأنه يقول شيئا ، لكنهما على آية حال لم يختفيا تماما ، وبدوا وكأنهم ينتظرون فرصة للعودة الى النافذة دون أن يلحظهم أحد ·

واستدار ك · الى داخل الحجرة وقد بدا عليه الامتعاض ، وبدا له أن المفتش يشاركه ضيقه ، لكن المفتش كان يتأمل طول أصابعه وكأنه يقارن بينها ، أما الحارسان فقد جلسا يحدقان فى لا شىء ، أما بالنسبة للشبان الثلاثة فلم تكن نظراتهم تعبر عن شىء · كانت الحجرة تبدو وكأنها مكتب مهجور ·

وصاح ك · قائلا : ـ اسمعوا أيها السادة ، يبدو من نظراتكم أن قضيتى قد استقر أمرها ، وفى رأيى ان أفضل شىء نفعله هو الا نفكر فى عدالة أوعدم عدالة مسلككم ، بل علينا أن ننهى الامر بأن يشد احدنا على يد الاخر ، فاذا كنتم من نفس الرأى ··



قطع ك • جملته وخطا نحو المفتش مادا يده الى الامام،لكن هذا رفع اليه عينيه وعض على شفتيه واخذ ينظر الى يد ك • الممتدة نحوه ، وبدلا من أن يصافح ك • تناول قبعة من على فراش فراولين بوستنر ووضعها على راسه بعناية وكأنه يجربها لاول مرة وهو يقول مخاطبا ك • :

ــ هل تعتقد ان الامر يبدو بسيطا بهذا الشكل ، هل تظن انه يجب علينا أن ننهي الامر في جو من المودة ؟ لا ، ليس فى مقدورنا ذلك، لكننى من ناحيه اخرى لا ادعوك لان تفقد الامل • ولماذا تفقده ؟ ليس هناك ما يضيرك الا انك مقبوض عليك ، لقد طلب الى أن احيطك علما بذلك ، وها قد فعلت ، وراقبت أيضا ردود الفعل لديك ، ان فى هذا الكفاية اليوم ونستطيع ان نفترق فى الوقت الحالى على الاقل ، اعتقد انك ستذهب الى البنك الان ، اليس كذلك ؟

ــ اذهب الى البنك ؟ لقد ظننت اننى مقبوض على •

قال ك • ذلك وهو يشعر بكبريائه تعود اليه ، ورغم ان المفتش تجاهل يده الممدوده فقد أحس بأنه مستقل عن هؤلاء الناس . بل ها هو يلعب معهم ، وطرأت له فكرة أن يعدو وراءهم الى الباب الخارجى يتحداهم ان ياخذوه سجينا ومن ثم فقد قال :

ــ كيف يمكننى ان أذهب الى البنك وانا معتقل ؟

قال المفتش ولم يكد يصل الى الباب .

ــ ها أنت قد أسأت فهمى، انك بالتأكيد مقبوض عليك، لكن هذا لا يمنعك من ان تعيش حياتك العاديه •

ــ اذن فكون المرء معتقلا ليس بالامر السىء كما يشاع

ــ اننى لم اقل مطلقا انه سىء .

ــ لكنه فى هذه الحالة لم تكن هناك ضرورة ملحة لان تخبرنى ٠

قال ذلك وهو يقترب من المفتش بينما الاخرون يقتربون كذلك حتى أصبح الجميع يقفون فى شبه دائرة وقال المفتش :

ــ انه واجبى رغم انه واجب سخيف ، لكننا لا يجب أن نضيع وقتا فى مثل هذا النقاش ، لقد كنت أقول اننى أخمن أنك سوف تذهب الى البنك ، ولكى اسهل عليك ذلك فلقد احتفظت بهؤلاء السادة الثلاث وهم زملاؤك فى البنك كى يكونوا رهن أشارتك .

ونظر ك ٠ الى الشبان الثلاثة بعين يملؤها الفزع ، فقد كان هؤلاء الشبان الذين لم يثيروا عنده أى اهتمام والذين لم يلحظهم ك ٠ الا على أنهم مجموعة تشاهد صور فراولين بورستنر ، كانوا حقا كتبة فى البنك ٠ لم يكونوا حقا زملاءه ، لكن ذلك لم يغير من كونهم موظفين مساعدين فى البنك ٠ كيف غاب عن ك ٠ ان يلحظ ذلك ؟ لابد وأنه انشغل بالمفتش والحارسين عن ملاحظة هؤلاء الشبان ٠ ها هو رابنشينز المتصلف يهز ذراعيه ثم ها هو كوليش ذو العينين العميقتين، وأخيرا ها هوكامينر الذى لا تفارق الابتسامة شفتيه ، ابتسامة تعود الى عيب عضلى وليس الى احساسه بالسرور ٠

قال ك ٠ وهو يمد يده لثلاثتهم وقد انحنوا لتحيته :

ــ صباح الخير ، اننى لم الحظكم لكننا سنذهب جميعا الى العمل الان ، أليس كذلك ؟

واومأ الشبان وهم يبتسمون فى حماس ، وكأنهم كانوا ينتظرون ذلك فى لهفة ، وأسرع أحدهم باحضار قبعته ، وحين هموا بالخروج ظهرت فراوجروباخ التى لم يبد عليها أى احساس بالجرم لتفتح لهم الباب الخارجى ،

وحدق ك• فى مريلتها كما كان يفعل كل يوم ، وحين أصبح خارج المنزل نظر الى ساعته وقرر أن يستقل مع رفاقه سيارة أجرة حتى لا يضيع مزيدا من الوقت ، خاصة وانه قد تأخر نصف ساعة بالفعل •

وجرى كامينز الى ناصية الشارع ليستدعى السيارة، بينمـــا أخذ رفيقـــاه فى التسرية عن ك. بـــكل ما فى وسعهما ، لكن كوليش أشار فجأة الى باب المنزل المواجه حيث كان الرجل الطويل ذو اللحية يخرج الى الشارع وقد بدا عليه الحرج • وشعر ك • بالضيق لان كوليش وجه انتباهه للرجل الذى تعرف عليه بالفعل والذى كان يتوقع أن يراه ، ودون أن يلحظ طريقته فى الحديث قال

ـ لا تنظر عبر الشارع •

لكنه لم يكن فى حاجة الى ذلك فقد وصلت سيارة الاجرة ليستقلها الجميع وتتحرك بهم ، وتذكر ك • انه لم يشاهد المفتش والحارسين يخرجون من المنزل ، فان المفتش استحوذ على اهتمام ك. فلم يلحظ الكتبة الثلاثة واستحوذ الكتبة بدورهم على انتباه ك • فنسى المفتش • أن ذلك لا يدل على يقظة منه أو حضور ذهن ، وصمم على أن يكون أكثر دقة فى هذا الشأن • لكنه رغم ذلك استدار فى السيارة ليلقى نظرة اخيرة ، فربما استطاع أن يرى المفتش والحارسين ، لكنه عاد فاستدار مرة أخرى ومال الى الخلف دون أن يحاول التعرف على أى منهم • ورغم أنه فى هذه اللحظات كان يرحب بتبادل الحديث مع رفاقه لكن التعب ظهر عليه فجأة ، وأخذ رابنشينر يحدق الى اليمين وكوليش الى اليسار ولم يواجهه سوى كامينر بابتسامته العصبية والتى ـــ لاسباب انسانية ـــ لاتصلح أن تكون موضعا للنقاش •

الفصل الثانى

(حديث مع فراو جروباخ وفراولين بورستنر)

كان جوزيف ك٠ قد اعتاد طوال ذلك الربيع أن يقضى أمسياته بالطريقة التالية : بعد ان يفرغ من عمله فى مكتبه ، وكان ذلك عادة فى الساعة التاسعة ، فانه يسير قليلا بمفرده او مع أحد زملائه ، ثم يذهب الى صالة لشرب البيرة ، حيث يجلس الى مائدة ينضم اليه فيها عادة بعض المتقدمين فى السن ، وفى بعض الحالات كان هناك استثناء من هذا الروتين حين يذهب ك ٠ مع مدير البنك ليتناول العشاء معه فى منزله ، ذلك ان المدير كان يقدر ك ٠ لمهارته ونشاطه فى عمله ٠ ومرة كل اسبوع كان ك ٠ يزور فتاة تدعى الزا وهى جرسونة تعمل طوال الليل فى أحد الكباريهات وتستقبل زوارها أثناء النهار فى الفراش ٠ لكنه فى هذا المساء ــ وقد انتهى النهار بسرعة ، نهار امتلا بالعمل العاجل والمجاملات ــ قرر ك ٠ ان يعود مباشرة الى المنزل وكان يردد هذا القرار بينه وبين نفسه كلما فرغ من عمله بضع دقائق ، وكان يحس فى قرارة نفسه أن منزل فراو جروباخ باكمله قد انقلب راسا على عقب بعد أحداث الصباح ، وأن من واجبه أن يعيد كل شىء الى نصابه ، فانه بعد أن يستتب النظام وتزول جميع آثار ما حدث فان كل شىء يعود الى سابق عهده ٠ ولم يكن الكتبة الثلاثة مصدر ازعاج له فقد انشغلوا مرة أخرى فى زحمة عمل البنك الصاخب ولم يلحظ ك ٠ عليهم أى

تغيير ، وزيادة فى الحيطة استدعاهم ك • عدة مرات على انفراد وكجماعة الى حجرته وليس له من عرض سوى أن يرقبهم ، وفى كل مرة كان يصرفهم وقد ارتاح باله من ناحيتهم •

وحين وصل ك • الى المنزل فى الساعة التاسعة والنصف وجد صبيا يقف الى جوار الباب الخارجى وقد ابعد ما بين ساقيه ووضع غليونا فى فمه ، وحين سأله ك • عمن يكون ، أجاب هذا وهو يخرج الغليون من فمه ويتحرك قليلا ليفسح الطريق :

ــ أنا ابن البــواب يا سيدى ، هل تريد أى شىء يا سيدى ؟ هل تريد أن استدعى أبى ؟

لكن ك • أجابه بالنفى ، واستأنف سيره الى الداخل بعد أن استدار ليلقى على الصبى نظرة أخيرة •

كان ك • ينوى أن يتجه الى حجرته مباشرة لكنه وقد أراد أن يتحدث الى فراو جروباخ فقد توقف أمام بابها وطرقه . كانت ترتق بعض الجوارب وقد جلست الى المنضدة فاعتذر ك. وهو يشعر بالحرج عن رغبته فى أن يحدثها فى وقت متأخر كهذا ، لكن فراو جروباخ أظهرت حفاوة بالغةبه ولمتسمح لهبالاستمرار فى الاعتذار، لان رؤيته كانت مبعث سرور لها • وكان هو من ناحيته يعرف جيدا انها تعتبره افضل عملائها ، وحين جال ك • ببصره فى الحجرة وجدها قد استعادت حالتها الاولى تماما ، فنظر الى فراو جروباخ نظرة شكر وعرفان وقال يسألها :

ــ لماذا لم تنامى حتى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

ــ هناك الكثير مما يجب على أن أقوم به ، فاننى اكرس النهار بطوله لخدمة نزلائى ، أما الاعمال الخاصة بى فاننى أؤجلها للمساء

ــ أخشى أننى كنت مسئولا عن اضافة مزيد من الاعباء

الى عملك اليوم ٠

ـ وكيف ذلك ؟

ـ أقصد ماسببه مجيء هؤلاء الرجال من اضطراب ٠

ـ أوه ٠٠ لا ٠٠ أن ذلك لم يضف للعمل كثيرا ٠

ونظر ك ٠ اليها في صمت بينما أستأنفت هى رتق الجوارب وقال ك ٠ لنفسه « انها تبدو دهشة لانني أشرت الى ماحدث وهى تظن أنه يجدر بى ألا أذكره » ثم قال أخيرا :

ـ لقد أستنفد ذلك منك طاقة أكبر بالتأكيد ، لكن هذا لن يتكرر ثانية ٠

أجابت فراو جروباخ وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة أسف :

ـ لا .. لايمكن أن يتكرر هذا ثانية ، وليس عليك أيضا أن تأخذ الامر بجدية أكثر من اللازم ، أن عديدا من الاشياء ٠٠ تحدث فى هذا العالم ، وطالما قد تحدثت الى بصراحة ياهر ك ، فلن أخفى عنك أننى كنت أنصت قليلا من وراء الباب ، وسمعت بعض الاشياء الاخرى من الحارسين ، وأؤكد لك أن هذه الاشياء لم تكن سيئة ٠ نعم انهم قد قبضوا عليك ولكن ليس كما يقبضون على لص أو سارق ، ان اللص الذى يقبض عليه يصبح فى حالة لا يحسد عليها ، أما القبض عليك أنت فيعطينى احساسا بشيء فيه ثقافة وغموض لا أفهمه وليست بى حاجة الى فهمه أيضا ٠

ـ ان ما قلته الان يافراو جروباخ لا يتسم بالغباء على الاطلاق ، فانني أشاركك رأيك فيما عدا اننى لا أعتبر اتهامى بأى جرم لا يتسم فقط بالغموض ولكنه أيضا مجرد لغو ملفق ، ولقد أخذتنى الدهشة فى الصباح فلم اتصرف بحكمة ولو أننى ـ بمجرد أن فتحت عينى لم أهتم

بغياب آنا وهرعت اليك دون أن أترك أحدا يمنعنى من ذلك ثم تناولت الفطور معك فى المطبخ لتأتى أنت بثيابى فيما بعد لما حدث كل ذلك ولانتهى كل شيء قبل أن يبدأ ولكننى لم أكن مستعدا كما أكون فى البنك عادة ، فهناك أكون متيقظ الذهن باستمرار ولا يمكن لشيء كهذا أن يحدث لى فهناك التليفون والكتبة وأشخاص عديدون يأتون لمقابلتى ولقد كان من دواعى سرورى أن يطرأ موقف كهذا فى البنك ، حسنا لكن كل هذا قد انتهى الان ولست أنوى حقا التحدث مرة أخرى لكننى أردت أن اعرف رأيك كامرأة عاقلة وقد سرنى الان انك توافقيننى الرأى ولكى نؤكد هذا هيا بنا نتصافح •

وقال ك• لنفسه « هل ستصافحنى فراو جروباخ فى حين لم يمد الى المفتش يده » وأخذ يحدق فى المرأة التى وقفت وهى تشعر بالحرج لانها لم تفهم كل ماقاله وقد بدات أيضا تقول شيئا لم تكن تقصده وقد نسيت أن تمد اليه يدها :

ــ لاتجعل الامر يؤثر عليك الى حد بعيد ياهر ك •

ــ لم تكن لدى أدنى فكرة أننى اهتم بالامر •

قال ذلك وهو يشعر فجأة بالتعب لكنه تذكر شيئا وهو بجوار الباب فسأل :

ــ هل عادت فراولين بورستنر الى المنزل ؟

ــ وأجابته فراو جروباخ بالنفى وهى تبتسم ابتسامة لها مغزى : ــ

ــ انها فى المسرح ، هل تريد أن تسألها هل أحمل لها اية رسالة :

ــ أوه •• لا •• أردت فقط أن اباذلها الحديث بضع دقائق •

ــ أخشى الا أعرف الساعة التى تعود فيها فعندما

تذهب الى المسرح فهى عادة ما تتأخر ٠

قال ك ٠ وهو يستدير للخروج وقد غاصت رأســـه بين كتفيه :

ــ ليس للامر أهمية كبيرة فقد أردت فقط أن أعتذر لها لاننا أستخدمنا حجرتها اليوم ٠

ــ ليس لذلك أية ضرورة ياهرك ٠ فان فــراولين بورستنر لا تعلم شيئا عن ذلك فانها لم تعد الى حجرتها منذ خرجت فى الصباح ، الباكر، وقد أعادت آنا كل شى الى موضعه الاصلى كما ترى .

وفتحت فراوجروباخ الحجرة التى دخلها ك. ليجد كل شىء فى مكانه حقا ، وقد القى القمر بضوئه علـــى الفراش ، فقال ك ٠ لفراو جروباخ وكأنه يلومها :

ــ ان فراولين بورستنر كثيرا ما تتأخر فى الخارج ٠

ــ ان الشباب هكذا دائما ٠

ــ بالتأكيد ، بالتأكيد ٠٠ لكن الامر يمكن أن يستفحل كثيرا ٠

ــ نعم انك على حق تماما ياهر ك٠ وفى هذه الحالة على الاخص ، فاننى لا أرغب فى التحدث بالسوء عن فراولين بورستنر ، فهى عزيزة على تلك الفتاة ، طيبة ورقيقة ومواظبة ومكافحة ، اننى بالطبع أعجب بكل هذه الصفات فيها ، لكننى كنت أرجو أن يكون لديها قدر اكبر من الكبرياء وأن تصبح أكثر تحفظا ففى هذا الشهر نفسه التقيت بها مرتين فى الشارع وفى كل مرة كنت أرى فى صحبتها شابا مختلفا ، ان هذا يقلقنى ياهر ك. لكننى لم أصارح به أحدا سواك ، وأخشى الا تكون هناك فرصة لتغيير هذا الوضع ، رغم أننى سوف أستجمع شجاعتى لاتحدث اليها ، ذلك بالاضافة الى أن هناك شيئا آخر يحملنى على الشك فيها ٠

قال ك • وقد أحس بغضب مفاجيء يتملكه ، غضب لم يستطع أن يخفيه : ـ

ـ انك تسيرين فى الطريق الخاطيء تماما يافراو جروباخ ، فلقــد أسأت فهم ملاحــظتى عن فراولين بورستنر ، فلم أكن أقصد شيئا مما قلته عنها، بل اننى فى الحقيقة أحذرك من أن تتحدثى اليها بشيء ، وانى أقول لك انك مخطئة تماما ، فانا أعرفها جيدا وليس فيما قلته كلمة صدق واحدة .. لكن يبدو أننى قــد أندفعت فى الحديث معك ولا أريد أن أتدخل فيما تريدين قوله لها ، عمت مساء .

ردت فراو جروباخ التحية وهى تتوسل اليه وتهرع خلفه حتى باب حجرته الذى كان قد فتحه ثم قالت : ـ

ـ اننى لا أنوى حقا أن أقول لها شيئا فى الوقت الحالى وسوف أنتظر ما يحدث قبل أن أقدم على شيء ، وأنت الشخص الوحيد الذى تحدثت اليه فى ثقة ، وقبل كل شيء فانه من مصلحة جميع نزلاء مسكنى أن يحتفظ المنزل بسمعته واحترامه ، وهذا هو ما يقلقنى فى هذه الحالة •

صاح ك • وهو يفتح باب حجرته ليدخل :

ـ احترام !

اذا أردت أن تحتفظى باحترام منزلك فعليك أن تبدئى بأن توجهى الى انذارا •

وأغلق الباب خلفه دون أن يهتم بالطرقات الخافتة التى تبعت ذلك •

ومن ناحية أخرى لم يكن ك • يشعر بأية رغبة فى النوم وقرر أن ينتهز الفرصة ليعرف الساعة التى تعود فيها • فراولين بورستنر ، وربما يمكنه عندئذ « رغم تأخــر الوقت » أن يتبادل معها بعض الحديث ، وخطر له وهو

يقترب من النافذة ويغلق عينيه المتعبتين أن يسدد ما عليه لفراو جروباخ وأن يحرض فراولين بورستنر على أن تترك المنزل معه، لكنه فى نفس اللحظة أحس بأن ذلك سيكون له أن يغير مسكنه بسبب ما حدث فى الصباح والا كان ذلك منه عمل أخرق ٠

وعندما الم به التعب من التحديق فى الشارع الخالى رقد على الاريكة بعد أن وارب الباب كى يرى الداخل ، وحتى الساعة الحادية عشرة كان لا يزال يدخن لفافته حين خطا نحو البهو الداخلى وهو يحس برغبه خاصة نحو فراولين بورستنر ٠ لم يكن ك ٠ يتذكر شكلهـا بالتحديد ، لكنه أراد الان أن يتحدث اليها ، وأحس بالضيق لان تأخرها سيكون خاتمة سيئة لمثل هذا اليوم ، انها ملومة لانه بسببها لم يتناول عشاءه ، وبسببها أيضا لم يذهب لالزاكما كان ينوى ، لكنه يستطيع اصلاح كلا الامرين بأن يذهب الى المطعم حيث تعمل الزا ، لكنه بعد تفكير قرر أن يفعل ذلك بعد أن يتحدث الى فراولين بورستنر ٠

وفى الساعة الحادية عشرة سمع وقع خطوات على درجات السلم واذ كان يذرع بهو المدخل جيئة وذهابا فقد هرع يدخل حجرته ٠ كانت فراولين بورستنر هـى القادمة، وبعد أن أغلقت الباب الخارجى توجهت الى حجرتها حيث فكرك ٠ أن يذهب اليها ، لكنه وقد نسى أن يضىء غرفته فقد فكر أنه سوف يزعجها تماما ، لكنه مع ذلك لم يضيع وقتا فقد همس باسمها فى اضطراب بصوت متهدج وكأنه يصلى ، وتساءلت فراولين بورستنر وهى تتطلع حواليها وقد اتسعت عيناها دهشة ٠

ـ هل هناك من يناديني ؟

قال ك٠ وهو يتقدم اليها : ـ أنه انا .



ـ أوه هوك٠؟ مساء الخير٠
ـ أريد أن أتبادل معك بعض الكلمات فهل تسمحين لى بأن أفعل ذلك الان ٠
ـ الان ؟ هل يجب أن يكون ذلك الان ؟ اليس ذلك امرا غير عادى ؟
ـ لقد كنت انتظرك منذ الساعة التاسعة٠
ـ حسنا ، لقد كنت فى المسرح ولم يكن لدى أية فكرة أنك تنتظرنى ٠
ـ ان ما أريد أن أتحدث اليك عنه لم يحدث سوى اليوم ٠
ـ أوه حسنا ليس لدى اعتراض فيما عدا اننى متعبة جدا ، ولا أكاد أستطيع الوقوف على قدمى ، تفضل الى حجرتى بضع دقائق فاننا لن نستطيع التحدث هنا حيث نوقظ الجميع وأنا أكره ذلك لصالحنا أكثر من صالحهم ، انتظر هنا لحظة حتى أضىء حجرتى وعندئذ تستطيع أن تطفىء النور هنا ٠
وفعل ك ٠ ما طلبته منه ، ثم دعته فراولين بورستنر الى الجلوس بينما وقفت هى الى جوار الفراش رغم اعترافها بالتعب وقالت دون أن تخلع قبعتها :
ـ حسنا ٠٠ ماذا هنالك ؟ ٠ ان حب الاستطلاع قد تملكنى٠
ـ قد تقولين أنه لم تكن هناك حاجة ملحة لان أتحدث اليك فى هذا الان ٠٠
ـ اننى لا أستمع مطلقا الى مقدمات .
ـ وهذا يسهل على الامر كثيرا، باختصار لقد سادت الفوضى حجرتك هذا الصباح وكان ذلك بسببى الى حد ما ، لقد فعل ذلك أشخاص غرباء ورغم ارادتى ، لكننى أريد أن تصفحى عنى ٠

تساءلت فراولين بورستنر وهى تدور فى الحجرة بنظرة فاحصة بدلا من أن تنظر اليه

ـ حجرتى ؟

ـ نعم ولكن الطريقة التى تم بها ذلك لا تستحق الذكر ٠

ـ لكن هذا بالتأكيد هو أكثر الامور اثارة ، لكن اذا كنت مصرا على أنه ليس هاما فاننى لا أريد أن أغوص فى الاسرار ، وما دمت قد طلبت صفحى فيها أنا أمنحك أياه خاصة وأنا لا أكاد ألمح مظاهر الفوضى

قالت ذلك وهى تدور فى الحجرة حتى وقفت أمام صورها وصاحت : ـ

ـ لقد اختلطت صورى تماما ، ان هذا حقا مخيف ولقد دخل أحدهم حجرتى دون أن يكون له الحق فى ذلك ، أنه لمن الغريب حقا أن أضطرلان أمنعك منفعل شىء كان يجب أن تمنع نفسك عنه ، وهو أن تدخل غرفتى أثناء غيابى ٠

ـ لكننى شرحت لك يافراولين ، اننى لم أكن أنا الذى عبثت بهذه الصورة ، لكن اذا كنت لا تصدقينى فعلى أن أعترف أن لجنة التحقيق قد أحضرت معها ثلاثة من كتبة البنك هنا وقد عبث أحدهم بصورك ، وسوف أطردهم عند أول فرصة ٠

وأضاف ٠ ردا على تساؤل فراولين بورستنر الذى ظهر فى عينيها :

ـ نعم لقد حضرت الى هنا لجنة التحقيق اليوم ٠

ـ حضرت من أجلك أنت ؟

ـ نعم ، لماذا تعتقدين أننى يجب أن أكون بريئا ٠

ـ حسنا برىء ، اننى لا أريد أن أطلق عليك حكمافى لحظة خاصة وأننى لا أكاد أعرفك حقا ، ولكن لابد أن

يكون جرمك كبيرا بحيث تحضر لجنة التحقيق الى هنا .
وحيث أنك لازلت طليقا كما أرى فأعتقد أنك لم ترتكب جريمة خطيرة ٠
ـ نعم ولكن لجنة التحقيق ربما اكتشفت انني لم أكن بالمجرم الذى ظنوه ٠
ـ بالتأكيد فهذا محتمل ٠
ـ وها أنت ترين أنه ليس لديك خبرة فى الامور القانونية ٠
ـ لا ليست لدى خبرة ، ولقد شعرت بالاسف من أجل ذلك كثيرا ، لانني كنت أحب أن أعرف كل شىء خاصة وأن قاعات المحاكم تثيرنى ٠ ان قاعة المحكمة لها جاذبية خاصة ، اليس كذلك ؟ لكنني سوف أعوض جهلى فى هذا المجال بأن التحق فى الشهر القادم بمكتب أحد المحامين ٠

ـ هذا رائع فسوف تستطعين مساعدتى فى قضيتى عندئذ ٠
ـ يسعدنى ذلك ، ولم لا ، اننى أحب أن استخدم معلوماتى لاقصى حد ٠
ـ لكننى أعنى هذا فى جدية أو على الاقل كما تعنين أنت ، ان هذه القضية اتفه من أن يترافع عنى فيها أحد المحامين ويكفينى أن أستشير أحدا ٠
ـ نعم لكننى اذا أصبحت مستشارك فيجب على أن أعرف الموضوع ٠
ـ هذه هى المشكلة بالتحديد فأنا نفسى لا أعرف ذلك ٠
قالت فراولين بورستنر وقد ظهرت عليها خيبة أمل :
ـ اذن فلقد كنت تسخر منى ببساطة ، ولم يكن من الضرورى أن تختار هذا الوقت المتأخر كى تفعل ذلك ٠

ـ لكننى يافراولين لا أسخر مــنك · لمــاذا لا تصدقيننى ·· ؟ لقد أخبرتك فعلا بكل ما أعرف بل وأكثر مما أعرف فى الحقيقة ، لان الذين حضروا هنا لم يكونوا لجنة تحقيق ولقد أطلقت عليها هذا الاسم لاننى لم أعرف لها أسما آخر . انهم فى الحقيقة لم يستجوبونى بل ألقوا القبض على ·

وجلست فراولين بورستنر على الاريكة وهى تضحك ثم تساءلت :

ـ ما شكل هذه اللجنة اذن ؟

وسرحت أفكار ك· وهو يتأمل فراولين بورستنر وقد أضطجعت على الاريكة ، ثم قال بعد أن عاد الى نفسه : ـ

ـ هل رأيك كيف حدث كل شيء ؟

ـ اننى متعبة :

ـ هذا لانك عدت الى المنزل متأخرة جدا ·

ـ ها أنت قد ذهبت شأوا بعيدا فى توبيخك اياى ، وأنا أستحق ذلك اذ تركتك تدخل حجرتى وها قد أتضح أنه لم يكن هناك مدعاة لذلك ·

ـ ان هناك حاجة لهذا وسوف أثبت ذلك فى لحظة ·· هل لى أن أبعد المنضدة عن الفراش قليلا :

صاحت فراولين بورستنر ؟

ـ يالها من فكرة ·· ! كلا بالطبع ·

قالك · فى اضطراب وكأنما قد لحق به أذى خطير :

ـ اذن فلن أستطيع أن أريك كيف حدث ذلك ·

ـ أوه ·· أن أردت أن تحرك المنضدة لتقوم بالعرض فأفعل ·

ووضعك · المنضدة فى منتصف الحجرة وجلس خلفها ثم قال :

ـ يجب عليك أن تتخيلى مكان كل شخص ، فهذا مما

يبعث على التسلية، أنا المفتش أجلس الى المنضدة، والى جوار الفراش يجلس حارسان ، وتحت الصور يقف ثلاثة شبان ، أوه لقد نسيت كل شيء عن نفسي رغم أنني أكثر الاشخاص أهمية ، حسنا ٠٠ أنا أقف هنا أمام المنضدة لقد كان المفتش يحرك يديه ورجليه في يسر، والان فلنبدأ ، المفتش يصيح وكأنه يوقظني من نوم عميق فأحس أنا بالخوف ٠

ولان ك ٠ كان قد أندمج في دوره ، وبدأ كأنه سيصيح مثلما فعل المفتش فقد رفعت فراولين بورستنر أصبعها الى شفتيها تحذره من الصياح في هذا الوقت المتأخر من الليل ، لكن صيحة خافتة كانت قد أفلتت منه ، وساد الصمت ٠

وهنا سمعا طرقا على باب الحجرة المجاورة ٠٠ طرق حاد منتظم عال ، وشحب وجه فراولين بورستنر ووضعت يدها على قلبها ، أماك ٠ فقد أجفل وأستغرق دقيقة كاملة كي يحول تفكيره عما حدث في الصباح وعن الفتاة التي كان يمثل الدور أمامها . وما أن عاد الى واقعة حتى هرع الى فراولين بورستنر وأمسك يدها وهو يهمس : ــ

ــ لا تخشي شيئا ، سأضع الامور في نصابها ولكن من يكون الطارق ، ليس هناك حجرات خالية سوى غرفة المعيشة ولا أحد ينام فيها ٠

ــ لا ، فمنذ الامس بدأ ابن أخت فراوجروباخ وهو ضـــابط ينـــام هنـــاك ، وقد اضطر لذلك حيث لم تكن هنـــاك حجرات خاليـــة ، لماذا صحت هكذا .. ؟ ها أنت قد أفسدت كل شيء ٠

ــ ليس هناك ما يدعو لذلك ٠

وما أن أستلقت فراولين بروستنر على الفراش حتى مـال عليها ك٠ وطبع على جبهتها قبلة سريعة فقالت هذه

وهى تهب جالسة :

ـ ابتعد عنى ، ابتعد عنى ، أذهب ، أذهب ، ماالذى تفكر فيه ٠٠ ؟ ان الاخر ينصت خلف الباب ويسمع كل شىء هل تريد أن تفضحنى ؟

ـ لن أذهب قبل أن تهدئى ، تعالى الى ركن الحجرة البعيد فلن يسمعنا ونحن هناك ٠

وتركته يقودها ثم استطرد :

ـ هل نسيت أنه رغم ما يسببه لك ذلك من متاعب فليس الامر خطيرا ، فأنت تعرفين أن فراو جروباخ ـ وهى التى لها اليد الطولى فى هذا الامر لان هذا هو أين أختها ـ تحترمنى وتقدرنى وتثق فى كل ماأقول ، ثم أنها تعتمد على اذ أقترضت منى مبلغا كبيرا من المال ٠ اننى سوف أؤكد كل ما تقولينه فى تفسير وجودنا هنا معا ٠٠ وأنا كفيل بالا أجعل فراو جروباخ تعلن هذا على الملا فحسب بل أن تصدقه من أعماقها أيضا . . لاحاجة بك الى أن تهتمى بأمرى ، فلو أنك أردت أن تعلنى أننى هاجمتك فسوف نخبر فراو جروباخ بذلك وسوف تصدقه هى دون أن تفقد ثقتها فى لانها تكاد تعبدنى ٠

وحين رأى ك. أن فراولين بورستنر تنظر الى الارض دون أن تتفوه بحرف أستطرد :

ـ لماذا لا نجعل فراوجروباخ تعتقد اننى قد أقتحمت غرفتك وهاجمتك ؟

واخذ ك . ينظر اليها وهو يتوقع أن توجه اليه نظراتها لكنها قالت دون أن ترفع وجهها اليه :

ـ أرجو المعذرة فقد تملكنى الخوف حين سمعت الطرق ، لكنى لم أخف من عواقب وجود الكابتن هناك ٠

لقد ساد الصمت بعد أن صحت ثم جاء هذا الطرق وكأنه قريب منى لاننى كنت أجلس الى جوار الباب تماما • اننى أشكرك على العرض الذى عرضته على لكننى لا أقبله ، وانى لاشعر بالدهشة لانك لم تكتشف الاهانة التى يتضمنها اقتراحك لكنى أرجوك أن تتركنى الآن فأننى فى حاجة الى أن أكون بمفردى أكثر من أى وقت مضى ، ان الدقائق القليلة التى طلبت التحدث الى فيها قد أصبحت نصف ساعة أو أكثر •

أمسك • بمعصمها وسأل : ـ

ـ لكنك لست غاضبة منى • اليس كذلك ؟

ـ وسحبت يدها من يده وهى تقول : ـ

ـ لا ، لا ، اننى لا أغضب من أى انسان •

وأمسك برسغها مرة أخرى فتركته يفعل ، وهكذا قادته حتى الباب ، كان عازما على الخروج لكنه ما أن وصل الى الباب حتى وقف أمامه فى دهشة وكأنه لم يتوقع أن يجده هناك • وانتهزت فراولين بورستنر هذه الفرصة كى تتحرر من قبضته وتفتح الباب وتدلف الى البهو حيث همست وهى تشير نحو حجرة الكابتن المضيئة : ـ

ـ والان أرجوك أن تأتى •• أنظر •• ها هو قد اضاء النور ويسلى نفسه على حسابنا بمحاولة سماع ما نقوله •

وهرع ك• نحوها وأمسك بها ثم بدأ يقبلها على شفتيها أول الامر ثم على وجهها كله كحيوان عطشان رأى الماء الذى طالما اشتاق اليه • وأخيرا قبلها على رقبتها واحتفظ بشفتيه هناك فترة طويلة ، الى أن سمع صوتا يصدر من حجرة الكابتن ، فرفع رأسه وأراد أن ينادى فراولين بورستنر باسمها الاول لكنه لم يكن يعرفه، قال

لها أنه ذاهب ، وعندما أومأت له برأسها قبل يدها ، ثم استدارت كي تدخل حجرتها وكأنها لا تعى ما تفعل ٠ وبعد ذلك بقليل أصبح ك ٠ فى حجرته مستغرقا فى النوم ، لكنه قبل أن يفعل ذلك فكر فى مسلكه وأحس بالسرور ، لكنه أحس أيضا بالدهشة لان سروره لم يكن كاملا فقد كان قلقا على فراولين بورستنر بسبب الكابتن ٠

● ● ●

الفصل الثالث

تلقى ك • مكالمة تليفونية تخطره بأن تحقيقا مبدئيا سيجرى فى قضيته فى يوم الاحد التالى ، ووجه المتحدث انتباهه الى أن هذه الاستجوابات ستترى متتابعة بأنتظام، ربما لا تصبح أسبوعية ولكن فى فترات أكثر اقترابا كلما تقدمت القضية ، وأنه من الصالح العام أن تنتهى القضية فى أقرب فرصة ، وان كان من الضرورى أيضا أن تكون هذه الاستجوابات كاملة من جميع النواحي الا أنها لا يجب أن تكون من الطول بحيث ترهق أطرافها •

ولقد تم اختيار يوم الاحد لاجراء الاستجوابات حتى لا يتعطل ك • عن عمله فى البنك ، ولقد افترضوا أنه سيوافق على هذا اليوم، لكنه انرأى أن يختاريوما آخر فسوف يفعلون مافى وسعهم لاجابته الى طلبه ؛ فاذا أراد مثلا أنتعقد الجلسات فى المساء فانهم يوافقون ، رغم أن ك • لن يكون فى كامل نشاطه • وعلى أية حال فسوف يكونون فى انتظار ك • يوم الاحد القادم ان لم يكن لديه اعتراض • ولقد فهم ك • بالطبع أنه لا مجال للاعتذار أو للنسيان • وأعطاه المتحدث رقم المنزل الذى سيذهب اليه ، وهو منزل فى شارع يقع عند أطراف المدينة التى لم يطرقها مطلقا من قبل •

وحالما انتهت المكالمة التليفونية وضع ك • السماعة ، وقرر أن يذهب فى الموعد المحدد وهو يوم الاحد • ان ذلك أمر ضرورى فها هى الاجراءات تأخذ مجراها وعليه أن

يدافع عن نفسه حتى النهاية ، ويجب أن يجعل الاستجواب القادم هو الاول والاخير • كان لا يزال واقفا وقد شرد فكره الى جوار التليفون حين سمع خلفه صوت نائب المدير الذى كان يريد أن يستخدم التليفون أيضا ، وقال له هذا وقد أراد أن يتحرك • بعيدا :

ـ هل كانت أنباء سيئة ؟

ـ لا •• لا •

قال ك• ذلك وهو يخطو جانبا دون أن يبتعد ، وقال نائب المدير يوجه حديثه الى ك • أثناء انتظاره رد من طلبه فى الناحية الاخرى من الخط :

ـ أوه لدى ما أقوله لك يا هر ك • هل تسدى الى معروفا بأن تشاركنا فى رحلتنا على اليخت الخاص بى صباح الاحد القادم ؟ ستكون هناك مجموعة كبيرة من الناس ، وستجد بالتأكيد من بينهم بعض أصدقائك : الهر هاستر المحامى وآخرين •• هل تحضر ؟ أرجوك أن تحضر •

وبذل ك • مجهودا شاقا كى يركز انتباهه فيما يقوله نائب المدير ، لان الامر لم يكن قليل الاهمية بالنسبة له ، فان هذه الدعوة من رجل لم تكن وشائج المودة تربط بينهما كانت بمثابة علامة على ارتفاع شأنه وعلو مركزه فى البنك ومدى اهتمام الاخرين بصداقته وخاصة من الرجل الثانى بعد المدير العام •

ولابد أن نائب المدير قد ضغط على نفسه ليقدم له هذه الدعوة رغم أنه وجهها اليه بطريقة عارضة وهو ينتظر مكالمة تليفونية ، ولم يجد ك • بدا من أن يرفض قائلا :

ـ أشكرك جدا لكننى آسف اذ أننى مرتبط طوال يوم الاحد بموعد ما •

واستدار نائب المدير ليكلم محدثه على الخط الاخر



وهو يعبر عن أسفة . ورغمأن المحادثة التليفونية لم تكن بالقصيرة فان ك • فى اضطرابه ظل واقفا طوال الوقت على مقربة ، ولم ينتبه الى ما يجرى حوله الا حين أنهى نائب المدير مكالمته ، ومن ثم فقد اضطر ك • أن يقول معتذرا عن وجوده :

ــ لقد حدثنى أحدهم فى التليفون الان فقط وطلب الى أن أذهب الى مكان ما لكنهم نسوا أن يخبرونى بالموعد •

ــ حسنا تستطيع أن تطلبهم وتسألهم عن ذلك •

ــ لا ، ليس للامر كل هذه الاهمية •

وبدأ نائب المدير وهو فى طريقه يلقى بتعليقات على مواضيع أخرى عن العمل ، وكان ك • يحاول تركيز انتباهه للاجابة عليها ، لكن ماكان يفكر فيه أيضا هو ان من الانسب له ان يذهب الى العنـوان فى السـاعة التاسعة من صباح الاحد ، طالما أنه فى تلك الساعة تبدأ جميع قاعات المحاكم عملها فى أيام الاسبوع العادى •

جاء يوم الاحد كئيبا ، أحس فيه ك • بالتعب لانه كان قد سهر فى الليلة السابقة الى وقت متأخر فى احتفال بالمطعم ، ومن ثم فقد تأخر فى صحوه ، وفى عجلة كبيرة ودون أن يفكر فى الخطط التى رسمها طوال الاسبوع ارتدى ملابسه واندفع خارجا دون أن يتناول فطوره ، وذهب الى الضاحية التى ذكرت له ورأى لـدهشته الفائقة ــ رغم أنه لم يتح له الوقت الكافى لتأمل المارة ــ رأى الكتبة الثلاثة الذين ارتبطوا بقضيته : رابنشيز ، كوليش ، كمينر . .رأى رابنشيز وكوليش فى سيارة رحلات عبرت الطريق أمامه ، أما كلمينر فقد كان يجلس فى شرفة أحد المقاهى وقد مال يتطلع الى ك • حين مر به ، وفكر ك • أنه ربما كان الثلاثة يحدقون خلفه ويتعجبون الى أين يندفع رئيسهم الان • كان ك • قد

رفض استئجار عربة يصل بها الى مبتغاه ، فلقد كره أن يطلب مساعدة أحد ــ مهما كانت شخصية هذا الغريب ــ فى قضيتههذه ، ثم انه لم يرغب أنيتدخل أحد ــ ولو عن بعد ــ فى أموره الخاصة ٠

ثم أنه لم يرغب فى أن تثير مواظبته الدقيقة شكوك المحكمة ٠ ورغمذلك فقد كان ك ٠ يندفع بأقصى سرعته كى يصل فىالساعة التاسعة ، ذلك فى حين أن أحدا لم يطلب اليه الحضور فى ساعة محددة ٠

ظن ك ٠ أنه سيتمكن من التعرف على المنزل من بعيد ، فلابد أن تكون هناك لوحة ما مثبتة عليه ، أو تكون أمامه حركة غير عادية . لكن شارع جوليوس حيث قيل له أن المنزل هناك وحيث يقف فى نهـــايته الان لم تكن تقوم على جانبيهسوى مساكنعادية متشابهة يقطنها مواطنون فقراء ، ولان هذا كان صباح يوم الاحد فقد كانت جميع النوافذ مشغولة برجال يرتدون القمصان ويلعبون مع أطفالهم أو يدخنون ونوافذ أخرى قد اصطفت عليهـــا المفارش والملابس ، وعلى طول الشارع كانت تسمع صيحات يتبادلها الناس عبر الطريق ، وصـــاح أحدهم وراء ك ٠ صيحة أثارت كثيرا من الضحك ٠ وعلى طول الطريق كانت هناك حوانيت فى بدرومات المنازل ينزل اليها المشترونليبتاعوا ما يحتاجون ، وبائع فاكهة يصيح على بضاعته ويتقدم فى الشارع بنفس سرعة ك ٠ الذى كان يتأمل المنازل باحثا عن بغيته ٠

وظل ك ٠ يسير فى الشارع ببطء وكأن الوقت مازال متسعا لديه ، وأصبحت الساعة بعد التاسعة حين وصل ك ٠ الى البيت المنشود ، وهو بيت ذو مدخل متسع بابه مرتفع ، كان من الواضح أنه مدخل يستخدم للعربات حيث تقوم فى فنائه الداخلى بعض مخازن علقت عليها

لوحات تحمل اسم بعض الشركات التى كان **ك** • قد قرأها فى سجلات البنك .

وأخذ **ك** • على غير عادة منه يتأمل هذه المظاهر الخارجية بتركيز دقيق ، وظل فترة ما يتجول ببصره فى الفناء ، وبالقرب منه رأى رجلا حافى القدمين يجلس على مقعد صغير يقرأ جريدة الصباح ، وخلفه كان هناك صبيان يلعبان بقضيب من حديد ، وفى الناحية الاخرى شاهد فتاة صغيرة فى ملابس نومها تحدق فيه وهى تملأ دلوها بالماء ، وفى أحد أركان الفناء كان هناك حبل نشرت عليه امرأة غسيلها ليجف •

واستدار **ك** • الى السلم لكى يصل الى حجرة التحقيق لكنه وقف مرة أخرى وقد تملكته الحيرة ، اذ كانت هناك بالاضافة الى السلم الذى وقف أمامه ، عدة سلالم أخرى تقود الى أبنية منفصلة • وشعر بالضيق لان المعلومات التى استقاها من محدثه لم تكن دقيقة بالنسبة للحجرة التى يقصدها ، وفكر فى أن هؤلاء الناس الذين حدثوه أظهروا اهمالا وعدم اكتراث فى معاملاتهم له ، وانتوى أن يصارحهم بذلك فى وضوح وحزم • وأخيرا ، صعد السلم الذى وقف أمامه وهو يتذكر قول الحارس ويلم بأن هناك جاذبية ما بين القانون والمجرم ، ومن ثم فلابد أن حجرة التحقيق تقع فى البناية التى وقف **ك** • أمامها والتى اختارها بنفسه فى أول الامر •

وأثار **ك** • بصعوده ضيق بعض الاطفال الذين كانوا يلعبون على درجات السلم بسيره وسطهم وقال **ك** • لنفسه :

ــ لو اننى جئت الى هذا المكان مرة أخرى لاحضرت لهم بعض الحلوى أو عصيا أضربهم بها •

وقبل أن يصل الى الطابق الاول اضطر أن يتوقف مرة

اخرى فقد امسك به صبيان يحاول أحدهما أن يمســك
بالاخر ، فاضطر أن ينتظر حتى يذهبا بعيدا ٠
وبدأ ك ٠ يبحث بحثا جديا فى الطابق الاول ، ولانه لم
يستطع أن يسأل عنلجنة التحقيق فقد اصطنعالبحثعن
نجار يدعى لانز ، وقد طرأ هذا الاسم فى ذهنه لان ابن
أخت فراو جروباخ كان يدعى الكابتن لانز ، ومن ثم فقد
بدأ ك ٠ يستعلم من جميع من يقطنون الحجرات عما اذا
كان هناكنجار يدعى لانزيقطن هذا البيت ٠ فعل ذلك لكى
تتاح له الفرصةلكى يطرق جميعالحجرات بحثا عن لجنة
التحقيق ٠
ولم يكن يصادف فى ذلك أية صعوبة فى أول الامر لان
معظم أبوابتلك الحجرات كانت مفتوحة وبداخلها أطفال
يلعبون ويصرخون ، وفى معظم الشقق أيضا التى كانت
تتكون من حجرة واحدة ومطبخ كان يشم رائحة الطهو ٠
ورأى ك ٠ معظم النساء وقد حملن أطفالهن بذراع واحدة
فى حين يؤدين عملهن بالذراع الاخرى ٠ وفى أحيان
كثيرة كان يشاهد فتيات ناضجات يهرعن هنا وهناك ،
وفى معظم الغرف التى أطل فيها وجد الفراش مشغولا
بمن ينام فيه ، مرضى يرقدون فى استسلام أو رجال لم
يستيقظوا بعد أو آخرون يستلقون للراحة . أما بالنسبة
للابواب التى كانت مغلقة فقد كان ك ٠ يطرقها ليسأل عما
اذا كان هناك نجار يدعى لانز ، وفى معظم الاحيان كانت
تفتح له الباب امرأة تسمع لسؤاله ثم تستدير الى شخص
آخر فى الحجرة لتقول له « ان السيد يسأل اذا كان هناك
نجار يدعى لانز يقيم هنا » ويردد من فى الداخل الاسم
مرة أخرى ثم يجيب بالنفى ، أو يستغرق وقتا طويلا فى
التفكير ثم يدلى باسم نجار آخر يشبه اسمه اسم لانز ،
وكان آخرون يستعلمون من جيرانهم أو يصبحون ك . الى

باب آخر فى نهاية المر الى شـــخص آخــر ربما كانت معلوماته أوفر ٠

وفى آخر الامر لم يعد ك ٠ فى حاجة للسؤال على الاطلاق لانه بهذه الطريقة طرق جميع أبواب الطابق ، وأحس بالندم لان خطته لم تسفر عن شىء ، فى حين أنها بدت وافية تماما أول الامر ، وحين أصبح فى الطابق الخامس قرر أن يكف عن البحث ، وألقى تحية وداع على عامل كان يريد أن يذهب به الى أبعد منذلك ، لكنه عندئذ أحس بالضيق لان مهمته باءت بالفشل ، فصعد الدرج مرة أخرى وطرق أول باب صادفه فى الطابق الخامس ، وكان أول ما رآه هو حجرة صغيرة بها ساعة حائط كانت تشير فعلا الى العاشرة ، وسأل المرأة التى فتحت له هل يقيم هنا نجار يدعى لانز ؟

وأشارت اليه المرأة الشابة بعينيها اللامعتين والتى كانت تغسل بعض الثياب فى حوض صغير أن يتجه الى حجرة مجاورة بابها مفتوح ٠

أحس ك ٠ وهو يدخلأنها صالة اجتماعات فقد امتلات الحجرة بمجموعة متنوعة تماما من النـــاس ولم يعبأ بدخوله أى منهم ٠ كانت حجرة لها نافذتان بنيت على جوانبها شرفة قرب السقف اكتظت أيضا بـــأشخاص اضطراو أن يجلسوا وقد أحنوا رؤوسهم خشية أن تصطدم بالسقف ٠ وما أن أحس ك ٠ بالجو الخانق فى الداخل حتى هرع خارجا مرة أخرى وذهب الى المرأة وقال لها وكأنها قادته الى المكان الخاطىء :

ـ لقد سألتك عن نجار يدعى لانز ٠

ـــ أعرف ذلك ، عليك فقط بالدخول ٠

وكاد ك ٠ يهم بالعودة لولا أن المرأة تبعته وأمسكت بمقبض الباب وقالت :

ـ يجب أن أغلق الباب بعد أن تدخل فالدخول محظور بعدك ·

ـ هذا معقول ، لكن الحجرةمكتظة بالناس فعلا ·

وما أن دخل ك ·حتى وجد نفسه بين رجلين ، أحدهما يمد يده وكأنه يدفع للاخر بعض المال بينما ينتظره الاخر بحدة، ومن بينهما امتدت يد أمسكت ذراع ك· ·.كانت يد صبى له وجنتان حمراوان وسمعه ك · يقول « اتبعنى ، اتبعنى » · وترك ك · الصبى يقوده وبدا له بين الزحام أن هناك طريقا ضيقا يفصل بين زمرتين مختلفتين من الناس ، وتأكد هذا الاحتمال فى ذهن ك · حين رأى أن الاشخاص فى كل جماعة يتحدثون الى بعضهم البعض فقط ، وقد كان الجميع يرتدون ملابس سوداء داكنة قديمة فضفاضة · وكانت هذه الملابس هى التى أثارت حيرة ك · ، فانه بدونها يعتقد الانسان أن هذا اجتماع هيئة محلية ·

وفى نهاية الحجرة الى حيث كان الصبى يقود ك · كانت هناك منصة عليها منضدة صغيرة ، وعند حافة المنصة جلس رجل سمين يتنفس فى صوت مرتفع ويتحدث فى مرح ظاهر الى رجل يجلس خلفه ويضع كوعه على مسند المقعد وقد عقد ساقيه · وكان الرجل الضخم يحرك يديه فى الهواء بين الفينة والفينة وكأنه يرسم رسما كاريكاتيريا ، ووجد الصبى الذى يصحب ك · صعوبة بالغة فى الاعلان عن مقدمه ، فقد وقف على أصابع قدميه مرتين وحاول أن يقول شيئا دون أن يلحظه الرجل الجالس على المنصة، ولم ينتبه هذا الى الصبى الا حين لفت نظره شخص كان يقف على المنصة ، وعندئذ استدار اليه الرجل ليستمع الى كلماته الخافتة ثم ألقى نظرة على ساعته ونظرة أخرى على ك · وقال :

ـ كان عليك أن تكون هنا منذ ساعة وخمس دقائق باكملها ٠

وهم ك٠ بالاجابة لكن الفرصة لم تتح له، فانه ماكاد الرجل ينتهى من جملته حتى سمع صيحات احتجاج من نصف الحجرة الايمن ، فاضطر الرجل لان يقول مرة أخرى فى صوت مرتفع وهو يوجه نظرة غاضبة سريعة الى من فى الصالة :

ـ كان يجب أن تكون هنا منذ ساعة وخمس دقائق ٠

وازدادت الهمهمة على الفور ، ومرت دقائق قبل أن تخفت رغم أن الرجل لم يتفوه بكلمة أخرى. ثم أصبحت الصالة أكثر هدوءا منها حين دخل ك ٠ فيما عدا الرجال الذين كانوا فى الشرفة فقد كانوا يتحدثون ويطلقون تعليقاتهم ٠ واستطاع ك ٠ بقدر ما سمحت له العتمة والتراب أن يلحظ أنهم أسوأ ثيابا من جمهور الصالة ، وقد أحضر بعضهم وسادات تحمى رؤوسهم من الاصطدام بالسقف ٠

وقرر ك٠ أن يراقب مايدور بدلامن أن يتحدث. ومن ثم فانه لم يدافع عن نفسه ضد هذا الاتهام بالتأخير بل قال :

ـ سواء كنت متأخرا أو لا فها أنا الان ٠

وتبع ذلك تصفيق حاد من الناحية اليمنى من الصالة ٠ وفكر ك ٠ أن هؤلاء قوم يمكن أن يكسبهم الى جانبه بسهولة ، ولم يقلقه سوى الصمت الكامل من الناحية اليسرى التى كانت خلفه مباشرة، وتأمل ماذا يمكن أن يقوله ليكسب جميع المشاهدين الى جانبه ، واذا لم يكن هذا ممكنا فمعظمهم على الاقل ٠

قال الرجل وهو يلوح بيده : ـ

ـ نعم ، غير أنى لست مضطرا لسماع ما تقوله أكثر

من ذلك ، وسأجعلك استثناء ، بيد أن مثل هذا التأخير لا يجب أن يحدث مرة أخرى · والان تقدم ·

وقفز أحدهم من المنصة ليفسح مكانا يصعد اليه ك· ، واضطر أن يعتمد بيديه على المنضدة حتى لا يضطر للانكفاء عليها بفعل الازدحام خلفه ·

لكنه لم يبد على قاضي التحقيق أى اهتمام ، فقد جلس مستريحا فى مقعده ، وبعد أن تبادل بضع كلمات مع الرجل الجالس خلفه فتح مفكرة صغيرة كانت هى الشىء الوحيد الموضوع فوق المنضدة ، وكانت تشبه كراسا مدرسيا قديما · وقال قاضي التحقيق وهو يقلب أوراق المفكرة : ــ

ــ حسنا اذن .. هل انت نقاش ؟

ــ لا ، اننى أحد مساعدى مدير بنك كبير ·

وحملت هذه الاجابة نصف الحجرة الايمن على الضحك بقوة .. انفجروا فى ضحك صاخب واضطر ك · أن يضحك معهم · أما قاضي التحقيق فقد شعر بالغضب وبدا واضحا أنه لايستطيع السيطرة على الجمع المحتشد فى الصالة فبدأ يظهر غضبه على من يجلسون فى الشرفة ·

لكن نصف الصالة الايسر ظل هادئا كعهده على الدوام ، كان القوم الذين هناك يجلسون فى صفوف تواجه المنضدة ويستمعون الى ما يقال دون أن يبدو عليهم اى تأثير · وبدا أن رجال النصف الايسر هذا ــ رغم قلة عددهم ــ أكثر أهمية وما أن بدأ ك · يلقى خطبته حتى احس بأنه يعبر عن وجهة نظرهم · قال : ــ

ــ ان تساؤلك يا سيدى قاضي التحقيق عن كونى نقاشا ·· وان كان الاصح أنك لم تتساءل بل قلت ذلك وكأنه واقع الحال .. هذا مثال جيد لطابع المحاكمة

الموجهة ضدى أنك قد تعترض بأنها ليست محاكمة على الاطلاق ـ وأنت فى هـذا على حق ، وأنا لا أعتبرها محاكمة الا اذا نظرت اليها على هذا الاعتبار ، وأنا أنظر اليها على هذا النحو من باب التساهل . ولكنى أقول أن اجراءاتكم تدعو للاحتقار وقد صارحتكمبهذا ليكون محل تقديركم .

قال ك. ذلك وتطلع الى القاعة، وأحس أنه تكلمبحدة أكثر مما كان ينتوى ، لكن كان لهذا ما يبرره . وأعتقد أن كلماته كانت جديرة ببعض التصفيق ولكن بدا أن المتفرجين كانوا ينتظرون ما سيأتى ، وربما كان وراء هذا الصمت انفجار يهدد بانهاء كل شىء . وأحس ك . بالضيق لان الباب فتح فى نهاية الصالة ودخلت المرأة التى رآها تغسل الثياب وكأنها انتهت من عملها ولكن قاضى التحقيق أثلج صدر ك . حين بدا عليه الامتعاض من كلمته . كان فى تلك اللحظة واقف على قدميه بعد أن أدهشته كلمات ك. ليوبخ من فى الشرفة ثم عاد الى المقعد وفتح المفكرة ليهدىء من ثائرته . واستمر ك . يقول : ـ

ـ ان مفكرتك هذه لن تنفعك يا سيدى قاضى التحقيق فانها تؤكد أقوالى .

وتوقف ك . وقد جعله صدى كلماته فى هذا الجمع الغريب يزداد شجاعة ، أمسك بالمفكرة بأطراف أصابعه وكأن يده ستتسخ منها ، ثم استطرد وهو يدع المفكرة تسقط على المنضدة مرة أخرى : ـ

ـ هذه هى سجلات قاضى التحقيق، تستطيع أن تستأنف قراءتها يا سيدى فأنا لا أخاف سجلاتك رغم أنها كتاب مغلق بالنسبة لى ، ثم اننى لن ألمسها الا بـأطراف أصابعى .

وبدا الاذلال على وجه قاضى التحقيق وهو يلتقط المفكرة من حيث سقطت على المنضدة وأعادها الى وضعها الاصلى وعاد الى القراءة فيها ·

وتركزت نظرات الجمهور فى الصفوف الاولى على ك · حتى أنه اضطر لدقائق بطولها أن ينظر اليهم · كانت غالبيتهم من المسنين ذوى اللحية الرمادية، وتساءل ك · بينه وبين نفسه، هل هؤلاء هم الذين يملكون التأثير على سير الامور ، وهل يمكن التأثير عليهم ولو بتحقير قاضى التحقيق ؟ واستطرد ك · يقول فى صوت أكثر هدوءا مما سبق ، وهو يحاول فى نفس الوقت أن يقرأ أكثر حديثه على رجال الصف الاول : ـ

ـ ان ما حدث لى لا يمثل الا حالة فريدة لا يجعل لها أهمية خاصة وأنا لا آخذ الامور بجدية ، لكن ما حدث لى يمثل سياسة منحرفة توجه الى أشخاص عديدين ، ومن أجل هؤلاء الاخرين وليس من أجل نفسى أتحدث هنا ·

كان صوته يرتفع بالتدريج على غير ارادته ، وسمع أحدهم يصفق بحماس وهو يقول : ـ

ـ أحسنت ، ولم لا ؟ أحسنت ، أحسنت !

ومر بعض المسنين فى الصف الاول بأيديهم على ذقونهم لكنهم لميلتفتوا لهذه المقاطعة ولم يعلق عليها ك · أهمية ما ، لكن هذا زاد من سروره رغم ذلك · ولم يعد يطلب تصفيقا بل أصبح هدفه هو أن يجعل النظارة يفكرون فى المسألة بجدية ، ويكفيه أن يكسب شخصا هنا وشخصا هناك عن اقتناع · واختتم ك · حديثه قائلا : ـ

ـ انني لا أرغب فى أن ألمع كخطيب مفوه فان قاضى التحقيق ـ دون شك ـ أكثر منى طلاقة فهذا عمله · كل ما أريد هو أن أنفس عن مشكلة تسبب ضيقا لدى جمهور الشعب · استمعوا الى ·· لقد قبض على منذ حوالى

عشرة أيام ، قبض على بطريقة تبدو لى غاية فى السوء رغم أن هذا ليس موضع اهتمامنا الان ، فقد أمسك بى فى فراشى قبل أن أنهض ، وربما كان ذلك — كما يقول قاضى التحقيق — لالقاء القبض على نقاش ما ربما يكون فى مثل براءتى لكن الصدف ألقت بهم الى ٠ ولقد جرى تفتيش الحجرة المجاورة لحجرتى على يد حارسين خشنين ، ولو اننى كنت قاطع طريق خطـــرا لما اتخذوا مثـــل تلك الاحتياطات ، ولقد كان الحارسان شيطانين بحق فقد أصما أذنى بلغوهما البذىء وحاولا حملى على رشوتهما ثم حاولا الحصول على ملابسى بادعاءات كاذبة ، وطلبا الى أن أعطيهما نقودا على زعم أن يحضرا لى فطورا بعد أن أكلا طعامى تحت سمعى وبصرى ، لكن هذا لم يكن كل شىء فلقد قادنى الحارسان الى حجرة ثالثة كى أقابل المفتش ، وكانت هذه حجرة سيدة أحترمها وابجلها ، واضطررت أن أقف مكتوف اليدين وهم يعبثون فيهـــا فسادا ٠ حدث ذلك بسببى دون أن يكون لى ذنب فيه ٠ ورغم أن الامر كان مثيرا للاعصاب فقد نجحت فى الاحتفاظ بهدوئى وسألت المفتش بهدوء سديد — ولوانه كان هنا لقرر ما يؤيد ما أقول — سألته عن سبب القاء القبض على فماذا كان جوابه على ذلك ؟ ذلك المفتش الذى أستطيع ان أتخيله الان وهو مضطجع فى مقعد السيدة التى ذكرتها، كان يضطجع وكأنه مثال الكبرياء والغطرسة. لقد أجابنى أيها السادة بأنه لا يعرف شيئا ، قال أنه يلقى القبض على وهذا يكفيه ٠ لكن هذا أيضا لم يكن كل شىء ٠

وتوقف ك ٠ لحظة ريثما يلتقط أنفاسه ثم استطرد : —

— لكن هذا لم يكن أيضا كل شىء فقد أحضر المفتش معه ثلاثة من الكتبة الى حجرة هذه السيدة ، ووقفوا يتسلون

بالعبث بصورها الخاصة، ولقد كان هناك هدف آخرمن حضور هؤلاء الكتبة ، فقد كان يقصد بهم أن يشيعوا نبأ القبض على وتلويث سمعتى وعلى الاخص الاساءة الى مركزى فى البنك ـ حسنا لكن هذه التوقعات باءت كلها بالفشل لان الجميع حتى صاحبة البنسيون الذى أقطنه وهى شخصية بسيطة أدلى باسمها بكل احترام وهو فراو جروباخ .. حتى فراو جروباخ كانت من الذكاء حيث عرفت أن القبض على بهذه الطريقة لم يكن أكثر جدية من مزاح سخيف يقوم به صبية صغار على ناصية الشارع ، وها أنا أكرر مرة أخرى أن الامر لم يسبب لى سوى بعض الضيق · لكن ألم يكن من المحتمل الى أن يؤدى ذلك الى أكثر من هذا ؟

وحين توقف ك · عند هذه النقطة وجه بصره الى قاضى التحقيق الذىكان يغمز بعينيه لشخص مابين الحاضرين وكأنه يعطيه اشارة وابتسم ك · ثم قال :ـ ان السيد قاضى التحقيق الجالس الى جوارى قد أعطى اشارة سرية لاحدكم ، اذن فهناك أشخاص بينكم يتلقون تعليماتهم ممن يجلسون على المنصة ، اننى لا أعرف اذا كان المقصود بهذه الاشارة هو اثارة التصفيق أو الصفير ، وطالما قد كشفت الامر قبل أن يكتمل فاننى فقدت بذلك كل الامل فى معرفة مقاصده الحقيقية · ان الامر لا يهمنى على الاطلاق وها أنا أعلن اننى أسمح لقاضى التحقيق بأن يتحدث الى عملائه بصوت واضح بدلا من هذه الاشارات السرية بأن يصفروا أو يصفقوا ·

وظل قاضى التحقيق يتململ فى مقده وقد أحس بالحرج ونفاد الصبر ، وانحنى الرجل الجالس خلفه يتحدث اليه ربما ليشجعه أو يسدى اليه بعض النصائح ، أما فى الصالة فقد أخذ أفراد الجمهور يتحدثون فى حمية

وحماس ، وأصبح أفراد من ناحيتى القاعة ــ الذين بدوا فيما مضى وكأنهم على خصام ــ أصبحوا الان يتحدثون سويا فيشير بعضهم الى ك • والاخر الى قاضى التحقيق ، هذا في حين أصبح جو الحجرة خانقا مليئا بالدخان حتى ان المرء لم يكن ليستطيع ان يتبين أطراف الغرفة ولابد أن متفرجى الشرفة على الاخص أصابهم الضيق فقد اضطروا لان يسألوا متفرجى الصالة فى صوت خفيض وعيون متلصصة عما يحدث ، واضطر من يجيب لان يضع يده على فمه حتى لا يرتفع صوته أعلى من اللازم. قال ك • وهو يضرب على المنضدة بقبضته حيث لم يكن هناك جرس ما وكان من أثر ذلك أن ابتعد مستشار قاضى التحقيق عنه قليلا :

ــ اننى بعيد عن هذه المسألة تماما ومن ثم أستطيع الحكم عليها بهدوء ، وبالنسبة لكم فاذا أردتم أن يكون اهتمامكم بهذه القضية حقيقيا فانه من مصلحتكم أن تستمعوا الي ، لكنى أرجو أن تؤجلوا الى النهاية أية تعليقات قد ترغبون فى تبادلها تعقيبا على ما أقول لأن الوقت لا يتسع لى ، وعلى أن أرحل سريعا .

وساد الصمت على الفور ، صمت عميق حتى أن ك • سيطر على الاجتماع كلية فلم يعد أى من الحاضرين يصيح كما كانوا يفعلون فى أول الامر ، ولم يعودوا يصفقون بل بدوا مقتنعين أو على وشك الاقتناع ، استطرد ك • يقول فى هدوء وقد أحس بالسرور لانه قد جذب انتباه المجتمعين تماما :

ــ وليس هناك من شك أن خلف أفعال محكمة العدل هذه ، أقصد فى قضيتى أنا . وخلف طريقة القبض على واستجوابى اليوم يعمل تنظيم هائل ، تنظيم لا يستخدم فقط حراسا مرتشين أو مفتشين على قدر كبير من الغباء

أوقضـاة تحقيق أقل مايقال عنهم أنهم يدركون نقائصهم، بل أنه أيضا يضم تنظيما قضائيا من أعلى المستويات ، له كتبة وشرطة وعملاء ومساعدون وربما منفذو حكم الاعدام الذين يرتعد المرء من ذكر اسمهم ، ولكن ما هى أهمية هذا التنظيم الضخم أيها السادة ؟ أن أهميته تتركز فى أن أشخاصا أبرياء يتهمون بالجريمة وان اجراءات لا حكمة فيها تتخذ ضدهم ، وغالبا دون فعالية كما فى قضيتى مثلا ، لكنه بالنظر الى عدم معقولية كل شىء فكيف يمكن للمراكز الكبيرة أن تمنع الفساد المتفشى بين المساعدين ؟ ان هذا مستحيل ، ولابد لاعلى قاض فى هذه المنظمة أن يعترف بوجود الفساد فى محكمته وهكذا فان الحراس يحاولون سرقة ملابس جمهور الناس الذين يعتقلونهم ، ويدخل المفتشون بيوتا غريبة ليستجوبوا مـواطنين شرفاء ، وهو ليس استجوابا حرا بلا اخضاع وتشهير فى المحافل العامة ٠ ولقد أشار الحارسان الى وجود مخازن تحفظ فيها ملابس المساجين ، واننى لاود أن أرى هذه المخازن حيث تترك الملابس التى اشتراها المقبوض عليهم بعرقهم وجهودهم الى أن يصيبها العفن أو على الاقل أريد أن أرى ما يتبقى فيها بعد أن يسطو عليها الموظفون ٠

قطع على ك ٠ حديثه صرخة من نهاية الصالة ، وتطلع الى هناك ليرى ما يحدث ، وقد كان ذلك صعبا لان الاضاءة الخافتة والضباب كان يغلفان كل شىء ، واتضح له أن المرأة التى رآها تغسل الثياب كانت هى السبب فى الضوضاء منذ اللحظة التى دخلت فيها ، ورغم أن ك ٠ لم يعرف اذا كانت هى السبب فى تلك الصرخة أم لا فقد كان كل ما استطاع رؤيته هو رجل يجتذبها الى ركن بجوار الباب وقد أمسك بها بين ذراعيه ، لكنها لم تكن هى من أطلق الصرخة ، فان مصدر الصرخة كان رجلا فتح فمه

وهو يحدق فى السقف وتجمع حولهما بعض الحاضرين فى دائرة صغيرة ، وبدا على متفرجى الشرفة السرور لان ما حدث خفف من الجدية والصراحة التى أدخلها ك ٠ الى الاجراءات ٠

كان أول ما خطر فى ذهن ك ٠ هو أن يعدو عبر الحجرة وقد تخيل أن الحاضرين يرغبون بالطبع فى عودة النظام والهدوء ، وأنهم يرغبون أيضا فى طرد من تسببوا فى اثارة الضوضاء ، لكن الصفوف الاولى من الحاضرين ظلت فى أماكنها دون أن يبدو عليهم أى تأثر ولم يسمحوا له بالتقدم ، بل على العكس من ذلك فقد أحس بيد أحدهم — لم تتح له الفرصة للنظر خلفه — تطبق على ياقة قميصه ، ومد الرجال المسنون أذرعهم لمنعه من السير ، ولم يعد ك ٠ الان يفكر فى الرجل والمرأة بل بدا أنه فقد حريته حقيقة ، وأنه قد قبض عليه فعلا ٠ وهكذا اندفع يهبط المنصة ليصبح وجها لوجه أمام الجمع المحتشد ٠ ألم يخطىء فى فهم هؤلاء الناس ؟ هل كان تقديره لخطبته فوق ما يستحق ؟ هل كانوا يخفون آراءهم الحقيقية بينما كان يتكلم ، وها هم الان ، بعد أن انتهى من حديثه ، قد تعبوا من التظاهر والادعاء ؟ ما هذه الوجوه التى تلتف به ؟ ان عيونهم تتحرك هنا وهناك ولحاهم مدببة صلبة لا يمكن للمرء أن يمسك بها فهى تشبه المخالب ، لكن ما هذا الشىء الذى يختفى خلف الذقون ؟ ان هذا اكتشاف جدير بالاهتمام ، فهى اشارات ذات أحجام وألوان متعددة تبرق على ياقاتهم ، ان لديهم جميعا مثل هذه الاشارات ، وهم جميعا زملاء مهنة واحدة ، سواء من كان منهم فى اليمين أو فى اليسار ، ورأى وهو يستدير أنها نفس الشارة المعلقة على ياقة قاضى التحقيق الذى كان يجلس فى هدوء وهو يراقب ما يجرى ٠

قال ك · وقد هزه هذا الاكتشاف فارتفع صوته :
ـ هكذا ! اذن فكل شخص فيكم هو موظف ، أنتم الموظفون المرتشون الذين كنت أتحدث عنهم ، لقد حضرتم الى هنا لكى تستمعوا الى ما أقول وتعرفوا كل شيء عني : وها أنتم قد تظاهرتم بالانقسام الى مجموعات وصفق بعضكم لى كى استرسل فى الحديث ، وهناك رغبة تجمعكم فى التدريب على استغفال رجل برىء . حسنا لقد نلتم ما تستحقون لانه اما انكم قد اجتمعتم كى أصبح مصدر تسلية حين توقعت أنكم ستدافعون عن البرىء أم اننى سأذيقكم ما أنتم جديرون به ·
وصاح ك · فى رجل مسن يرتعد الى جواره :
ـ أو أنكم قد تعلمتم شيئا أو آخر وأرجو لكم التوفيق فى تجارتكم ·
وأمسك قبعته التى كانت موضوعة على المنضدة بسرعة وشق طريقه الى الباب وسط صمت وذهول الحاضرين ، لكن قاضى التحقيق أسرع خلف ك · وأمسك به قائلا : ·
ـ لحظة من فضلك ·· لقد أردت أن أشير فقط الى هذه الحقيقة ، وهى انك بخطبتك اليوم قد فقدت بارادتك جميع الميزات التى قد يكتسبها المتهم من التحقيق
ظل ك· واقفا يستمع الى هذه الكلمات وعيناه مثبتتان على الباب ويده على المقبض وما أن فرغ قاضى التحقيق حتى ضحك وهو يقول : ـ
ـ أيها الجبناء سأعطيكم كل ميزات التحقيق ·
صاح بهذه الكلمات وهو يفتح الباب ويهرع هابطا درجات السلم ومن خلفه علت الاصوات من فى القاعة فى نقاش حماسى، فقد بدا واضحا ان الجمهور قد عاد الى الحياة وبدأ يحلل الموقف كطلبة اكتسبوا خبرة فيما يفعلون ·

الفصل الرابع

« حجرة التحقيق الخاوية »

وطوال الاسبوع التالى كان ك • ينتظر يوما بعد يوم استدعاء جديدا ، ولم يعتقد أن رفضه للاستجواب أول مرة أخذ بحرفيته ، ولما لم يتلق اشارة حتى مساء السبت ظن أنهم ينتظرونه فىنفس العنوان ونفس الموعد منيوم الاحد • ومن ثم فقد ذهب الى المنزل صباح اليوم التالى مباشرة وعبر الممرات وصعد درجات السلم التى أصبح يعرفها • وهناك حياه بعض ممن تذكروه منذ المرة السابقة • وما أن طرق الباب حتى فتح تحت ضغط يده وظهرت له امرأة لكنه دون أن يلقى اليها ببصره تقدم ليدخل الحجرة الملحقة لكنها قالت : —

— ليست هناك جلسة هذا الصباح •

ولم يصدقها ك • ولكن المرأة أقنعته بأن فتحت له باب تلك الحجرة التى كانتخالية فعلا وشعر ك• انالحجرة وهى خاوية أكثر كآبة مما كانت وهى مزدحمة فى يوم الاحد الماضى . وعلى المنضدة — التى كانت لا تزال فى منتصف المنصة كعهده بها — كانت هناك مجموعة من الكتب • وسأل ك • المرأة دون أن يحس بحب استطلاع ولكن لكيلا يصبح حضوره دون فائدة ما : —

— هل لى أن أنظر فى هذه الكتب ؟

قالت المرأة وهى تغلق الباب مرة أخرى : —

— لا ، ان هذا ليس مسموحا به فان صاحب الكتب هو قاضى التحقيق •

ـ هكذا أرى ، ولابد أنها كتب فى القانون ، ولابد كى تأخذ العدالة مجراها هنا انلايحكم على المتهم وهوبرىء فحسب بل أيضا وهو جاهل ·

قالت المرأة ولم تكن قد فهمت ما يعنيه جيدا : ـ

ـ يجب أن يكون الامر كذلك ·

ـ اذن فيجدر بى أن أعود أدراجى ثانية ·

ـ هل أحمل لقاضى التحقيق أية رسالة ؟

ـ هل تعرفينه ؟

ـ نعم بالطبع فزوجى هو صاحب المحكمة ·

وهنا لاحظ ك · لاول مرة أن الحجرة التى لم يكن بها سوى حوض وصنبور يوم الاحد الماضى أصبحت حجرة معيشة كاملة · ولاحظت المرأة دهشته فقالت : ـ

ـ نعم ، اننا نقطن هذه الحجرة مجانا ، لكن علينا أن نخليها من الاثاث فى الايام التى تعقد فيها جلسات ·· ان وظيفة زوجى لها بعض المساوىء أيضا ·

ـ ان دهشتى ليست موجهة الى الحجرة مثلما هى موجهة الى كونك متزوجة ·

ـ ربما كنت تشير الى ما حدث فى الجلسة الماضية حين أحدثت اضطرابا وأنت تتحدث .

ـ اننى بالطبع أشير الى ذلك ، ان مقاطعتك لى سبحتقصة قديمة الان وقدنسيها الجميعلكن الغضب تملكنى الى أقصى حد عندئذ ، وها أنت تقولين الان أنك امرأة متزوجة ·

ـ ان مقاطعتى لك لم تلحق بك ضررا ما ، فان ما قلته خلق عندهم انطباعا سيئا بالفعل . لقد عرفت ذلك مما سمعتهم يقولونه بعد انصرافك ·

قال ك · وهو يرفض أن يحس بالتخاذل : ـ

ـ ربما كان هذا صحيحا ، لكن هذا ليس عذرا مقبولا

لك ٠

ـ ان جميع من يعرفونني يلتمسون لى العذر ، فان الرجل الذى رأيته يحتضنني دأب على مغازلتى منذ فترة طويلة ٠ انني قد لا أكون ذات جاذبية لمعظم الرجال ، لكنه مدله فى حبى وليست هناك طريقة أبعده بها عنى ، حتى أن زوجى بدأ يتقبل هذا الوضع الان ، ولابد له من ذلك حتى لا يفقد وظيفته ، لان هذا الشاب الذى رأيته هو طالب يدرس القانون وربما أصبح يوما ما فى مركز مرموق ، انه دائمـــا ورائى وقد كان هنا اليوم قبل حضـــورك مباشرة ٠

ـ هذا يفسر كل شىء وليس هناك ما يبعث على الدهشة ٠

قالت المرأة فى بطء وحذر وكأنها تقول شيئا فيه مخاطرة : ـــ

ـ أظن أنك حريص على أن تتحسن الاحوال هنا ، لقد فهمت ذلك من خطبتك التى أعجبت بها شخصيا الى أقصى حد ، رغم أننى لم أسمع سوى جزء منها ، فقد فاتتنى البداية وفى النهاية كنت قد أصبحت مع الطالب على الارض ٠ ان الامور هنا مفزعة ٠

ثم أردفت وهى تأخذ يد ك٠ بين يديها :ـــ

ـ هل تعتقد أنك تستطيع أن تطور الامور ؟

ابتسم ك. وقال وهو يقبض يده وهى لا تزال بـــين يديها : ـــ

ـ فى الحقيقة اننى لست فى موقع يسمح لى بتطوير أى شىء هنا كما تقولين ، ولو أنك قلت شيئا كهذا لقاضى التحقيق لضحك عليك أو عاقبك ٠ واننى فعلا لم أحلم مطلقا بالتدخل من تلقاء نفسى ، ولم أكن لاضيع ساعة واحدة فى التفكير فى اصلاح جهاز العدالة هنا ، لكن

الواقع هو أننى مقبوض على ، وهذا ما يحملنى على التدخل من أجل مصلحتى أنا ، لكن اذا كنت استطيع مساعدتك على أى وجه فان ذلك سيكون من دواعى سرورى بالطبع ، ولن يكون هذا نابعا من حبى للاخرين فقط ، لانك بدورك يمكنك أن تمدى الى يد المعاونة ٠

ـ وكيف يمكننى ذلك ؟

ـ بأن تتركينى ألقى نظرة على هذه الكتب الموضوعة فوق المنضدة ٠

سأفعل ذلك بالطبع ٠

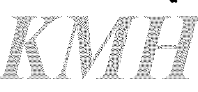
وجذبته الى الداخل خلفها ، وعلى المائدة تفحص الكتابين اللذين كانا قد تآكلا فاضطرا صاحبهما لجمع صفحاتهما بالخيط ، واضطرت المرأة لان تنفض التراب عنهما حتى يستطيع ك ٠ أن يلتقطهما ٠ وفتـح أول الكتابين ليرى صورة فاحشة ٠ فقد كانت تمثل رجلا وامرأة عاريين على أريكة ، وقد كان مقصد الرسام واضحا فى وضاعة ٠ ولم يقلب ك ٠ أية صفحة أخرى بل القى نظرة على عنوان الكتاب الاخر ليجد أنه رواية عنوانها « كيف آلم هانز زوجته » وقال ك ٠ :

ـ اذن فهذه هى كتب القانون التى يدرسونها هنا ، وهؤلاء هم الرجال الذين يجلسون ليصدروا الاحكام على الناس وعلى ٠

ـ اننى سأساعدك ، هل تسمح لى بذلك ؟ ٠

ـ هل تستطيعين مساعدتى دون أن تلحقى بنفسك ضررا ؟ لقد ذكرت لى منذ لحظة أن زوجك يعمل تحت رحمة الموظفين ذوى الشأن ٠

ـ لكنى سأساعدك مهما كان الامر ، هيا بنا نبحث ما يمكن عمله ولا تكترث بالاخطار التى يمكن أن تحدق بى ، فاننى لا أحس بالخطر الا حين أريد أن أحس به ٠ هيا



بنا ·

وجلست علىحافةالمنصة وافسحت له مكانا بجوارها وقالت وهى تنظر فى وجه ك · :

ـ ان لك عينين سوداوين جميلتين ، لقد قال لى الكثيرون أيضا أن عينى جميلتين لكننى أرى أن عينيك أكثر جمالا، ولقد تأثرتبك بمجرد أن رأيتك حين قدمت الى هنا أول مرة ، وقد كنت أنت السبب فى دخولى قاعة المحكمة وهو شىء ليس مسموحا لى به .

وفكر ك · بينه وبين نفسه قائلا اذن فقد تطورت الامور الى هذا ، ها هى تعرض نفسها على وليست أفضل من الباقين ، لقد تعبت من الموظفين الذين يحيطون بها هنا ولذلك فهى تتقرب الى أول غريب يصادفها بأن تتغزل فى عينى ·

ونهض ك · وكأنه يعبر بنهوضه عن الافكار التى دارت برأسه وقال : ـ

ـ لا أعتقد أن ذلك يمكن أن يساعدنى ، فانه لكى تساعدينى يجب أن يكون لك صلات بكبار الموظفين ، فى حين اننى واثق انك لا تعرفين سوى صغارهم من الذين يكتظ بهم المكان هنا ، ولابد أنك تعرفينهم لدرجة تدفعهم لعمل الكثير بلا شك ، لكن أقصى ما تستطيعين فعله لن يؤثر على النتيجة النهائية للقضية ، ولن تكونى قد فعلت شيئا سوى أن ابتعدت عن أصدقائك وأنا لا أرغب فى ذلك. احتفظى بصداقتك لهؤلاء الناس فأنا أعتقد انكفى حاجة اليها · اننى أقول هذا وأنا أشعر بالندم اذ يجب أن أعترف بأننى أعجب بك أيضا ، خاصة وأنت تحدقين فى وجهى بعينيك الحزينتين كما تفعلين الان ، رغم اننى أؤكد لك انه لا حاجة بك الى الخوف على الاطلاق ، ان مكانك بين هؤلاء الناس الذين يجب على أن أحاربهم ، لكن هذا

هو بيتك وأنت تحبين ذلك الطالب ، وحتى اذا كنت لا تحبينه فأنت تفضلينه على زوجك ، وأنه من السهل أن يتبين المرء ذلك من حديثك ٠

وصرخت المرأة دون أن تنهض بل أمسكت بيد ك ٠ التى لم يسحبها بالسرعة الكافية ثم قالت : ـ

ـ لا يجب أن تذهب الان ، لا يجب أن تذهب وذهنك يزدحم بهـــذه الافكار عنى هل تستطيع حقا أن تذهب هكذا؟ ألم أستحق منك اهتماما أكثر من ذلك؟ ألا أستحق عطفك بأن تجلس معى قليلا

ـ لقد أخطأت فهم ما أقول ، فانك اذا كنت ترغبين حقيقة فى بقائى فانى سأبقى بكل سرور ، ولدى وقت كاف لذلك فلقد حضرت الى هنا وأنا أتوقع أن أجد المحكمة منعقدة ، ان كل ما قصدته هو أن أطلب اليك ألا تفعلى شيئا فى هذه القضية من أجلى ، لكن هذا لا يجب أن يضايقك حين تعرفين أننى لا أكترث بالنتيجة التى تصل اليها القضية ، واننى لن أفعل شيئا سوى الضحك حين يصدر الحكم على ، هذا اذا افترضنا أن القضية ستنتهى يوما ما ، وهذا أمر أشك فيه كثيرا ، وفى الحقيقة فاننى أتخيل أنهم قد أهملوها فعلا ، أو انهم سيهملونها عما قريب وذلك بفضل الكسل والنسيان أو ربما بسبب خوف المسئولين عنها ٠ انهم بالطبع سوف يتظاهرون بأنهم سيستمرون فى الاجراءات أملا فى أن يحصلوا منى على نقود ، لكن تأكدى أننى لن أرشو مخلوقا قط ، وهذا شىء تستطيعين القيام به من أجلى ، وهو أن تخبرى قاضى التحقيق أو أى شخص يعتمد عليه فى نشر الانباء اننى لن أقوم بتقديم رشوة لهؤلاء الموظفين مهما كانت الحيل التى سيقومون بها ، وتستطيعين أن تخبريهم بصراحة أن محاولاتهم فىهذا السبيل ستبوء بالفشل،وربما يكونون

قد وصلوا لهذا الاستنتاج وحدهم ، فلو أنهم عرفوا ذلك لوفر عليهم بعض المتاعب ولوفر على بعض الحرج ، لكننى بالطبع سأتحمل أى شىء يسبب لهم الامتعاض · على فكرة هل تعرفين قاضى التحقيق حقيقة

ـــ بالطبع ولقد كان هو أول من طرأ على تفكيرى حين عرضت عليك مساعدتى ، اننى لم أكن أعرف أنه موظف دنىء لكن طالما تقول أنه كذلك فلابد أنك صادق · على أية حال فاننى أعتقد أن التقارير التى يرسلها أو يقدمها الى كبار الموظفين لها بعض التأثير ، وهو يكتب كثيرا من التقارير رغم قولك أن معظم الموظفين كسالى ، لكن هذا لا ينطبق على قاضى التحقيق بالاخص فهو يكتب باستمرار ، ففى يوم الاحد الماضى مثلا ، استمرت الجلسة حتى وقت متأخر من المساء ، وبعد أن انصرف الجميع ظل هو فى القاعة حتى اضطررت لاحضار مصباح يضىء له المكان ، وحين عاد زوجى الذى كان فى أجازة فى ذلك اليوم حملنا أثاثنا الى الحجرة حيث وضعناه فى مكانه وظللنا نتحدث مع بعض الجيران حتى وقت متأخر نسينا فيه وجود قاضى التحقيق وذهبنا الى فراشنا ، وفجأة وفى منتصف الليل استيقظت لارى قاضى التحقيق واقفا الى جوار فراشنا وهو يحاول ألا تنفذ أشعة المصباح لتوقظ زوجى ، ولم يكن هذا ضروريا لان زوجى يغط فى نوم عميق لا يستيقظ منه بسهولة ، وقد شعرت بالفزع حتى كدت أصرخ ، لكن قاضى التحقيق كان رقيقا فهمس الى أنه كان يكتب حتى ذلك الوقت وقد جاء ليعيد المصباح ، وأضاف أنه لن ينسى شكل جسدى وأنا نائمة فى الفراش ، اننى أخبرك بهذا كى تعرف أن قاضى التحقيق ظل منشغلا بكتابة التقارير وخاصة عنك لان استجوابك كان احدى الفقرات الرئيسية فى تلك الجلسة ، وأنا أعتقد أن مثل هذه التقارير الطويلة

يجب أن يكون لها تأثير ٠

وهنا توقفت المرأة لحظة لتلتقط أنفاسها ثم استطردت قائلة : ـــ

ـ وهكذا ترى أن ما حدث يدل على أن قاضى التحقيق قد بدأ فى الاهتمام بى رغم أن هذه ليست الا مرحلة أولى ، وسوف يكون لى تأثير عليه ، ثم أن لدى دليلا آخر على أنه يريد أن يكسب رضائى ، فقد أرسل لى بالامس زوجا من الجوارب الحريرية مع الطالب الذى يعمل معه والذى يصادقه ، وقد فعل هذا مدعيا انها مكافأة لى لتنظيف قاعة المحكمة ، لكن هذا طبعا لم يكن سوى ادعاء فان هذا هو عملى الذى يدفع لزوجى اجر عنه ، انها جوارب جميلة كما ترى ٠

قالت ذلك وهى تمد ساقيها وتكشف عن ركبتيها وتتأمل الجوارب ، ثم فجأة وضعت يدها على يد ك ٠ وقالت : ـــ

ـ هس ٠ ان برتولد يراقبنا ٠

ورفع ك ٠ بصره ببطء لبرى شابا يقف الى جـــوار الباب ، كان صغير الحجم مقوس الساقين ، وقد حاول أن يضيف احتراما لمظهره فأطلق لحية حمراء كان يداعبها بأصابعه باستمرار ٠ وأخذ ك ٠ يحدق فيه باهتمام فقد كان أول طالب يقابله فى مهنة القضاء ، رجل سيصل فى يوم ما الى مركز مرموق فى ذلك العالم الغامض ، لكن الطالب لم يبد عليه أنه لاحظ ك ٠ على الاطلاق ، بل أشار الى المرأة بأصبعه الذى سحبه لحظة من لحيته ثم اتجه الى النافذة ، وانحنت المرأة فوق ك ٠ وهمست تقول : ـــ

ـ أرجو ألا تغضب منى ولا تظن بى سوءا ٠ يجب أن أذهب اليه الان رغم أنه مخلوق مخيف ٠٠ انظر الى ساقيه ، لكنى سأعود بعد دقيقة وسوف أذهب معك عندئذ الى أى مكان تريد ، ولك أن تفعل بى ماتشاء وسوف

يسرني اذا استطعت أن أهرب من هذا المكان لمدة طويلة أو الى الابد ٠

وربتت على يد ك ٠ بحنان وقفزت تهرع نحو النافذة ، ولم يشعر الا بيده تحاول أن تمسك بيدها في الهواء ٠ ها هو قد شعر بجاذبية نحو هذه المرأة ، وبعد تفكير عميق لم يجد سببا يجعله يقاوم هذه الجاذبية ، ولم يجد صعوبة في التخلص من شعوره بالشك فيها وفي أنها تدبر له فخا بناء على تعليمات المحكمة ٠ كيف تدبر هي هذا الفخ ؟ ألا يزال هو حرا بما فيه الكفاية كي يهزأ بسلطة المحكمة ؟ ألا يستطيع أن يثق بنفسه ؟ هذا في حين أن عرضها المساعدة عليهبدا له نابعا من القلب، ثم أنه قد يكون أفضل وسيلة للانتقام من قاضي التحقيق وتابعه الطالب هو أنيستولي منهما على تلك المرأة كي يأخذها لنفسه ، وقد يحدث أن ينتهي قاضي التحقيق من تقاريره الطويلة الشاقة عن ك ٠ ليذهب الى فراش هذه المرأة ليجده خاليا ، ذلك لانها تكون قد هربت مع ك٠ ، ولان هذه المراة التي تقفالان عند النافذة مليئة بالحيويةوالنشاط والدفء تنتمي الى ك ٠ والى ك ٠ وحده ٠ وبعد أن ناقش ك ٠ الامر مع نفسه وهزأ من شكوكه بدأ يحس أن الحديث الهامس الذي يدور بالقرب من النافذة استغرق زمنا طويلا وبدأ يطرق المنضدة بقبضته في حركات رتيبة ٠ ونظر الطالب نحو ك ٠ من فوق كتف المرأة لكنه لم يدع طرقات ك ٠ تؤثر عليه ، بل أنه ازداد قربا منها ووضع ذراعه حولها ، أما هي فقد مالت برأسها ناحيته وكأنها تصيخ له السمع ، وبينما هي تفعل ذلك طبع قبلة على رقبتها ، ووجد ك ٠ في هذه الحركة دليلا كافيا على الطغيان الذي يمارسه الطالب على المرأة كما أشارت الى ذلك شاكية ٠ وفي تلك اللحظة نفسها بدأ ك ٠ يذرع الحجرة جيئة وذهابا ، وفي

حين كان يلقى على الطالب نظرات جانبية أخذ يفكر فى أسرع طريقة يتخلص بها منه ، ومن ثم فانه لم يشعر بارتياح حين قال الطالب وقد أزعجه سير ك • :

ـ اذا لم تكن تتحلى بالصبر فيمكنك أن تذهب ، ولم يكن هناك ما يمنعك من الانصراف منذ مدة طويلة ، ولن يفتقدك أحد هنا ، ثم أنه كان من واجبك أن تنصرف بمجرد وصولى وبأسرع ما يمكن لقدميك أن تحملاك

تجلى الغضب فى كلماته ، لكنها أيضا كانت تتسم بصداقة شخص سيكون فى المستقبل موظفا يخاطب مسجونا فى قاعة المحكمة ، وخطا ك• نحو الطالب وقال له وهو يبتسم : ـ

ـ اننى لا أتحلى بالصبر حقيقة لكن أسهل طريقة تخلصنى من نفاد صبرى هو أن تنصرف وتتركنا ، أو فى نفس الوقت اذا تصادف أن أتيت الى هنا للاستذكار ـ وأنا أعرف أنك طالب ـ فسوف يسرنى أن أخلى لك الغرفة وأرحل مع هذه المرأة ، ذلك وانى أتخيل أن أمامك طريقا طويلا فى دراساتك قبل أن تصبح قاضيا ، ورغم اعترافى بأننى لست خبيرا فى تدريبك القانونى ، لكنى لا أعتقد أنه يتركز كلية فى تعلم القاء الملاحظات السخيفة التى يبدو انك حصلت على كفاءة عالية فيها •

قال الطالب موجها حديثه للمرأة وكأنه يشرح لها كلمات ك• المهينة : ـ

ـ لم يكن من المستحب أن يسمح له بأن ينطلق هنا وهناك ، ولقد قلت لقاضى التحقيق ان هذا خطأ فقد كان يجب على الاقل أن يحبس فى حجرته فى الفترة التى تفصل بين كل استجواب وآخر ، لكن القاضى كثيرا ما يقدم على تصرفات لا أفهمها .

قال ك • وهو يمد يده نحو المرأة : ـ

ــ ما فائدة الكلام ؟ تعالى معى ٠

قال الطالب وهو يرفع المرأة بقوة لم يكن ك٠ يعتقد أنه قادر عليها : ــ

ــ لا ، لا ، لن تحصل عليها ٠

كان ذلك يدل على خوفه من ك ٠ ورغم ذلك فقد خاطر باغضاب ك ٠ الذى بدأ يعدو خلفهما مستعدا للامساك بالفتى اذا لزم الامر ، لكن المرأة قالت له :

ــ لا فائدة من ذلك فان قاضى التحقيق قد أرسل فى طلبى ولن أجرؤ على الذهاب معك ; ٠ ثم ان هذا الشيطان الصغير لن يتركنى ٠

قال ك ٠ وهو يضع يده على كتف الطالب : ــ

ــ وانت لا تريدينه ان يتركك ٠

لكن المرأة أخذت تدفع ك ٠ بعيدا وهى تقول : ــ

ــ لا ، لا ، لا تفعل ذلك ، وما الذى تفكر فيه ؟ دعه يذهب فان أى شىء آخر سيحطمنى ارجوك ان تدعه يذهب فهو يطيع أوامر قاضى التحقيق بأن يأخذنى اليه ٠

قال ك ٠ وقد أعماه الغضب :

ــ فلتذهبوا الى الجحيم وأنا لا أريد أن أراك مرة أخرى ٠

لكنه سار خلفهما ببطء ، وأدرك أن هذه أول هزيمة يتلقاها من هؤلاء الناس ، لكن ذلك لم يقلقه لان هزيمته كانت بسبب اصراره على النضال ، ثم أنه لو مكث هادئا فى بيته يؤدى أعماله العادية لظل أرفع شأنا من هؤلاء الناس ، ولا ستطاع ان يزيح أيا منهم من طريقه بسهولة ، وتخيل ك ٠ الموقف الساخر الذى قد ينشأ لو أن هذا الطالب البائس ركع الى جوار فراش « الزا » وهو يتوسل اليها كى تنظر اليه ، وقد بعثت هذه الصورة السرور فى نفس ك ٠ حتى أنه قرر ان ينتهز الفرصة ــ لو أنها

اتيحت ـ كى يأخذ الطالب لزيارة « الزا »

وغلب ك • حب الاستطلاع فهرع نحو الباب ليرى أين يذهب الطالب بهذه المرأة التىكان ينوء تحت ثقلها، لكن رحلتهما كانت قصيرة فقد دخلا فى المبنى المواجه مباشرة ليصعدا بضع درجات خشبية تقود الى مايبدو انه طابق فوق السطح • كان الطالب يحمل المرأة صاعدا بها درجات السلم ببطء وهو يئن ويتوجع وقد بدا عليـــه الارهاق أما المرأة فقدلوحت بيدها لـ ك• الذى كانيقف أسفل الدرج ، وهزت كتفيها وكأنها تقول له أنه ليست لها حيلة فيما يحدث ، أما ك • فقد وجه اليها نظرة لا تحمل أى شعور وكأنها شخص غريب لا يعرفه فقد أصر الا تبدو عليه خيبة الامل أو الضيق .

واختفى الاثنان فى دهليز طويل فى حين ظل ك • واقفا فى المدخل ، وفى هذه الاثناء كان قد أستنتج أن المرأة قد خانته وانها كذبت فى قولها أنها فى الطريق الى قاضى التحقيق ، فان قاضى التحقيق لا يمكن بالتأكيد أن يكون مقيما فى مثل هذا المكان ، ولم يكن الدرج الخشبى يوحى بما فى نهايته ، لكن ك • لاحظ بطاقة مثبته الى جواره كتب عليها بخط ردىء « قاعة المحكمة ، المكاتب فى الدور العلوى » • هل يمكن أن تكون مكاتب المحكمة فى صندرة هذا المنزل ؟ ان شيئا مثل هذا لا يوحى بالاحترام بل أنه شىء يوحى للمتهمبأن المحكمة ليست لديها أية أموال ومن ثم اضطرت أن تستأجر مكاتب فى منزل يقطنه أكثر الناس فقرا ، لكن كان هناك احتمال أيضا بوفرة النقود لكنها كانت تنفق فى أغراض غير أغراض العدالة ، واستنتج ك • بخبرته فى هذا المجال ان هذا الاحتمال هو الاقرب الى الصواب ، ورغم ذلك فان هذا الاحتمال نفسه بوجود رشوة وفساد فانه يحمل الامال بالنسبة للمتهم أكثر من

مجرد وجود المحاكم فى حالة فقر مدقع ، وفهم ك • الان أيضا لماذا تملكهم الخجل فى أول الامر من استدعائه فى هذه الاماكن الحقيرة واضطروا بدلا من ذلك ان يقبضوا عليه فى حجرته وأخذ ك • يقارن نفسه وهو الذى يعيش فى حجرة واسعة فى البنك تتبعها حجرة انتظار يرى من خلالها الحياة النابضـــة فى المدينة بقاضى التحقيق الذى يضطر ان يجلس فى هذا المكان ، ورغم أنه لا يستطيع ــ مثل قاضى التحقيق ــ ان يأخذ الرشاوى أو ان يحمل امرأة الى حجرته فان ك• كان راضيا تماما بالتخلى عن هذه المزايا على الاقل فى هذه الحياة .

الفصل الخامس

« مغامرة فى مكاتب المحكمة »

كان ك. لا يزال واقفا الى جوار اللوحة حين صعد اليه رجل تطلع الى الحجرة عبر الباب المفتوح ، ومن هذا المكان كان المرء يستطيع أن يرى قاعة المحكمة ، وتوجه الرجل الى **ك** • يسأله اذا كان قد رأى امرأة فى هذا المكان فأجاب **ك** • : ــ

ــ لابد وأن تكون حاجب المحكمة ، أليس كذلك ؟

ــ نعم ولابد أن تكون أنت المتهم **ك** • ، لقد استطعت التعرف عليك فمرحبا بك ، لكنهم لم يعلنوا عن وجود جلسة هذا الصباح •

هز **ك** • رأسه موافقا وظل يحدق فى ملابس الحاجب المدنية التى لم يكن فيها مايميزه كموظف فى المحكمة زرارين اضافيين ظهرا وكأنهما مقطوعين من معطف عسكرى قديم ، قال **ك** • :

ــ لقد كنت أتحدث الى زوجتك منذ لحظة ، لكنها لم تعد هنا الان فقد حملها الطالب الى قاضى التحقيق •

ــ لقد توقعت ذلك فهم دائما يحملونها بعيدا عنى ، ورغم أن هذا هو يوم الاحد وهو يوم أجازتى فقد أرسلونى فى مهمة لافائدة فيها كى يبعدونى عن هنا ، لكن المكان الذى أرسلونى اليه لم يكن بعيدا جدا ، ومن ثم فقد هرعت أنجز المهمة كى أعود بسرعة ، وهكذا ذهبت ألقى بالرسائل من خلال الابواب النصف المفتوحة وقد تقطعت أنفاسى حتى أعود مبكرا ، لكن الطالب قد سبقنى رغم ذلك وهذا طبيعى فلم يكن أمامه سوى أن يعبر الفناء ، اننى أفكر أنه لو لم تكن حياتى تعتمد على هذه الوظيفة لحطمت

هذا الطالب منذ زمن بعيد ، لكن ذلك ليس سوى حلم ٠
قال ك ٠ وهو يبتسم : ـ
ـ أليس هناك حل آخر للمشكلة »
ـ لا علم لى بأى مخرج آخر ، وهاهى الامور تصبح أسوأ من أى وقت مضى ، فلقد كان الطالب حتى الان يذهب بها من أجل ملذاته هو ، أما الان فها هو يحملها الى قاضى التحقيق أيضا ، ولقد كنت أتوقع ذلك منذ فترة ٠

قال ك٠ وهو حريص على مخارج الالفاظ حتى لا يظهر بمظهر الغيور : ـ
ـ لكن ألا تستحق زوجتك اللوم أيضا ؟
ـ نعم بالطبع ، انها أكثرهم استحقاقا للوم ، فانها ترتمى فى أحضانه ببساطة ، أما بالنسبة له فهو يجرى خلف كل امرأة .. وفى هذه البناية وحدها طرد قاضى التحقيق من أكثر من شقة استطاع ان يدخلها خلسة ، ثم ان زوجتى أكثر النساء جمالا فى هذا البيت كله ، وهكذا أجد نفسى فى موقع لا أستطيع فيه الدفاع عن نفسى ٠
ـ لو أن الامور بهذا السوء فلا أعتقد أن هناك مخرجا ٠
ـ ولم لا ؟ فلو أنه تلقى علقة ساخنة يوما ما فلن يجرؤ على ملاحقة زوجتى مرة أخرى ، خاصة وأنه جبان ، لكننى لا أستطيع ان أضربه ، ولا أجد من يسدى الى معروفا بأن يقوم بذلك ، فالجميع يخافون منه بسبب نفوذه الواسع ، ليس هناك من يفعل ذلك سوى شخص مثلك ٠
ـ ولكن لماذا يكون مثلى ؟
ـ لانك معرض للقبض عليك ٠
ـ لكن هذا اكثر مدعاة لان أخشاه ورغم أنه لايمكنه التدخل فى نتيجة قضيتى فقد يستطيع التأثير على التحقيقات التمهيدية ٠

قال حاجب المحكمة وكأن وجهة نظر ك واضعة لديه تماما

ــ نعم ، لا يمكن أحد أن يتحيز فى هذه القضايا ٠

ــ اننى أخالفك الرأى فى هذا ، لكن هذا لا يمنع من أن أعالج موضوع الطالب ٠

قال حاجب المحكمة وكأنه لا يصدق أن أمنية قلبه ستتحقق : ــ

ــ سأكون ممتنا لك الى أقصى حد ٠

واستطرد ك ٠ يقول

ــ وأعتقد ان بعضا من موظفى المحكمة ان لم يكن جميعهم يستحقون نفس هذه المعاملة ٠

وأومأ الحاجب موافقا ثم نظر الى ك ٠ فى ثقـة واستطرد يقول : ــ

ــ ان الثائر لا يمكن ان يمنع نفسه من أن يكون كذلك ٠

لكن بدا وكأن الحديث قد سبب له بعض القلق رغم كل شىء فقد قال فجأة : ــ

ــ على أن أخبرهم بعودتى ، هل تحب أن تأتى أيضا ؟

ــ ليس لى ما أفعله هنا ٠

ــ تستطيع أن تلقى نظرة على المكاتب ولن يهتم أحد بالسؤال عن شخصيتك ٠

ــ وهل فى المكاتب ما يستحق أن أشاهده ٠٠ ؟

قال وقد أحس برغبته فى الرحيل ، الا ان الحاجب قال يغريه بالبقاء : ــ

ــ أعتقد ان الامر يمكن ان يكون مثيرا بالنسبة لك ٠

ــ حسنا ، سوف أصعد معك .

وبدأ ك ٠ يصعد درجات السلم بسرعة أكثر مـن الحاجب نفسه وما أن اصبح فى الداخل حتى كاد يتعثر لوجود درجة فى غير موضعها فقال

ـ انهم لا يهتمون بالجمهور على أى مستوى ٠

أومأ الحاجب موافقا وهو يشير الى دهليز طويل تطل عليه أبواب المكاتب ، ورغم انه لم يكن هناك من نافذة تلقى ضوءا فان الظلام لم يكن دامسا لانه كانت هناك بعض الفتحات فى السطح ينفـــذ منها الضــــوء ، ومن فرجة بعض الابواب رأى ك ٠ مكاتب الموظفين الذين كان بعضهم جالسا والبعض الاخر واقفا ينظر الى بعض من فى الدهليز ،وكان الجالسون فى الدهليز عددا قليلا ربما لان اليوم كان يوم أحد ، وحين نظر ك ٠ اليهم وجدهم يجلسون فرادى على مقاعد خشبية طويلة ثبتت فى جانبى الدهليز ، كانوا يرتدون ملابس رثة رغم ان عيونهم توحى بأنهم ينتمون الى طبقة عالية ، ولما لم يكن هناك مشجب للقبعات فى الدهليز فقد وضعوا قبعاتهم تحت المقاعد ، وما أن رأى من يجلسون بالقرب من الباب ك ٠ ومعه الحاجب يدخلان حتى نهضوا يؤدون التحية ، وتبعهم فى ذلك جيرانهم الذين بدا لهم ان ذلك ضرورى وهكذا وقف الجميع تحية للرجلين أثناء عبورهما، وقفوا وقد تقوست ظهورهم كالشحاذين ٠ وانتظر ك ٠ ان يلحق به الحاجب الذى كان يسير دائما خلفه وقال له

ـ يالهم من بؤساء ٠

ـ انهم جميعا متهمون كل منهم بجريمة ما ٠

ـ حقا وهم لذلك زملاء لى ٠

والتفت ك ٠ الى أقرب رجل اليه وكان طويلا نحيلا رمادى الشعر وسأله :

ـ ما الذى تنتظره هنا ؟

لكن هذا السؤال الذى لم يكن الرجل يتوقعه أصابه بالاضطراب وسبب له الحرج ، خاصة وأنه رجل يهتم بأمور العالم واصبح فى هذا المكان لايعرف،ان يجيب على

مثل هذا السؤال البسيط ، بل أخذ يحدق فى زملائه وكأن من واجبهم ان يمدوا له يد المساعدة وهنا خطا الحاجب نحوهم وقال يشجع الرجل على الحديث :

ـ انهذا السيد يسألك ما الذى تنتظره هنا ، هيا أجبه على سؤاله ٠

وكان لصوت حاجب المحكمة المألوف آثاره المشجعة فقد بدأ الرجل يقول :

ـ اننى انتظر ٠٠

لكنه لم يكمل وكان من الواضح أنه كان ينوى ان يدلى باجابة دقيقة على السؤال ، لكنه لم يعرف كيف يستمر ، وفى تلك اللحظات كان بعض زملائه قد تجمعوا حوله فقال الحاجب ينتهرهم

ـ ابتعدوا من هنا واخلوا الطريق .

وتباعد المتهمون قليلا لكنهم لم يعودوا الى أماكنهم السابقة ، وفى نفس الوقت استجمع الرجل شجاعته وقال يجيب وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة شاحبة

ـ لقد قدمت منذ شهر بعض المستندات الخاصة بقضيتى وها أنا انتظر النتيجة ٠

ـ يبدو انك تلقى متاعب عديدة فى هذه القضية .

ـ نعم لانها قضيتى ٠

ـ لكن الناس جميعا لا يفكرون فى قضاياهم كما تفعل أنت ، فأنا مثلا قد قبض على أيضا لكننى لم أقدم آية مستندات ولم أحاول ان افعل شيئا من أى نوع ، هل تعتقد ان لهذه الاشياء أهمية ؟

أجاب الرجل وقد بدا عليه الشك فى كل شىء وبدأ يظن ان **ك** ٠ يسخر منه وهم بأن يعيد اجابته الاولى مرة أخرى خوفا من أن يقع فى خطأ ما ، لكن **ك** ٠ نظر اليه بغضب فقال الرجل :

ـ على أية حال فقد سلمتهم مستنداتى ٠
ـ ربما لا تصدق اننى مقبوض على أيضا ٠
قال الرجل وهو يبتعد فى غير تصديق
ـ أوه ، نعم بالتأكيد ٠
وأحس ك ٠ بثورة لخضوع الرجل واستسلامه فأمسك به من ذراعيه وقال له فى حدة وكأنما يجبره على تصديق ما يقول :
ـ اذن فأنت لا تصدق ماأقوله لك حقا ؟
ولم تكن لدى ك ٠ رغبة فى ايذاء الرجل ، ورغم ذلك فقد أطلق الرجل صرخة وهويحاول تخليص نفسه فدفعه ك ٠ بقوة حقيقية نحو مقعده وسار فى طريقه ينصت الى الحاجب وهو يقول :
ـ ان معظم هؤلاء المتهمين لهم حساسية خاصة .
وخلفهما تجمع زملاء الرجل ـ الذى نبهتهم صرخته حوله وبدا عليهم انهم يسألونه فى شغف عما حدث ، وسرعان ما حضر حارس على الضوضاء ليرى ما هناك ورغم محاولات الحاجب المتعددة كى يحمله على العودة من حيث اتى فقد أصر الحارس على معرفة ما هناك بنفسه وحياهما وذهب .
ولم يشغل ك ٠ ذهنه طويلا بمن رآهم فى الدهليز خاصة وقد وجد نفسه يستدير الى بهو واسع ليس له باب ، وحين سأل الحاجب عما اذا كان ذلك هو الطريق أومأ هذا بالايجاب ، وأحس ك ٠ بالضيق لان الحاجب كان يسير دائما خلفه وكأنه سجين يسير فى حراسة شرطى ، ومن ثم فقد توقف عدة مرات ينتظر الحاجب كى يسير الى جواره لكن هذا كان سرعان ما يتخلف واراد ك ٠ ان يضع حدا لذلك فقال :
ـ لقد شاهدت كل شىء الان واعتقد انه يجدر بى أن

أذهب ٠

ـ لا انك لم تر كل شيء بعد ٠

ـ لا أريد أن أرى كل شيء فانى أشعر بالتعب ٠ كيف يستطيع المرء أن يصل الى الباب الخارجى .

قال الحاجب فى دهشة :

ـ لايمكن بالتأكيد ان تكون قدضللت الطريق عليك فقط ان تذهب الىذلك الركن ثم تستدير الى اليمين لتجد نفسك فى الدهليز الذى يقع الباب فى نهايته ٠

ـ يجب عليك ان تأتى معى لترينى الطريق فان هناك عدة دهاليز مختلفة وسأفقد طريقى بينها ٠

قال الحاجب فى لهجة تأنيب :

ـ ليس هناك سوى طريق واحد ، ثم اننى لا أستطيع أن أعود معك فعلى أن أسلم رسائلى الان بعد أن ضيعت فترة طويلة معك .

قال ك ٠ بحدة وكأنه قد كشف خداع الحاجب له :

ـ بل يجب ان تعود معى .

همس الحاجب فى أذنه قائلا :

ـ لا ترفع صوتك هكذا فالمكان ملىء بالمكاتب ، واذا لم تكن ترغب فى العودة بمفردك فلتسر معى بعض الوقت وسوف أكون سعيدا بالعودة معك ٠

ـ لا ٠٠٠ لا لن أنتظرك ويجب عليك أن تعود معى الان ٠

لم يكن ك ٠ قد جال ببصره فى المكان الذى يقف فيه ، ولم يفعلذلك الاحين فتحأحد الابواب الخشبية فاستدار ليرى فتاة ـ بدا عليها وكأنها أتت على صوت ك ٠ المرتفع وسألت :

ـ ما الذى يريده السيد ؟

وخلفها بمسافة رأى ك ٠ شبحرجل يقترب فىالضوء

الخافت ، ونظر ك • الى الحاجب الذى قال له أن أحدا لن يهتم بوجوده ، ومع ذلك فها هما شخصان يسألانه عن سبب وجوده هنا ، ولن يمر وقت طويل حتى يلتف حوله بقية الموظفين يطالبون بتفسير لحضوره ، ولم يجد ك • فى ذهنه الا اجابة واحدة معقولة وهى أنه متهم فى قضية ما وجاء يسأل عن تاريخ استجوابه التالى، لكنه لم يرغب فى الادلاء بهذا التفسير لانه يخالف الحقيقة ، فقد جاء هنا ليتأكد بنفسه أن باطن النظام القضائى سىء كظاهره ، ولما كان ك • قد أصبح فى حالة لا تسمح له بمقابلة أى موظف كبير قد يظهر له من خلف أحد هذه الابواب فقد أراد أن يغادر المكان فورا برفقة الحاجب أو اذا لم يكن ذلك ممكنا فبمفرده •

لكن سكوته الطويل أثار الشكوك ، وأخذت الفتاة والحاجب يحدقان فيه فى انتظار تحول يطرأ عليه ، ولمح ك • الرجل الذى رآه فى نهاية الممر يمسك بضلفة الباب ويحركها يمينا ويسارا وينظر الى ما يدور فى شغف ، وكانت الفتاة هى أول من لاحظ أن سبب سلوك ك • هذا هو أنه يكاد يصاب بالاغماء ، فقدمت له مقعدا وطلبت اليه أن يجلس ، ففعل ك • ذلك على الفور واعتمد بمرفقيه على مسند المقعد وسألته الفتاة :

ـ انك تشعر بدوار ، أليس كذلك ؟

وحيث كان وجهها الى جوار وجهه فانه لم ير فيه تلك النظرة القاسية التى تلمع فى عيون النساء فى سن الشباب • وقالت ،

ـ لا تقلق فهذا شىء معتاد هنا ، فان الجميع يصيبهم دوار كهذا فى أول مرة يدخلون فيها هذا المكان ، أليست هذه زيارتك الاولى ؟ حسنا فليس هناك ما يدعو للدهشة فأشعة الشمس تضرب فى عروق السقف فيصبح الجو

ثقيلا خانقا ، وهذا مما يجعل المكان غير ملائم للمكاتب رغم ميزاته الاخرى العديدة ، وفى الايام التى يتجمع فيها كثير من العملاء ، وهذا يحدث كل يوم فان المرء لا يكاد يستطيع التنفس ، وحين تعرف أن غسيل سكان المبنى كله ينشر هنا فلا عجب أن تشعر بالاغماء ، لكن المرء فى النهاية يعتاد على ذلك وسوف لا تشعر بأى اختلاف فى زيارتك الثانية أو الثالثة · هل تشعر بتحسن الان ؟

ولم يجب ك · بل أحس بالخجل لانه أوقع نفسه فى أيدى هؤلاء الناس بسبب ضعفه ، ورغم معرفته بسبب ما يشعر به فلم يزده ذلك الا سوءا ، ولاحظت الفتاة ذلك على الفور فأمسكت بقضيب من حديد فتحت به طاقة فى السقف فوق ك· مباشرة كى يدخل منها الهواء النقى ، لكنها ما أن فعلت ذلك حتى سقط عليهم بعض « الهبـــاب » فاضطرت الى غلق الطاقة مرة ثانية ، وأخذت تنفض الهباب عن ذراعى ك · بمنديلها حيث لم يكن ك · فى حالة تسمح له بذلك ، ولقد كان ك · يفضل أن يجلس هادئا فى مكانه حتى يستعيد ما يكفيه من القوة كى يبتعد عن هذا المكان ، لكنه أحس أنه كلما أسرع فى الابتعاد عن هؤلاء القوم عادت اليه قوته سريعا · قالت الفتاة :

ـ انك لا تستطيع البقاء هنا فانك تعوق الحركة فى هذا المكان ، واذا أردت فسوف أذهب بك الى حجرة المرضى ، أعطنى ذراعك ·

وتلفت ك · حواليه ليعرف كيف تسبب فى اعاقة الطريق لكنه لم يجد شيئا ، ولما لم تكن به رغبة للذهاب الى حجرة المرضى كما أنه كان لا يريد أن يتوغل فى هذا المكان أكثر من ذلك فقد قال :

ـ اننى أستطيع الانصراف الان ·

لكنه حين حاول النهوض من مقعده المريح الذى

استرخى فيه ارتجفت مفاصله ولم يستطع أن ينتصب ، فقال وهو يهز رأسه ويتنهد ثم يجلس مرة أخرى :

ـ لا .. لا يمكننى أن أفعل ذلك .

ثم فكرفىحاجب المحكمة الذىيستطيع أنيساعدهفى الخروج رغم ضعفهلكن هذا كان قد اختفى ، وأخذ ك . يتطلع الى ما وراء الفتاة والرجل الواقفين أمامه لكنه لم يلمح أثرا للحاجب . وقال الرجل الذى كان يرتدى ملابس أنيقة لا تتفق والمكان :

ـ أعتقد أن سبب اغماء السيد يعود الى الطقس هنا ، وأفضل شىء يمكن عمله ليس هو الذهاب به الى حجرة المرضى بل مساعدته على مغادرة هذا المكان كلية .

صاح ك . وقد غمره الفرح :

ـ هذا صحيح وسوف أشعر عندئذ بتحسن كبير ، اننى واثق من ذلك ثم اننى لست ضعيفا الىهذاالحد،كلما احتاج اليه هو ان يسندنى أحد منتحت ابطى. اننى لن أسببتعبا لاحد فليس البابىعيدا على أية حال، خذونى الى الباب وسوف أستريح قليلا على درجات السلم حتى أفيق ، اننى لا أتعرض لمثل هذه النوبات عادة ، واننى أشعر بالدهشة لما حدث لى ، اننى أيضا موظف تعودت على الطقس فى المكاتب ، لكن الطقس هنا أكثر مما يحتمل كما قلتم بأنفسكم ، هل تسدون الى معروفا بأن تتركونى أستند الى سواعدكم قليلا لاننى أشعر بدوار حين أحاول الوقوف .

ورفع ك . ذراعيه كى يسهل عملية الاستناد اليهما .

لكن الرجل لم يستجب لطلبه بل احتفظ بيديه فى جيبه بهدوء وضحك قائلا للفتاة :

ـ ها أنت ترين أننى قد أصبت الهدف فان السيد يشعر بالدوار هنا فقط وليس فى أى مكان آخر .

وابتسمت الفتاة أيضا وربتت على ذراع الرجـــل بأطراف أصابعها وكأنه قد ذهب بعيدا فى المزاح مع ك ٠
وقال الرجل وهو لا يزال يضحك :
ـ ياللسماء ! لكننى بالطبع سأصحب السيد الى الباب .

قالت الفتاة وقد ألقت برأسها الى الخلف :
ـ اذن فسوف يصبح كل شىء على ما يرام ٠٠ اسمع يا سيدى، لاتسىء فهم ضحكاته، فهذا السيد لوسمحت لى بتقديمه اليك هو موظف ادارة الاستعلامات ، وهو يمد عملاءنا بكل المعلومات التى يحتاجون اليها ، وحيث أن الجمهور لا يعرف اجراءاتنا جيدا فهو يطلب الكثير من المعلومات ، وهذا السيد لديه اجابة على أى سؤال لو فكرت أن تسأله شيئا ، لكن هذا أيضا ليس سبب بلوغه هذا المركز فهناك أيضا ملابسه الانيقة ، فاننا ـــ أقصد هيئة الموظفين ـ قد عقدنا العزم على أن يكون موظف الاستعلامات أكثرنا أناقة حيث أنه أول من يقابل العملاء ، وسوف يخلق ذلك انطباعا حسنا لديهم ، أما نحن فاننا كما لابد قد لاحظت ، نرتدى أرخص الثياب وأقلها تمشيا مع مقتضيات الاناقة ، اننى آسفة اذ أقول أنه لا توجد حكمة فى انفاق النقود على الملابس ، فنحن لا نغادر هذا المكان الا لماما ، حتى أننا ننام هنا فى أغلب الاحيان ، لكن بالنسبة لهذا السيد ـ كما قلت ـ فقد وجدنا أنه بحاجة حقيقية الى ثياب ، ولما رفضت الادارة امداده بها فقد أسهم الموظفون، وبعض العملاء أيضا واشترينا له ثيابا أنيقة ، ولم يعد ينقصه شىء لترك انطباع حسن عند الناس ، لكن ها هو يفسد كل شىء بضحكاته التى تحمل الناس على الابتعاد عنه ٠

قال الرجل ساخرا :



ـ انك على حق يا فراولين ولكننى لا أفهم لماذا تخبرين السيد بأدق أسرارنا فى حين أنه لا يريد سماعها على الاطلاق .. ؟ أنظرى اليه تجديه مشغولا تماما بأفكاره الخاصة ٠

ولم يجد ك ٠ لديه رغبة فى التعقيب على ذلك ، ولاشك فى أن نوايا الفتاة تجاهه كانت طيبة بمحاولتها التسرية عنه واعطائه الفرصة ليستجمع شتات نفسه ، لكنها لم تنجح فى ذلك فقالت :

ـ لقد اضطررت لشرح سبب ضحكاتك حتى لا يفسرها بأنها اساءة اليه ٠

ـ أعتقد أنه سيتجاوز عن أية اهانات لو أننى فقط ساعدته فى الخروج من هنا ٠

ولم يعلق ك ٠ بشىء أيضا ، بل انه لم يرفع ناظريه اليهما بل تركهما يناقشان أموره وكأنه ليس كائنا حيا ، وكان هو يفضل ذلك فعلا ، وفجأة أحس بيد الرجل تحت أحدى ذراعيهويد الفتاة تحت الذراع الاخرى. ونظر ك٠ اليهما وقد هزته المفاجأة نظرة عرفان بالجميل ونهض ببطء تاركا لهما أن يحركاه الى الامام ، وسمع الفتاة تهمس له فى أذنه وهم يقتربون من الدهليز :

ـ قد يبدو لك وأنا أتحدث عن هذا السيد أننى حرصت على اظهار موظف الاستعلامات فى صورة حسنة ، لكن صدقنى اننى أقول الحق ، فهو ليس قاسى القلب وليس مضطرا لمساعدة المرضى باخراجهم من هنا لكنه يفعل هذا رغم كل شىء ، وربما لم نكن جميعا قساة القلوب وانه يسعدنا أن نساعد أى انسان ولكننا ـ كموظفى القضاء ـ نأخذ بسهولة مظهر القساة الذين لا يرغبون فى مساعدة أحد وهذا شىء يسبب لى القلق ٠

قال موظف الاستعلامات وقد أصبحوا الان فى الدهليز

وفى مواجهة الرجل الذى تحدث اليه ك• منذ قليل ،
وأحس ك • بالخجل فقد كان يقف أمام الرجل منتصبا
شديد المراس فى أول الامر لكنه الان يســتند الى
شخصين ، لكنه لم يبد على الرجل أنه رأى شيئا بل وقف
أمام موظف الاستعلامات وقال له فى تواضع :

ــ أعرف أنه لا يمكن أن أتوقع اتخاذ قرار بشأن
مستنداتى اليوم ، لكننى قدمت لانتظر هنا على أية حال ،
فاليوم يوم الاحد ولدى وقت طويل اضيعه •

أجابه موظف الاستعلامات قائلا :

ــ ليس هناك ما تعتذر عنه ولا داعى للقلق ، فرغم أنك
تشغل مكانا ليس لك، فمادمت لاتسبب مضايقة لاحد فاننى
لن أمنعك مطلقا من أن تتبع تطور قضيتك من مكان قريب
كما تشاء ، ثم انه حين يرى المرء أشخاصا يهملون
واجباتهم بشناعة فانه يقدر رجالا مثلك . .لك أن تجلس .

قالت الفتاة تهمس فى أذن ك • :

ــ أنظر كيف يتحدث بلباقة بالغة الى العملاء •

أومأ ك • موافقا لكنه بوغت بسؤال مــوظف
الاستعلامات حين قال :

ـــ ألا تحب أن تجلس هنا ؟

أجاب ك • بطريقة حازمة تماما رغم أنه كان يحس
بعكس ما يقول :

ــ لا • • اننى لست فى حاجة الى أن أستريح •

قال ذلك وكأنه يحس بدوار البحر ، وكأنه على ظهر
سفينة تتقاذفها الامواج وأن الامواج تهب من أول الدهليز
لترفع معها العملاء وتلقى بهم فى نهايته • وقد أثار عجبه
تماسك الفتاة والرجل اللذين كانا يصحبانه ، وها هو بين
أيديهما فاذا تركاه يسقط فسوف يصبح كتلة من الخشب ،
وأحس ك • بهما يتقدمان فى السير بانتظام دون مشاركة

منه فقد أصبحا الان يحملانه حملا ، وفى النهاية لاحظ أنهما يتحدثان اليه لكنه لم يستطع أن يعى ما يقولان له ، لم يعد يسمع شيئا سوى الطرقات التى تملا المكان كله ، وهمس بصوت خفيض يسألهما أن يرفعا صوتيهما ، وفجأة وكأن الجدار الذى يواجهه قد انفتح ، أحس بتيار هواء يلفحه وسمع من يقول الى جواره :

ــ أنه فى أول الامر أراد أن يذهب،ثم حين نخبره مئات المرات أن الباب أمامه فهو لا يتحرك للاتجاه صوبه .

ورأى ك • أنه يقف أمام الباب الخارجى الذى فتحته الفتاة • ومرة واحدة أحس بكل قواه قد عادت اليه فوضع قدمه على أول درجات السلم ومن هناك ألقى تحية وداع على معاونيه اللذين أومأ برأسيهما .

وأخذ ك • يكرر عبارات الشكر مرة ومرات ويشد على أيديهما مرات أخرى، ولم يتركهما الا حين لاحـظ أنهما ــ وقد اعتادا الجو الفاسد داخل المكاتب ــ قد أزعجهما الهواء النقى • وكادت الفتاة تتهاوى على الارض لولا أن أغلق ك • الباب بسرعة • ثم وقف هنا ك • برهة سوى فيها شعره بيده ووضع قبعته على رأسه ، قبعته التى رآها ملقاة أمامه على السلم ، والتى لابد وأن موظف الاستعلامات قد ألقى بها اليه •

وبعد ذلك هبط ك • السلم وهو يشعر بمنتهى النشاط ، وأخذ يقطع الطريق فى خطوات واسعة حتى أصبح يخشى من رد الفعل على نفسه ، فان ك • بتفكيره المتزن لم يصادف فى حياته مفاجأة كهذه ، فهل تهيأ جسده للثورة عليه بعد أن تحمل الموقف حتى الان بشجاعة ؟ ولم يطرد فكرة الذهاب لاستشارة طبيب فى أقرب فرصة ولكنه أيضا سيشير على نفسه بأن يقضى أيام الاحد التالية فى أغراض أفضل من هذه •

الفصل السادس

« فراولين بورستنر وصديقتها »

في الايام القليلة التالية كان من المستحيل على ك · ان يتبادل بضع كلمات مع فراولين بورستنر . ورغم محاولاته الدائمة وبكل وسيلة ان يلتقى بها فقد تمكنت من الهرب منه . كان يعود من مكتبه الى المنزل مباشرة ويجلس على الاريكة فى حجرته وقد اطفأ النور وركز انتباهه على بهو المدخل ولو ان الخادمة اغلقت باب حجرته التى كانت تبدو خاوية فانه بعد قليل كان يعيد فتح الباب ، بالاضافة الى أنه كان يستيقظ مبكرا كل صباح على أمل ان يرى فراولين بروستنر قبل ذهابها لعملها ، لكن أيا من هذه الاجراءات لم يفلح . واضطر أخيرا ان يكتب لها خطابين ، أرسل أحدهما وعليه عنوان عملها والاخر وعليه عنوان المنزل ــ وحاول فى كل منهما ان يشرح مسلكه ويعرض أن يقدم اية ترضيه تقبلها ، ويعد بألا يتخطى أية حدود تضعها له ويتوسل اليها ان تتيح له الفرصة كى يتحدث اليها فقط · خاصة وأنه لن يستطيع ان يستقر على قرار مع فراو جروباخ قبل ان يستشيرها فى الامر .واختتم رسالته انه سينتظر فى حجرته طوال يوم الاحد التالى الى أن تعطيه اشارة بأنها ستمنحه فرصة لقائها او على الاقل سبب رفضها مقابلته ·

لكن خطابات ك · لم ترد اليه كما هى ، كما ان فراولين بروستنر لم ترسل له اجابة عليها · لكنه على آية حال

لاحظ في يوم الاحد اشارة كان معناها واضحا ، فقد راى من خلال فرجة بابه حركة غير عادية في المدخل ، ضجة سرعان ما عرف سببها . فان فتاة ألمانية تعمل مدرسة للغة الفرنسية وتدعى مونتاج ، فتاة شاحبة تعانى من عرج خفيف تشغل حجرة بمفردها ـ هذه الفتاة كانت تنقـــل حاجاتها الى حجرة فراولين بورستنر ـــ وظلت فراولين مونتاج لساعات طويلة تعبر المدخل جيئة وذهابا تنقل أشياءها قطعة قطعة ، ثوبا ثوبا وكتابا وراء كتاب.

وحين دخلت فراو جروباخ تحمل له فطوره لم يستطع ك . الا أن يقطع الصمت الذى ساد بينهما منذ مدة طويلة ـ ذلك لانه منذ ان أظهر ك . غضبه منها أخذت هى تقوم بكل أعماله مهما كانت تافهة قال ك . وهو يصب قهوته :

ـ ما سبب هذه الضوضاء فى الخارج ؟ ألا يمكن تأجيل ذلك الى وقت آخر ؟ هل يجب ان ينظف المكان فى يوم الاحد ؟

ورغم ان ك . لم يرفع عينيه الى فراو جورباخ ، فقد لاحظ انها تنهدت بارتياح فهذه الاسئلة ـ رغم خشونتها ـ كانتبالنسبة لها بمثابةغفرانمنه لها او ما يقرب منذلك واجابته قائلة :

ـ ان أحدا لا ينظف البيت ياهر ك . بل هى فراولين مونتاج تنقل أشياءها لتقيم مع فرواولين بورستنر فى حجرتها .

قالت ذلكوانتظرت كى ترىاثر ذلك على ك . وهلكان يسمح لها بأن تستمر ، لكن ك . تركها فى حيرة من أمرها بأن اخذ يقلب السكر فى القهوة وهو يفكر فى صمت . ثم نظر اليها وقال :

ـ هل تراجعت عن ظنونك السابقة بشأن فراولين

بورستنر ؟

صاحت فراو جروباخ قائلة وكأن سؤل ك . هو ما تنتظره ،

ـ ياهر ك . لقد أخذت ملاحظة عابرة لى مأخذ الجد أكثر من اللازم ، اننى لم اقصد مطلقا ان اضايقك أو أضايق أى شخص آخر وأنت تعرفنى ياهر ك . منذ مدة طويلة ـ انك لا تعرف كيف تعذبت فى الايام السابقة ؟ هل أنا التى تتكلم بسوء عن نزلاء منزلها؟ وهل تصدق هذا ياهر ك . ؟

نطقت الكلمات الاخيرة من بين شـــهقاتها ورفعت مريلتها لتمسح وجهها فقال ك . وهو ينظر عبر النافذة بينما يفكر فى فراولين بورستنر وسبب سماحها لفتاة غريبة مثل مونتاج بالاقامة معها .

ـ ارجوك الا تبكى يا فراو جروباخ، اننى لم اكن اقصد ماقلته لك ، ولقد أساء كل منا فهم الاخر ، لكن هذا على أية حال يمكن ان يحدث بين الاصدقاء بين الحين والاخر .

وأزاحت فراو جروباخ المريلة عن عينيها لترى اذا كان ك . احس بالرضى حقا . . أما هو فقد غامر بالقول بعد ان احس من تعبيرات فراوجروباخ ان ابن أختها الكابتن لانز لم يعرف شيئا .

ـ هل تعتقدين حقا ان علاقتنا يمكن ان تسوء بسبب فتاة غريبة ؟

قالت فراوجروباخ وقد احست بارتياح لما قاله ك . اذ كانت مأساتها تكمن فى انها تنتهز مثل هذه الفرص لتقول أشياء لا تتسم باللباقة .

ـ هذا هو ماأريد قوله ياهر ك . فلقد كررت السؤال لنفسى لـــماذا يهتم الهر ك . الى هذا الحـــد بفراولين

بورستنر ؟ لماذا تشاجر معى بسببها رغم معرفته ان أية كلمة غاضبة منه تفقدنى النوم ؟ ثم أننى لم أقل عن الفتاة شيئا لم أره بعينى ٠

لكن ك ٠ لم يجب على هذا فانه فى وقت آخر كان يطردها من الحجرة عند أول بادرة ، لكنه بدأ يرتشف القهوة ببطء تاركا فراوجروباخ تحس ان وجودها لم يعد مرغوبا فيه ٠

أما فى الخارج فقد كان ك ٠ يستطيع سماع وقع خطوات فراولين مونتاج وهى تعرج من أول المدخل الى نهايته وقال متسائلا وهو يشير الى الباب :

ـ هل تسمعين ذلك :

ـ أجابت فراوجروباخ وهى تتنهد :

ـ نعم ولقد عرضت عليها أن أساعدها أو أعطى الامر للخادمة كى تمد يد المساعدة أيضا لكن هذه الفتاة لها ارادة قوية ، فقد أصرت على أن تنقل كل شىء بنفسها ، ولقد كنت فى الماضى أحس بالندم لقبول فراولين مونتاج فى منزلى لكن هاهى تنقل الان لتعيش مع فراولين بورستنر ٠

قال ك : وهو يسحق السكر المتبقى فى قاع كوبه .

ـ هل يتسبب ذلك فى أية خسارة لك ؟

ـ لا ٠٠ بل أننى أرحب بذلك فسوف تصبح لدى حجرة خالية يستطيع ابن أختى الكابتن ان يشغلها ، فلقد كنت أحس بالضيق اذ خيل الى أنه تسبب فى مضايقتك فى الايام القلائل الماضية وهو يشغل حجرة المعيشة المجاورة لك ٠

قال ك ٠ وهو ينهض

ـ يالها من فكرة ٠٠ ليس هناك مجال لمضايقتى ، ويبدو أنك تعتقدين اننى حساس أكثر من اللازم لاننى

لاأتحمل ان تذرع فراولين مونتاج البهو جيئة وذهابا ، هاهى تعود مرة أخرى ٠

احست فراوجروباخ بيأس ثم قالت

ـ هل تريدنى ياهر ك . ان اطلب منها ان تؤجل نقل بقية حاجاتها الى وقت آخر ؟ سأفعل ذلك لو كنت تريد.

صاح ك. قائلا : لكنه لابد لها أن تنتقل الى حجرة فراولين بورستنر !

وأومأت فراو جروباخ برأسها وهى لا تفهم ما يقصده ك . تماما ، أما هذا فقد قال :

ـ حسنا انه يجب عليها ان تنقل حاجاتها هناك . وبدأ يذرع الحجرة جيئة وذهابا من النافذة الى الباب وبالعكس وبهذا كان يمنع فراو جروباخ من ان تتسللمن الحجرة وهو شىء كانت تريد ان تفعله .

وماان وصل ك ٠ الى الباب حتى سمع طرقا عليه ، وفتحه ليسمع الخادمة تقول ان فراولين مونتاج تريد ان تتحدث الى هر ك . وهى ترجوه ان يذهب اليها فى حجرة الطعام حيث تنتظره ، وأستمع ك ٠ بعبوس لهذه الرسالة ، ثم القى نظرة تشوبها السخرية الى فراو جروباخ التى بدا عليها الفزع ، وبدا وكأنه يقول لها انه كان ينتظر دعوة فراولين مونتاج هذه منذ مدة طويلة وانها تتفق تماما مع ما تحمله صباح هذا الاحد من نزلاء منزل فراو جروباخ ، ثم ارسل الخادمة الى فراولين مونتاج لتخبرها انه قادم فى التو . واستدار ك. الى دولاب ملابسه ليغير سترته ولم يجد ما يقوله لفراو جروباخ وهى تنتقد على سلوك فراولين مونتاج غير المناسب سوى أن يخبرها بأن ترفع بقايا فطوره فقالت فراو جروباخ :

ـ لماذا ! انك لم تكد تأكل شيئا .
ـ احملى الصينية بعيدا على أية حال · ونظر ك · وهو يعبر بهو المدخل الى باب حجرة فراولين بورستنر المغلق وفكر فى أنه لم يدع لدخـول حجرتهـا بل الى حجرة الطعام التى دفع بابها ليدخل دون ان يطرقه ·

كانت حجرة طويلة ضيقة لها نافذة واحدة عريضة ولم يكن هناك مساحة كافية لوضع دولابين فى كل جانب فوضعا فى أحد الاركان وشغلت بقية الحجرة بمائدة الطعام الطويلة التى كانت تبدأ من عند الباب لتصل حتى النافذة وكانت المائدة معدة كى يتناول عليه عدد من الناس طعام الغداء فان معظم النزلاء كانوا يتناولونه فى المنزل يوم الاحد ·

وما ان دخل ك · الحجرة حتى تقدمت اليه فراولين مونتاج من مكانها عند النافذة .. حيا كل منهما الاخر فى صمت ثم قالت فراولين مونتاج وهى ترفع رأسها فى اعتداد كالعادة :

ـ لا أعرف اذا كنت تعرفنى أم لا ·

وأخذ ك · يحدق فى وجهها وقد تقطب مابين حاجبيه ثم قال :

ـ اننى اعرفك بالطبع فلك مدة طويلة مع فراوجروباخ اليس كذلك ؟

ـ لكنك كما أعتقد لا تهتم كثيرا بالنزلاء ·

ـ لا ·· هلا تفضلت بالجلوس ؟

وفى صمت اتخذ الاثنان مجلسيهما فى نهاية المائدة وجلس كل منهما فى مواجهة الاخر ، لكن فـراولين مونتاج · نهضت على الفور لانها كانت قد نسيت حقيبتها على افريز النافذة فذهبت لتأتى بها من نهاية الحجرة وعادت والحقيبة تتأرجح فى يدها قالت

ـ لقد سألتنى صديقتى ان أقول لك شيئا ٠٠ هذا كل ما هناك ولقد ارادت هى ان تأتى بنفسها لكنها تحس بتوعك هذا الصباح ، وهى تطلب اليك ان تلتمس لها العذر وتستمع الى بدلا منها ، ولو أنها حضرت بنفسها لما قالت لك اكثر مما سأخبرك به وعلى العكس فأنا اعتقد اننى سأقول لك اكثر لاننى محايدة هل تعتقد ذلك ايضا ؟

قال ك ٠ وقد أحس بالضيق لرؤية فراولين مونتاج تحدق فى شفتيه بثبات

ـ حسنا ماالذى ستقولينه لى ٠٠ ؟ من الواضـــح ان فروالين بورستنر ترفض ان تمنحنى الفرصـــة التى طلبتها كى أقابلها ٠

ـ هذا صحيح أو بالاحرى انهليس صحيحا ابالمرة فانك تعرض الموقف بطريقة خشنة فعلى العموم لا يمكن القول بأن الناس ترفض اللقاءات او تقبلها ، ولكن الذى يحدث هو أن أحدهم قد لا يجد فائدة من اللقاء كما هو الحال الان وبعد ملاحظتك الاخيرة فاننى استطيع ان أتحدث بصراحة ، فالذى أعرفه هو أنك تتوسل لصديقتى كى تتصل بك عن طريق الخطابات او اللقاءات ، والان فان صديقتى ـ كما أخمن أنا على الاقل ـ تعرف مضمون هذا اللقاء وهى مقتنعة ـ لاسباب لا أعرفها أنا انه لا فائدة من اتمام هذه المقابلة فعلا ٠ وكى أكون صادقة معك فانها لم تذكر لى شيئا عن هذا الامر حتى يوم أمس وقد أشارت اليه بطريقة عابرة وقالت بين ما قالته انه يجب الا تتعلق اهتماما كبيرا علىمقابلتكلها لانك لم تفكر فىهذه المقابلة الا بالصدفة ، وانك سوف تنتهى الى أن الامر برمته ليس سوى مسألة سخيفة هذا اذا لم تكن قد انتهيت الى هذه النتيجة فعلا ٠

وتوقفت فراولين مونتاج لحظة ريثما تلتقط أنفاسها ثم اردفت قائلة :

ـ وقد عرضت عليها أن أقوم بدور الوسيط ، فوافقت بعد تردد وبعد محاولات عديدة لاقناعها ، لكننى أرجو ان أكون قد أهتممت بمصالحك أيضا ٠

قال ك ٠ أشكرك

ثم نهض ببطء وحدق فى فراولين مونتاج ، ثم فى المنضدة ثم نظر عبر النافذة الى حيث كانت أشعة الشمس تسقط على المنزل المقابل وبدأ ك ٠ يسير نحو الباب وفراولين مونتاج خلفه ببضع خطوات وكأنها لا تثق فيما سيفعله ، ولكنهما عند الباب اضطرا لان يعودا ادراجهما ، فقد فتح الباب ليدخل الكابتن لانزا ، وكانت هذه اول مرة يراه فيها ك . عن قرب .. كان رجلا طويلا فى اوائل الاربعينات من عمره ، له وجه مكتنز لونته الشمس ، وحياهما الكابتن بانحناءة خفيفة ثم توجه الى فراولين مونتاج وقبل يدها باحترام ، فأصبحت معاملته لفراولين مونتاج الرقيقة واضحة التناقض مع معاملة ك ٠ لها ٠ لكن فراولين مونتاج ــ على اية حال ــ لم يبد عليها انها استاءت من ك . لانها كما تخيل هذا ــ قد رتبت هذه الفرصة كى تقدمه للكابتن ٠ لكن ك ٠ لم يكن يرغب فى ذلك ، وكان تقبيله ليديها فى تقديره بمثابة تواطؤ بين الاثنين لمنعه من الالتقاء بفراولين بروستنر تحت ستار الحفاظ على مصلحته ٠ ولم يخمن ك ٠ ذلك فحسب بل أنه رأى أن فراولين مونتاج قد اختارت سلاحا ذا حدين فقد بالغت فى أهمية لقاء ك. بفراولين بورستنر وفى نفس الوقت حاولت ان تظهر ك. بأنه هو الذى يعلق عليه اهتماما لكنها لن تخدع الا نفسها ، فان ك. لايريد المبالغة فى شىء وهو يعرف أن فراولين بروستنر ليست سوى

تايبست عادية ولن تستطيع مقاومته طويلا وحين وصل لهذه النتيجة تجاهل ماقالته له فراولين مونتاج ٠

فكر ك ٠ فى كل ذلك وهو يغادر الحجرة بعد ان القى تحية قصيرة ، واتجه الى حجرته مباشرة ، لكن غمغمة سمعها خلفه من فراولين مونتاج جعلته يفكر فى أن يقدم مفاجأة لها هى والكابتن ، فأخذ ينظر حواليه فى حرص وينصت فى اهتمام حتى يتأكد ان احدا لن يقاطعه من الحجرات الاخرى .ولما كان الهدوء يسود المكان فيما عدا الاصوات الخافتة من حجرة الطعام فقد اصبحت الفرصة سانحة له وطرق ك. باب فراولين بروستنر برفق ،ولمالم يسمع استجابة أعاد الطرق مرة أخرى لكن دون جدوى وفكر فى نفسه هل هى نائمة ؟ ام هل تدعى انها غير موجودة ام هل هى حقا مريضة ؟ ام هل تهرب من مقابلته وقد عرفت ان هذا الطوق الرقيق هو صاحبه ؟ وخمن ك٠ انها بالداخل فاعاد الطرق بقوة اكثر لكن هذا ايضا لم تكن له نتيجة ففتح الباب بحذر وهو يشعر انه يقدم على عمل طائش ليس له فائدة . لكن احدا لم يكن داخل الحجرة،ثم ان الحجرة لم تكن كما تركها ك. آخر مرة فقد كان هناك فراشان الى جوار الحائط ،اما المقاعد القريبة من الباب فقد غطتها ثياب داخلية وملاءات اما الدولاب فكان مفتوحا على مصراعيه ، ولقد كان من الواضح ان فراولين بروستنر قد ذهبت فى حين كانت فراولين مونتاج تلقى على مسامعه فى حجرة الطعام ما حفظته عن ظهر قلب لكن ك . لم يفاجأ تماما لانه فى هذه المرحلة لم يكن يتوقع ان تسقط فراولين بروستنر فى يده بهذه السهولة ولم يقدم على هذا الا لكى يزعج فراولين مونتاج ، لكنه تلقى صدمة حقيقية حين رأى ــ وهو يغلق الباب ــ فراولين مونتاج والكابتن ما زالا واقفين يتحدثان عند حجــرة

الطعام وفكر ك · انهما كانا واقفين هناك طوال الوقت لكنهما حاولا ان يتجنبا الظهور بمظهر المترقب وانهما كانا يتحدثان بصوت خفيض وهما يتتبعان حركاته وكأنه عابر سبيل لكن نظراتهما على أية حال اثرت فيه تأثيرا سيئا . وأسرع الى حجرته وهو يسير بمحاذاة الحائط .

الفصل السابع

الجـــــلاد

بعد ذلك بأيام قليلة كان ك • يسير فى أحد ممرات البنك فى طريقه الى الخارج حين سمع بعضهم يتنهد خلف احد الابواب . كان الوقت ليلا وليس هناك سوى اثنين من الموظفين فى ادارة الرسائل المستعجلة يعملان فى ضوء خمن انها حجرة تستخدم كمخزن للمهملات رغم انه لم يدخلها مطلقا وتوقف ك • فى دهشة كى يتأكد انه لم يخطىء ، ووسط الصمت سمع صوت التنهدات مرة أخرى • وكان أول ما خطر بباله هو أن يستدعى واحدا ممن تخلف من الموظفين فربما يحتاج لشاهد • لكن هذا الخاطر سرعان ما اختفى حين شعر بحب استطلاع جارف ، فدفع الباب بعنف ليفتحه • تحققت ظنونه فقد وجدها حجرة مهملات رصت فيها أكوام من الورق وزجاجات الحبر . وفى وسط الحجرة وقف ثلاثة رجال ، انحنت قاماتهم قليلا بسبب انخفاض السقف وسأل ك • فى صوت متحشرج يغلبه الانفعال :

ــ ما الذى تفعلونه هنا ؟

كان احد الرجال قد بدا صاحب النفوذ ــ يرتدى سترة من الجلد بدون أكمام وقد فتحت عند الصدر ، ولم يتكلم الرجل لكن الرجلين الاخرين صاحا فى صوت واحد :

ــ انقذنا يا سيدى ، انهم يجلدوننا لانك شكوتنا الى

قاضى التحقيق
وهنا فقط تعرف ك • عليهما فقد كانا الحارسين فرانز وويلم ، وأدرك أيضا ان الرجل الثالث كان يمسك بيده سوطا يضربهما به فقال ك . وهو يحدق فيهم .
ـ لماذا ، اننى لم أقدم أية شكوى ، اننى لم اقل سوى ما حدث فى حجرتى ، ثم أن مسلككم هناكلم يكن يخلو من اللوم •
قال ويلم فى حين اخذ فرانز يحتمى خلفه من الجلاد :
ـ لو عرفت يا سيدى ان اجرنا ضئيل لا يكاد يسد الرمق لما قسوتعلينا ،ان لدى عائلة اعولها وفرانز يريد أن يتزوج ، ومن ثم فأى منا يحاول أن يخرج بأى شىء حيث أن العمل الشاق يؤدى الى طريق مسدود • لقد كانت قمصانك مغرية تماما لانها محرمة علينـــا نحن الحراس ،وهناك تقليد يقولبأن الملابسالحريرية هىمن نصيب الحراس،وهو شىء معقول حيث أنه لا فائدة لمثل هذه الاشياء بالنسبة لرجل ساء حظه حتى قبض عليه لكنه لو أصر على الشكوى فاننا يجب أن نعاقب •
ـ لم تكن لدى أية فكرة عن هذا ، ولم أطلب أن تعاقبا ولكننى فقط كنت أدافع عن مبدأ
واستدار ويلم الى زميله فرانز وقال له :
ـ ألم أقل لك يا فرانز أن السيد لم يطلب مطلقا أن نعاقب ؟ وها انت تسمع أنه لم يكن يعرف اننا يجب أن نعاقب •
أما الرجل الثالث فقد استدار يخاطب ك • قائلا :
ـ لا تنخدع بما يقولانه لك ، فان العقاب عادل كما هو حتمى •
قال ويلم وهو يضع يده فوق جانب فمه الذى غطته الزرقة :

ـ لا تستمع اليه يا سيدى فاننا نعاقب لانك اتهمتنا ، ولو لم تفعل لم يكن ليحدث لنا شىء ولم نكن سنعاقب حتى لو اكتشفوا هم ما حدث · هل تعتقد ان هذه هى العدالة ؟ خاصة بالنسبة لى وأنا الذى له سجل حافل بالخدمات كحارس أمين ؟ انك ياسيدى يجب ان تعترف بأننا قمنا على حراستك بطريقة مرضية ، لكن ها نحن نفقد فرصتنا فى الترقى الى رتبة جـلادين كهذا الرجل فى المسـتقبل القريب . انه سعيد الحظ لان احدا لا يشكوه ، فان الشكوى من هذا النوع لا تحدث الا نادرا ، لقد فقدنا مستقبلنا يا سيدى وسوف يحكم علينا بالقيام بعمل يدوى شاق وذلك بالاضافة الى جلدنا وهو شىء شديد الايلام ·

قال ك . وهو يتفحص السوط الذى اخذ الرجل يحركه للامام وللخلف :

ـ هل يؤلمكم السوط الى هذا الحد ؟

قال ويلم : ـ علينا ان نخلع ثيابنا اولا .

وقال ك · وهو يتأمل وجه الجلاد الممتلىء القاسى :

ـ آه ، ها أنا أرى ، أليست هناك طريقة لتخليص هذين الحارسين من الجلد ؟

قال الرجل وهو يهز رأسه بالرفض :

ـ لا ، لا يجب ألا تصدق كل ما يقولانه يا سيدى، فان الخوف قد افقدهما صوابهما ، فان ما يقوله هذا الحارس عن مستقبله ، ليس سوى سخف · انظر كيف هو سمين وسوف يضيع السوط بين طيات لحمه · هل تعرف ما الذى جعله سمينا هكذا ؟ انه يتخم نفسه بفطور كل من يذهب للقبض عليه ؟ ألم يسطو على فطورك أيضا ؟ ثم أن رجلا بهذه السمنة لا يمكن أن يصبح جلادا ، هذا شىء لا شك فيه ·

قال ويلم يتحداه :

ــ لكن هناك جلادين فى مثل حجمى .
قال الجلاد وهو يقرعه بالسوط :
ــ لا ، ويجب الا تستمع الى ما يقول ، عليك ان تخلع ثيابك .
قال ك . دون أن ينظر الى الجلاد ثم يخرج محفظته :
ــ سأعطيك مكافأة اذا تركتهما يذهبان .
ــ اذن فسوف تقدم شكوى ضدى أنا أيضا وتسبب فى جلدى . لا ، لا .
ــ كن عاقلا ، فلو كنت أريد لهذين الحارسين أن يعاقبا لما حاولت أن أشترى حريتهما منك ، كنت فى هذه الحالة اتركك وانصرف مغلقا هذا الباب خلفى ، واذهب الى منزلى مغلقا اذنى وعينى ، لكننى لا أريد أن افعل ذلك بل أريد حقا ان اراهما طليقين ، ولو عرفت انهما سيعاقبان لما ذكرت ما فعلاه ولا حتى اسميهما لاننى حقا لا الومهما فاننى ألوم المنظمة التى ينتميان اليها ، فالرؤساء الكبار هم الجديرون باللوم ..
صاح الحارسان : ــ هذا حقيقى .
قال ك . وهو يزيح جانبا السوط الذى أخذ الجلاد يرفعه :
ــ فلو أن الذى يجلد الان كان قاضيا كبيرا لما منعتك من ضربه كما تريد بل على العكس كنت اكافئك كى تزيد من اجتهادك
ــ ان ما تقوله معقول تماما لكننى أرفض الرشوة ، فوظيفتى هى أن أجلد الناس وهذا ما سوف أفعله .
وحتى هذه اللحظة كان الحارس فرانز ــ وقد ظن ان تدخل ك . سينجح فى انقاذهما يختفى خلف ويلم ، اما الان فقد تقدم الى الامام وركع على ركبتيه ليمسك بذراع ك . ويهمس فى اذنه قائلا :

ـ اذا لم تكن تستطيع أن تنقذنا فحاول أن تنقذنى وحدى على الاقل ، فان ويلم أكبر منى سنا وأقـل حساسية ، ثم انه جرب الجلد منذ بضع سنوات لكننى لم أتعرض لهذا العقاب مطلقا ذلك بالاضافة الى اننى كنت أتبع تعليمات ويلم فهو بمثابة مرشدى ، ثم أن حبيبتى تنتظرنى على باب البنك وهذا ما يسبب لى الخجل والتعاسة ٠

وبدأ يمسح وجهه المبلل بالدموع فى سترة ك ٠ ، أما الجلاد فقد قال وهو يمسك السوط بيديه الاثنتين ويهوى به على ظهر فرانز :

ـ اننى لا استطيع أكثر من ذلك ٠

وما أن هبط السوط على ظهر فرانز حتى أطلق صرخة دوت فى أنحاء الممـــر بحيث يمكن لكل من فى المبنى أن يسمعوه ٠

وصاح فيه ك ٠ بانفعال بأن يصمت وهو يتطلع فى الاتجاه الذى سيأتى منه الموظفون سريعا ثم دفع فرانز بقوة جعلته يسقط على الارض ، وكاد يفقد وعيه وينشب أظافره فى الارض ، لكنه وهو فى هذه الحالة لم يفلت من العقاب فقد انهال عليه السوط حيث هو ، وفى تلك اللحظات رأى ك ٠ أحد الموظفين فى نهاية الممر وخلفه آخر وبسرعة أغلق ك ٠ الباب خلفه وخطا نحو النافذة المطلة على الفناء ليفتحها ويطل منها ثم صاح ليمنع الموظفين من الاقتراب :

ـ انه أنا ، مساء الخير أيها المعاون ٠

ـ هل حدث شىء ؟

ـ لا ٠ لا أنه ليس الا كلبا ينبح فى الفناء ٠

ولما لم يبتعد الموظفان على الفور أضاف قائلا :

ـ يمكنكما العودة الى عملكما ٠

وحتى ينهى الحديث ابتعد عن النافذة ، وحين نظر منها بعد لحظات كانا قد ذهبا ، لكنه لم يكن يرغب فى العودة الى حجرة التعذيب ولم يرغب أيضا فى العودة الى منزله • وكان الفناء الذى طل عليه مربعا تحيط به المكاتب من كل اتجاه ، تلك المكاتب التى كانت مغلقة ومظلمة حينئذ . واحس ك . بخيبة أمل عميقة لانه لم يستطع أن يمنع عملية الجلد ، لكن هذا لم يكن خطأه فلو ان فرانز لم يطلق هذه الصرخة المدوية (ولابد ان الالمقد افقده صوابه) لربما استطاع ك • أن يجد طريقة يقنع بها الجلاد ، واذا كان المستوى الادنى من التنظيم القضائى كله من الاوغاد فلماذا يكون الجلاد ــ وهو أكثر المهن ابتعادا عن الانسانية ــ يصبح استثناء ؟ ثم ان ك . قد لاحظ عينيه وهما تلمعان عند رؤيته للورقة النقدية ، وربما كان قد أظهر اخلاصا فى عمله ليفوز بالمزيد ، وعلى أية حال فان ك • لم يكن سيبخل عليه بما يريد لانه كان حريصا بالفعل على أن يجنب فرانز وويلم الجلد ، وطالما عقد ك • العزم على محاربة التنظيم الفاسد للمحكمة فلقد كان من واجبه أن يتدخل فى هذه المناسبة ، لكنه ما أن بدأ فرانز فى الصراخ حتى اصـــبح أى تدخل من جـــانبه مستحيلا ، فانه لم يكن يستطيع أن يترك الموظفين يصلون حيث هو ليشاهدوه مع هؤلاء الناس فى حجرة المهملات ، بل أن أحدا لا يستطيع حقا أن يقوم بمثل هذه التضحية ، ولو أن الحالة كانت تستدعى تضحية منه لخلع هو بنفسه ملابسه وقدم نفسه للجلاد بديلا عن الحارسين ، لكن الجلاد لم يكن بالطبع سيرضى بهذا التغيير ، اذ أنه ــ دون أن يجنى أية ثمرة ــ سيشترك فى مخالفة خطيرة لواجبه ، وطالما استمرت المحاكمة فان على ك • أن يكون محصنا ضد اية مضايقة من جانب موظفى المحكمة ، ومن ثم فلم

يكن أمامه الا أن يغلق الباب رغم أن هذا لم يبعد عنـــه الخطر ٠

كان لايزال يسمع خطوات الموظفين على البعد، ولكيلا يلفت انتباههم أغلق النافذة واتجه ناحية السلم الرئيسى ، وعند باب حجرة المهملات توقف لحظة لينصت ، لكن كل شىء كان فى صمت القبور، وربما ظل الجـلاد يضرب الحارسين حتى فقدا الوعى ، ولم يكد **ك** . يمد يده ويضعها على مقبض الباب حتى أبعدها مرة أخرى فانه لم يكن أمامه مايفعله لاجلهما ، فربما يظهر الموظفون فى أية لحظة ، لكنه اقسم الا يترك المسألة تمر دون ان يعاقب المسئولين الكبار من الموظفين الذين لم يجرؤ احد منهم على أن يريه وجهه حتى الان ، واخذ **ك** ٠ وهو يهبط درجات السلم الخارجى للبنك يلاحظ كل من يمر به لكنه لم ير اى اثر لفتاة تنتظر ، ومن ثم فان رواية فرانز عن حبيبته التى تنتظره لم تكن سوى أكذوبة اخترعها كى ينال منه مزيدا من الشفقة ٠

وطوال اليوم التالى لم يستطع **ك** . ان يبعد شبح الحارسين من ذهنه ، ولذلك فان تفكيره لم يكن مركزا فى عمله واضطر للبقاء فى مكتبه حتى ساعة متأخرة من الليل ، وحين كان يمر بحجرة المهملات فى طريقه الى الخارج لم يستطع ان يقاوم رغبته فى ان يفتح الباب ، وكان ما رآه مثيرا لدهشته فبدلا من الظلام الذى كان يتوقعه وجد الجلاد وقد امسك فى يده السوط والحارسين امامه وقد بدآ يصيحان عند رؤيته ، اغلق **ك** . الباب على الفور واخذ يضرب عليه بقبضته وكأنما يحكم من غلقه وهرع الى مكتبه ليأمر موظفيه صائحا :

ــ اخرجوا كل ما فى حجرة المهملات ،



ووعده الموظفون بأن يفعلوا ذلك فى اليوم التالى فجلس معهم ك. بضع دقائق يقلب فى بعض الدفاتر وهو يأمل ان يعطيهم احساسا بأنه يفتش على عملهم ، ولما رأى أن الرجال لا يستطيعون الانصراف من البنك قبله ذهب الى منزله وهو يحس بالارهاق وأن ذهنه قد أصبح خاويا تماما .

الفصل الثامن

« العم كارل »

وبعد ظهر أحد الايام ـ وكان ذلك أثناء انشغال ك • بعمله ـــ حدث ان دخل حجرته رجل شق طريقه بين موظفين كانا يقفان أمامه ، وكان هذا الرجل هو عمه كارل . كان هذا العم رجلا محترما من الريف ، ولم يدهش ك . لحضوره فقد كان يتوقع وصوله بين وقت وآخر ، وقد كان ك • طوال الشهر الماضى يتوقع ظهور عمه ويتخليه يدخل كما حدث الان وقد انحنى ظهره قليلا ممسكا بقبعته الواسعة فى يده اليسرى ويمد يـده للمصافحة وهو لا يزال عند الباب • ولقد كان عمه كارل دائما فى عجلة من أمره فقد كان لديه احساس بأنه يجب أن يشغل الايام التى يحضر فيها الى المدينة بآداء أعمال كثيرة بالاضافة الى التمتع والتسلية • ولان ك • كان يعيش فى كنف عمه فى الماضى فقد كان يحس نحوه بالشكر وعرفان الجميل ولذلك كان يساعده بأقصى ما فى استطاعته ، وأحيانا كان يدعوه لقضاء الليل معه ويدعوه باستمرار (هيكل العائلة) •

وبعد ان تبادلا التحية مباشرة ـــ وقبل ان يجلس العم كارل فى المقعد الذى قدمه له ك . طلب منه ان يحدثه على انفراد قائلا والالم يكسو وجهه :

ـ ان هذا ضرورى ، ضرورى جدا حتى انتشل عقلى من

الهم والكمد

وعلى الفور أمر ك ٠ الموظفين بالخروج من الحجرة وأعطى تعليمات بألا يسمح لاحد بالدخول ٠ وما ان أصبحا بمفردهما حتى جلس العم على المكتب فى وضع مستريح واخذ يعبث ببعض الأوراق دون ان ينظر اليها ثم قال متسائلا : ــ

ــ ما هذا الذى سمعته يا جوزيف ؟

ولم يقل ك ٠ شيئا فقد كان يتوقع هذا السؤال ، لكنه وقد أحس فجأة بالتحرر من توتر العمل استسلم لاحساس رائع بالاسترخاء ، وأخذ يحدق من خلال النافذة الى الجانب الاخر من الشارع الذى كان يرى منه جزءا صغيرا ، وصاح عمه مرة أخرى وهو يلوح بيديه : ــ

ــ ها أنت تحدق خارج النافذة يا جوزيف ، أرجوك بحق السماء أن تجيب على سؤالى ، هل هذا حقيقى ؟ هل يمكن أن يكون حقيقيا ؟ ٠

قال ك ٠ وهو ينتزع نفسه من حلمه الخاص :

انني يا عمى العزيز لا أعرف ما تقصده ٠

قال عمه محذرا : ــ اسمع يا جوزيف ، لقد كنت دائما حريصا على قول الحق ، فهل أفسر كلماتك هذه على أنها علامة سيئة ؟

ــ انني استطيع ان أخمن بالتأكيد ما تهدف اليه فربما تكون قد سمعت شيئا عن محاكمتى

قال عمه وهو يهز رأسه فى رزانة :

ــ ولكن من الذى أخبرك بأمرها ؟

ــ هذا هو ، فلقد سمعت عن محاكمتك ٠

ــ لقد كتبت الى ايرنا تخبرنى بذلك رغم انها لا تراك الا لماما ،انني اعرف انك لا توليها اهتماما كافيا ،وانا آسف لذلك لكنها رغم كل ذلك سمعت بما حدث لك ، ولقد تسلمت

منها خطابا هذا الصباح فركبت بالطبع أول قطار الى هنا وليس لدى سبب للمجىء سواك ، وسوف أقرا لك الان الجزء الذى تذكر فيه مسألتك فى خطابها ٠

واخرج العم كارل خطابا من جيبه وبدأ يقرأ :

ـ ان ابنتى تقول « اننى لم ار جوزيف منذ مدة طويلة فذهبت كى أراه فى البنك فى الاسبوع الماضى لكنه كان مشغولا لدرجة أننى لم استطع رؤيته بعد أن انتظرت حوالى ساعة كاملة ، ولقد اضطررت للانصراف بعدها حيث كان لدى درس فى البيانو رغم أننى كنت أحب التحدث معه وربما اتيحت لى الفرصة قريبا ، ولقد أرسل لى جوزيف صندوقا من الحلوى بمناسبة عيد ميلادى ، وقد كان ذلك منه لمحة رقيقة نسيت أن أكتب عنها فى حينها ولم أتذكرها الا حين سألتنى ، ثم ان هذه الحلوى اختفت بمجرد أن وصلت الى بيت الطالبات الذى أقيم فيه حتى أن المرء لينسى أنه أهدى اليه صندوق من الحلوى ، ولكن بالنسـبة لجوزيف فأننى أشعر أن هنـاك ما يجب أن أطلعك عليـه ٠

فحين كنت أنتظر مقابلته فى البنك وكان فى حجرته رجل آخر سألت الساعى اذا كانت المقابلة ستستمر طويلا ، فقال ان ذلك محتمل فان المقابلة كانت تتعلق بالقضية المرفوعة ضد جوزيف ، وحين سألت عن تلك القضيةوعما اذا كان الرجل مخطئا ، أصر على أنه يقول الحق وان هناك قضية خطيرة ضد جوزيف لا يعرف هو عنها شيئا ، وقال الساعى أيضا أنه يود مساعدة الهر ك ٠ لانه رجل طيب وعادل لكنه لا يعرف السبيل لتقديم هذه المساعدة ، ومن ثم فهو يأمل أن يقف الى جانب الهر ك ٠ رجل له نفوذ ، وهو يعتقد أن ذلك سيحدث بالتأكيد ويعود كل شىء الى مجراه الطبيعى ، غير أنه الان يرى من

حالة ك • الذهنية ان الامور ليست على ما يرام ، وانني بالطبع لم آخذ ما قاله الرجل على محمل الجد وطلبتمنه ألا يتحدث بذلك الى أى انسان فان ما قاله لا يعدو أن يكون ثرثرة فارغة •

وعلى أية حال فانه قد يكون من المناسب يا أبى العزيز أن تستعلم ـ فى زيارتك التالية للمدينة ـ عن حقائق الامور ، واذا استدعى الامر فعليك أن تتصل بأصدقائك ذوى النفوذ وتطلب تدخلهم ، وحتى اذا لم يكن ضروريا فعليك أن تأتى كى تتيح الفرصة لابنتك كى ترحب بك وتطبع على وجنتيك قبلة وهو شىء يسعدنى التفكير فيه » •

انتهى العم كارل من قراءة هذه الفقرة من الخطاب ومسح دمعة ترقرقت فى عينيه وقال :

ـ يا لها من طفلةطيبة •

وأومأ ك • موافقا رغم أنهكان قد نسى وجود ايرنا كلية بين مشاغله ومتاعبه العديدة التى صادفها مؤخرا ، وها هى قد اخترعت قصة صندوق الحلوى كى تحفظ له ماء وجهه أمام عمه وزوجة عمه .. كان الموقف مؤثرا حقا؟ ثم انه يستطيع الان الذهاب الى ايرنا فى مدرستها الداخلية لاعطائها تذاكر المسرح التى اشتراها لها ، وان لم تكن فى مستوى ما قدمته له ، ثم أنه لايشعر الان أن فى امكانه الثرثرة مع فتاة صغيرة فى الثامنة عشرة من عمرها •

قال العم كارل الذى نسى فى غمرة انفعاله بسبب الخطاب أنه فى عجلة من أمره :

ـ ما الذى ستقوله الان ؟

ـ نعم يا عمى أن ما قلته حقيقى •

ـ حقيقى ؟ ولكن ما هى هذه الحقيقة ؟ وكيف بالله

يمكن أن يكون ذلك حقيقيا ؟

ما هى هذه القضية ؟ انها ليست قضية جنـائية بالتأكيد ·

ـــ لا . انها قضية جنائية .

صاح العم كارل وصوته يعلو رويدا رويدا :

ـ وها أنت تجلس فى منتهى الهدوء وهناك قضية جنائية تحوم حول رقبتك .

ـــ كلما كنت هادئا كان ذلك افضل فى النهاية .. لا تقلق .

ـ انه لشىء لطيف أن تسألنى ألا أقلق ·· اسمع يا عزيزى جوزيف ، فكر فى نفسك ، فكر فى اقاربك ،فكر فى سمعتك ·· لقد كنت على الدوام مثار فخرنا حتى الان ولا يمكن لك أن تلطخ اسم العائلة بالعار ، ان أسلوبك لمعالجة الموقف لا يعجبنى على الاطلاق فانه ليس سلوك رجل برىء مازال فى كامل قواه ، أخبرنى بكل ما هنالك حتى أستطيع مساعدتك ، انه شىء يتعلق بالبنك بطبيعة الحال ، أليس كذلك ؟

ـ لا ، لكنك تتحدث بصوت مرتفع ياعمى ، وأنا أشعر أن الساعى يقف خلف الباب مباشرة لينصت الى ما نقول وأنا أكره ذلك ، ويجدر بنا أن نذهب لنتحدث فى مكان آخر وسوف أجيب على كل ما تسأل عنه على قدر ما أستطيع ، ثم اننى أعرف أن العائلة تستحق منـى تفسيرا ·

ـ صحيح ·· هذا صحيح ولكن أسرع يا جوزيف ·

قال ك · وهو يستدعى أكبر مساعديه فى التليفون الذى حضر على الفور :

ـ ليس على سوى أن أترك بعض التعليمات ·

وفى فورة انفعاله أشار كارل للموظف ان ك · قد

ارسـل يطلبه ، وهو شيء بدا واضحا كل الوضوح ، أما ك • فقد وقف الى جوار مكتبه يشير الى بعض الاوراق ويشرح للشاب ما يجب أن يقوم به فى غيابه ، وأخذ الموظف يستمع فى هدوء وانتباه الى ما يقوله ك • الذى شعر بضيق لوقوف عمه الى جواره ينصت الى ما يقول ، لكن وقوف العم كارل لم يطل ، فقد اخذ يذرع الحجرة جيئه وذهابا ، ويتوقف بين الفينة والفينة امام النافذة أو صورة معلقة على الحائط ثم يكلم نفسه قائلا « ان هذا أمر غامض كل الغموض » او يقول « الله وحده هو الذى يعرف نتيجة هذه المسألة » •

لكن الموظف تظاهر بأنه لا يلاحظ أى شيء ، بل أخذ ينصت الى ك • الى النهاية ثم أخذ يكتب عدة ملحوظات وأخيرا انصرف وهو ينحنى لكل من ك • وعمه الذى ما أن خرج الشاب حتى أمسك الستائر بكلتا يديه صائحا :

ـ ها قد انصرف هذا المخلوق أخيرا ، ويمكننا الان أن ننصرف أيضا •

لكنه من سوء حظ ك • أنه لم يستطع أن يحمل عمه على الصمت وعدم الاستفسار وهما فى الدهليز الرئيسى حيث كان بعض الموظفين والسعاة يقفون ، وبينما كان نائب المدير بنفسه يمر ، فان العم كارل قال وهو يرد على انحناءات الموظفين •

ـ هيا الان يا جوزيف واخبرنى بصراحة عما تكون هذه القضية كلها •

واضطر ك • الى أن يجيبه بملاحظات عابرة وهو يضحك حتى وصل الى السلم الرئيسى حيث شرح لعمه أنه لم يكن يرغب فى الكلام بصراحة أمام الموظفين ، وعندئذ قال العم :

ـ حسنا ولكن نفس عما بصدرك الان •

ان أول ما فهمته يا عمى هو أن هذه القضية لن تعرض أمام محكمة عادية ٠

ـ هذا أمر سىء تماما ٠

ـ كيف ؟

ـ أقصد أن هذا ليس فى صالحك ٠

أصبحا الان يقفان على السلم الخارجى للبنك وبدا لـ ك . ان البواب ينصت الى ما يقولان فجذب عمه الى عرض الطريق حيث ابتلعتهما حركة المرور ٠

ولم يعد العم كارل الان يستفسر بالحاح وحماس عن القضية بل انهما سارا فعلا بضع دقائق فى صمت تام،ثم سأله العم كارل وقد توقف فجأة حتى ازعج من يسيرون خلفه :

ـ ولكن كيف حدث ذلك ؟ ان مثل هذه الامور لا تهبط على الانسان فجاة ، بل انها تتطور خلال حقبة طويلة من الزمن ولابد أن تكون هناك مقدمات ٠ لماذا لم تكتب لى عن هذا مطلقا خاصة وأنت تعرف انني مستعد لان أفعل أى شىء من أجلك « انني مازلت وصيا عليك بشكل ما ، وقد كنت فخورا بذلك حتى الآن ، اننى بالطبع سأفعل كل مافى وسعى لمساعدتك ٠ كل ما هنالك أن الوقت ربما يكون قد فات فى هذه المرحلة ، لكن أفضل ما تفعله على أية حال هو أن تحصل على أجازة قصيرة تقضيها هنا فى الريف ٠٠ ها أنا الاحظ أن جسدك قد نحل قليلا وسوف تستعيد قوتك فى الريف ، ذلك بالاضافة الى أن أعصابك ستهدا هناك بعد التوتر الذى اصـابك طوال الفترة السابقة ، ثم انك ستكون قد ابتعدت بشـكل ما عن مخالب المحـكمة ، فلديهم هنـا اجهـزة يسـلطونها عليك لو أرادوا أما فى الريف فلن يكون أمامهم سوى أن يعينوا وكلاء لهم أو يتصلوا بك بالبرق أو التليفون ،

وسوف يخفف ذلك من أثر ما يفعلون بالتأكيد ، انك بالطبع لن تهرب منهم كلية ، لكن ستتاح لك الفرصة لالتقاط الانفاس

ــ لكنهم قد يمنعوننى من السفر .

ــ لا أعتقد أنهم سيفعلون فانهم قبل كل شىء لن يخسروا الكثير بذهابك .

ــ لقد ظننت يا عمى انك لن تتأثر بهذه المسألة أكثر منى ، وها أنت تحملها أهمية أكثر من اللازم .

صاح العم كارل وهو يتخلص من قبضة ك . على ذراعه ويتوقف مرة أخرى ليعطل المرور ثانية : ــ

ــ جوزيف ؟ لقد تغيرت الى اقصى حد ، ولقد تعودناك صاحب ذهن صاف ، فهل يخذلك الان ؟ هل تريد أن تخسر هذه القضية ؟ وهل تعرف ما قد يعنيه ذلك ؟ ان ذلك سوف يعنى تحطيمك وتحطيم جميع اقاربك او على الاقل تلطيخهم بالعار ، أرجوك أن تتماسك يا جوزيف فان عدم اهتمامك يسبب لى الجنون ، وكلما نظرت اليك أكاد أصدق المثل القديم الذى يقول ان الخصم دائما خاسر .

ــ يا عمى العزيز ان الانفعال لن يفيدنى بشىء ولن يعود عليك بالفائدة أنت أيضا ، ولن يكسب أحد قضيته اذا ترك نفسه للانفعال ، وأرجوك أن تثق فى خبرتى العملية ، كما اننى احترم خبرتك ، وطالما تقول ان العائلة لها شأن بهذه القضية مادامت الفضيحة قد تلحقها (رغم أننى لا أعرف كيف يمكن لذلك أن يحدث) فسوف أقبل مشورتك طائعا . الا أننى فقط أعتقد أن ذهابى الى الريف لن يكون مجديا لانه سيبدو وكأننى أهرب لاننى مذنب ثم أننى رغم مشاغلى هنا فاننى أستطيع دفع القضية الى الامام بنشاط .

قال العم كارل بنبرة بدا فيها ارتياحه :

ــ هذا صحيح ولقد اقترحت عليك الذهاب للريف لانني ظننت أن اهمالك للقضية يعود عليك بالخطر وأنت هنا ، وانني يمكن أن أحل محلك فى الاهتمام بها ، ولكن اذا كنت تنوى ان تدفعها للامام بنشاط كما تقول فان هذا أفضل بالتأكيد ٠

ــ لقد اتفقنا على ذلك اذن والان ماذا تقترح ان تكون خطوتى التالية ٠

ــ ان على بطبيعة الحال أن أفكر فى الامر عمليا ، وعليك أن تتذكر انني عشت فى الريف عشرين عاما بصفه مستمرة وأن آرائى فى مثل هذه الامور لم تعد كما كانت ، ثم انني فقدت الكثير من معارفى ذوى النفوذ خلال هذه الفترة وقد أصبحت معزولا فى الريف كما تعرف ٠ ان المرء لا يعى ولا يقدر مثل هذه الامور الا فى وقت الطوارىء ، ذلك بالاضافة الى ان مسألتك كانت مفاجأة بالنسبة لى رغم انني خمنت شيئا من هذا القبيل من خطاب ايرنا ، وقد تأكدت من صحة ذلك بمجرد أن رأيتك اليوم ، وعلى اية حال فان ذلك ليس مهما والمهم هو الا تضيع وقتا ٠

وقبل أن ينتهى العم كارل من حديثه كان يقف على أطراف أصابعه ينادى سيارة أجرة ، وما أن أصبحا فى داخلها حتى اعطى للسائق عنوانا وقال يحدث ك ٠ :

ــ سنذهب مباشرة الى المحامى « هولد » فلقد كان زميلى فى المدرسة ، انك تعرف اسمه بالطبع ٠٠ كيف لا تعرفه وقد اصبحت له شهرة فى الدفاع عن الفقراء ، لكنني أثق فيه لانه انسان قبل أى شىء آخر ٠

ررغم أن ك ٠ أزعجته الطريقة التى يعالج بها عمه المسألة فقد قال : ــ

ــ انني ارغب فى تنفيذ أى اقتراح لك يا عمى ٠

ورغم أنه لم يكن مستريحا للذهاب الى محام يدافع عن الفقراء فقد قال :

ـ اننى لا أعرف اذا كانت مثل هذه القضية تحتاج الى محام ٠

ـ نعم بالطبع ، ولم لا ؟ والان عليك أن تخبرنى بكل ما حدث حتى هذه اللحظة حتى أكون فكرة عن موقفنا الان ٠

وعلى الفور بدأ ك ٠ فى سرد قصته دون أن يترك أية تفاصيل ، فان الصراحة الكاملة كانت الطريقة الوحيدة التى يرد بها على ماخمنه عمه من أن القضية ستجلب لهم العار ، وقد أشار ك ٠ الى فراولين بورستنر اشارة عابرة ، لكن هذا لم ينقص من صراحته طالما لم تكن لها علاقة بالقضية ، وبينما كان ك ٠ يسرد قصته كان ينظر من نافذة السيارة ، ولاحظ انهما يقتربان من الحى الذى ذهب هو اليه عند زيارته لمكاتب المحكمة ورغم انه لفت انتباه عمه الى هذه الحقيقة الا أن هذا لم يبد عليه الاهتمام بتلك الملاحظة .

وتوقفت السيارة امام منزل مظلم ، ودق العم كارل جـــرس أول باب قابله فى الطابق الاول ، وبينمـــا كانا ينتظران ابتسم وهو يقول فى همس :

ـــ ان الساعة الثامنة ليست بالميعاد المناسب لحضور العملاء ، لكن « هولد » لن يضايقه ذلك منى ٠

وخلف فتحة فى الباب ظهرت لهما عينان سوداوان اخذا يحدقان فيهما ثم اختفتا مرة اخرى دون ان يفتح الباب .

وبعد أن أكد ك ٠ والعم كارل أحدهما للاخر انه قد رأى هاتين العينين فعلا ، قال العم كارل وهو يطرق الباب ثانية :

ـــ قد تكون خادمة حديثة العهد بالمكان ، وربما كانت

تخاف الاغراب ٠

ـ ومرة أخرى ظهرت العينان وقد بدا فيهما الحزن لكن هذا ربما كان خيالا سببه المصباح الخافت فـوق رأسيهما ٠ وصاح العم كارل وهو يطرق الباب بقبضتيه ٠

ـ افتحى الباب فاننا أصدقاء السيد المحامى ٠

وفى اللحظة التالية سمعا من يهمس خلفهما قائلا :

ـ ان السيد المحامى مريض ٠

وحين استدارا وجدا فى نهاية الممر رجلا يرتدى منامته ، واستدار اليه العم كارل وقد أعماه الغضب لكن ذلك الانتظار وصاح :

ـ مريض ؟ هـــل تقـــول أنه مريض ؟ وبدا يقترب مهددا وكأن الرجل يكذب ، لكن هذا سرعان ما أشار الى باب شقة المحامى الذى بدأ يفتح واختفى بسرعة ٠

الفصل التاسع

« الخادمة لينى »

فتح الباب فعلا ووراءه ظهرت فى الضوء الخافت فتاة تقف فى البهو مرتدية مريلة بيضاء وتحمل شمعة فى يدها ، وقال العم كارل ردا على انحناءتها :

ـ عليك ان تسرعى فى فتح الباب فى المرة القادمة . تعال يا جوزيف .

وما ان مرا بجوار الفتاة حتى قالت هذه :

ـ ان السيد المحامى مريض .

لكن العم كارل اتجه الى الحجرة الداخلية دون تردد بينما كان **ك**. لا يزال يحدق فى الفتاة التى استدارت كى تغلق الباب بالمزلاج .. كان وجهها يشبه الاطفال فى استدارته ، ووجهها شاحب وذقنها مستدير ، وقال العم كارل يسألها وهو يصيح :

ـ هل عاد اليه مرض القلب ثانية ؟

قالت الفتاة وقد وجدت الوقت كى تسبقه والشمعة فى يدها لتفتح باب الحجرة الداخلية :

ـ أعتقد ذلك .

وفى أحد أركان الحجرة الذى لم يكن الضوء قد وصل اليه رأيا وجها ذا لحية طويلة يرتفع عن الوسادة ليسأل وكأنما أعماه ضوء الشمعة فلم يميز شيئا :

ـ من هناك يا لينى ؟

قال العم كارل : ـ أنه صديقك القديم ألبرت ٠
قال المحامى ورأسه تغوص مرة أخرى فى الوسادة وكأنه لا حاجة به للتظاهر أمام هذا الزائر .
ـ أوه أهلا ألبرت ٠
ـ هل أنت حقا فى حالة سيئة ، اننى لا أصدق ذلك فانها ليست الا احدى النوبات التى تزول سريعا مثل الاخريات ٠
قال المحامى فى صوت خافت :
ـ ربما لكنها أسوأ هذه المرة من سابقاتها ، فاننى اتنفس بصعوبة ولا أنام على الاطلاق وأفقد قوتى يوما بعد يوم ٠
قال العم كارل وهو يجلس على حافة الفراش ويضغط قبعته الواسعة على ركبته :
ـ هذه انباء سيئة حقا . هل هناك من يعتنى بك جيدا؟ ثم ان الجو قاتم هنا ، أقل بهجة مما وجدته حين حضرت الى هنا آخر مرة ، ثم ان خادمتك هذه لا يبدو عليها النشاط أو ربما كانت تخفى حقيقتها ٠
كانت الفتاة لاتزال تقف الى جوار الباب والشمعة فى يدها وبدا من حركة اهدابها انها كانت تنظر الى **ك** . وليس لعمه ، رغم أن الاخير هو الذى كان يتحدث عنها ، أما ك ٠ فقد كان يعتمد على ظهر مقعد الى جوارها ٠ قال المحامى : ـ
ـ حين يكون المرء مريضا مثلى فان الهدوء ضرورى له ، ومن ثم فلا ألحظ ما يقلل من بهجة المكان ، ثم ان لينى تهتم بى جيدا فهى فتاة طيبة .
لكن هذا لم يقنع العم كارل الذى أحس بنقمة على المرضة ، ورغم أنه لم يرد على المحامى فقد آخذ يتبعها بنظراته وهى تقترب من الفراش لتضع الشمعة على

المنضدة ، ثم تهمس شيئا فى اذن المريض وهى ترتب له الوسائد · وأحس العم كارل بالضيق لذلك وظن ك · أنه ربما انطلق نحو الفتاة ليطردها خارج الحجرة ·

شعر ك · بالابتهاج لمرض المحامى ، لان هذا المرض وان لم يستطع أن يقلل من حماس عمه كارل فى الاهتمام بقضيته فتد حدث ما يقلل من هذا الحماس دون أن يكون له هو شخصيا دخل فى هذا · وصاح العم كارل دون أن يكون له هدف سوى مضايقة الممرضة : ـ

ـ يا فراولين ، أرجو أن تتفضلى بتركنا بمفردنا برهة فيجب أن أستشير صديقى فى مسألة شخصية ·

لكن الفتـــاة التى كانت لا تزال تنحنى فوق المريض لترتب الوسائد لم تفعل شيئا سوى أن استدارت بهدوء يتناقض مع غضب العم كارل وقالت :

ـ ها أنت ترى السيد مريضا ، ومن ثم فانك تستطيع أن تستشيره فى أية مسألة ·

ورغم أن الفتاة قالت هذه الجملة دون أن تقصد اساءة لكنها بدت وكأنها تسخر منه ·

وكان من الطبيعى أن يشتعل العم كارل بالغضـــب صدرت منه أصوات لم يفهم أحد منهم شيئا منها . فحدق فيه ك · بانزعاج رغم أنه كان يتوقع مثل هذا الانفجار ·

وفكر فى أن يتحرك نحو عمه ليضع يده على فمه حتى لا يقول شيئا ، ومن حسن الحظ فقد رفع المريض رأسه فاضطر العم كارل أن يبتلع غضبه ويقول فى صوت أكثر رقة :

ـ أؤكد لك أننا لم نفقد صوابنا تماما ولو أن ما أريده كان مستحيلا لما طلبته ، أرجوك أن تنصرفى الان ·

وانتصبت الفتاة واقفة الى جوار الفراش فى مواجهة

العم كارل لكنها أخذت تربت على يد المحامى فى رفق ، وهنا قال المحامى فى صوت متوسل :

ـ تستطيع أن تقول أى شىء فى حضور لينى ٠

ـ هذا أمر لا يخصنى شخصيا وهو ليس مشكلتى ٠

وأدار وجهه وكأنه ينفض يديه من الامر برمته ، ولكى يعطى المحامى فرصة أكبر للتفكير ٠٠ قال المحامى فى صوت مرهق ورأسه تهبط على الوسادة مرةأ خرى :

ـ فمن الذى تخصه المسألة اذن ؟

ـ انه ابن أخى ، ولقد أحضرته هنا معى ؛ ها هو جوزيف ك ٠

ومد المريض يده وكأنما عادت اليه بعض حيويته :

ـ أوه أرجو المعذرة فاننى لم ألحظك ، اذهبى الان يا لينى ٠

ثم وجه حديثه للعم كارل الذى بدا عليه الان الشعور بالرضاء وعاد مرة أخرى الى حافة الفراش ٠

ـ اذن فأنت لم تحضر نزيارتى بسبب مرضى ولكن للعمـــــل ٠

وبدت عليه حيوية واضحة واعتمد على مرفقه وهو يمر بيده الاخرى على خصلات شعره وقال العم كارل :

ـ ها أنت تستعيد قوتك فعلا بعد أن ذهبت تلك الساحرة . . اسمع ، انى أراهنك على انها تنصت الى ما نقول من وراء الباب ٠

وقفز ناحية الباب وفتحه فجأة لكنه لم يجد أحدا ما خلفه ، فعـــاد دون أن تبدو عليه خيبة الامـــل ، قال المحامى : ـــ

ـ انك لست عادلا فى الحكم عليها ٠

ولم يضف شيئا وكأن الفتاة ليست فى حاجة للدفاع عنها أكثر من ذلك ، واستطرد المحامى فى لهجة أكثر

ودا : ـ

ـ أما بالنسبة لقضية ابن أخيك فاننى اعتبر نفسى سعيد الحظ لو ساعدتنى صحتى على القيام بهذا الواجب الشاق ، وكل ما أخشاه هو ألا تمكننى صحتى من ذلك لكننى على آية حال سأبذل مجهودا ، ولو فشلت فيمكنك على الدوام الاستعانة بشخص آخرليساعدنى ، ولكى أكون أمينا معك فأننى أقول أن هذه القضية تثيرنى بعمق وتعذبنى ببذل بعض الجهد فيها ،واذا لم‌يتمكن‌قلبى‌من الاستمرار فانه قد وجد على الاقل عائقا يستحق أن يتحطم عنده .

ولم يستطع ك.ان يفهم كلمة واحدة من كل ذلك ، كان يجلس على حافة الفراش وقد أمسك بالشمعة فى يده ويومىء بالموافقة على‌كل فقرة فى حديث المحامى ثم يلقى نظرة على ك. وكأنه يطلب منه أن يوافق أيضا . وفكر ك . بينه وبين نفسه « هل يمكن أن يكون عمه قد أخبر المحامى بكل شىء عن القضية ؟ لكن هذا مستحيل فان ترتيب الاحداث يجعل ذلك مستحيلا ، ومن ثم فقد بدأ يقول : ـ

ـ اننى لا أفهم ..

قال المحامى فى دهشة وحرج :

ـ أم اننى قد أسأت فهمك ؟ ربما أكون قد تسرعت . ما الذى تريد أن تستشيرنى فيه اذن ؟

لقد اعتقدت أن الامر يتصل بقضيتك ؟

قال العم كارل وهو يستدير الى ك . .

ـ نعم بطبيعة الحال .. ما الذى يثير عجبك يا جوزيف ؟

سأله ك . : ـ

ـ حسنا ، ولكن كيف عرفت يا سيدى المحامى بأمر

قضيتى ؟

ـ اننى محام كما تعرف وأنا أتحرك فى دوائر القضاء حيث تناقش جميع القضايا ، ومن الطبيعى ان تعلق بذهنى أهمها ، خاصة ما يتصل بابن أخ أصدقائى القدامى ، ان هذا ليس بالامر المستغرب بالطبع •

ومرة أخرى وجه العم كارل سؤاله الى ك • قائلا : ـ

ـ ما الذى يثير دهشتك ٠٠ ؟ أنك تبدو متوتر الاعصاب •

ـ اذن فأنت تتحرك فى دوائر القضاء ؟

ـ نعم ، فمن الذين ارتبط بهم اذن اذا لم يكونوا رجالا ممن يعملون فى نفس مهنتى ؟

وأراد ك • أن يقول له أنه يعمل فى محكمة قصر العدالة وليس فى المحكمة التى تحاكمه ، لكنه لم يتفوه بحرف ، واستطرد المحامى يقول وكأنه يشرح شيئا كان يجب أن يكون واضحا :

ـ ويجب أن تضع فى اعتبارك أن تحركى هذا يمكننى من أن أفيد عملائى فى مختلف المجالات . اننى بالطبع مريض الان ويمنعنى هذا من اجراء اتصالات ، لكن رغم ذلك فان أصدقاء لى من المحكمة يقومون بزيارتى من حين لاخر وأنا أتعلم منهم الكثير وربما أكثر مما يتعلمه كثيرون من الاصحاء فى أيام عديدة ، وها هو أحد اصدقائى الاعزاء فى زيارتى فى هذه اللحظة •

وأشار بيده الى ركن مظلم من الحجرة ، وسأل ك • فى لهجة خشنة وقد تملكته الدهشة : ـ

ـ أين هو :

ونظر حواليه فى الظلام الى حيث لا تصل أشعة الشمعة ، وفجأة تحرك شبح فى الركن المظلم ، وحين سقط عليه الضوء الخافت استطاع ك • أن يرى سيدا متقدما

فى السن يجلس على مقعد وأمامه منضدة ، ولابد أنه كان يجلس طوال الوقت دون أن يلتقط أنفاسه حتى أنهما لم يشعرا بوجوده قط · أما الان فقد نهض الرجل وقد بدا عليه الامتعاض لان المحامى أعلن عن وجوده ، وأخذ يحرك يده كى يعبر بها على احجامه عن تبادل التحيات لانه لا يريد أن يقاطع المجتمعين · لكن المحامى ظل يفسر موقفه : ـ

ـ أستطيع القول أنكما قد فاجأتمانا بزيارتكما ·

وأشار للرجل يشجعه أن يتقدم وهو ما فعله ببطء وتردد وهو يتلفت يمنة ويسرة طوال الوقت ، واستطرد المحامى قائلا : ـ

ـ اغفرى لى أنى لم أقم بالتقديم ، هذا هو صديقى البرت ك.وابن أخيه جوزيف وهذا هو رئيس الكتبةفى المحكمة ، وأعود الى ما كنت أقوله ، وهو أن السيد كاتب المحكمة كان كريما اذ كان فى زيارتى ، وهذه الزيارة لا يقدرها حق قدرها الا سواى لاننى أعرف كيف يستنفذ عمله الوقت كله لكنه رغم ذلك جاء ليرانى ، وقد كنا نتحدث بهدوء بقدر ما تسمح به صحتى ، واننا لم نأمر لينى بالا تسمح بدخول زائرين لاننا لم نكن نتوقع أحدا ، لكننا بالطبع كنا نأمل أن نترك فى هدوء ، وحين حضرت يا البرت بضجتك المعهودة ، تراجع السيد كاتب المحكمة بمقعده الى ركن الحجرة .

وتوقف المحامى لحظة ريثما يسترد أنفاسه ثم استطرد :

ـ ولكن طالما أن هذه فرصة مناسبة لنجعل الحديث عاما ـ لان هذه القضية تهمنا جميعا فاننا نستطيع أن نحشد طاقاتنا..أرجو يا رئيس الكتبة أن تجلس .

وقال للكاتب وهو يبتسم مشيرا الى مقعده لكن

الكاتب قال بلباقة : ـ

ـ من سوء الحظ أننى لا أستطيع البقاء أكثر من بضع دقائق فان واجباتى تلح على ، لكنى لا أريد أن افقد هذه الفرصة كى أتعرف بصديق صديقى ٠

وانحنى قليلا يحيى العم كارل الذى بدا عليه السرور لهذا التعارف ، لكنه لم يعرف ما يقول ردا على ذلك سوى أن ينفجر فى الضحك .ويا لها من لحظة كريهة ، وقد استطاع ك ٠ أن يرقب كل شىء حيث أن أحدا لم يلتفت اليه .فان كاتب المحكمة وقد وضحت اهميته عاد الى حالته الطبيعية فى مركز الصدارة ، أما المحامى ـ الذى لم يكن ادعاؤه المرض سوى ادعاء يتخلص به من زائريه ـ فقد بدأ ينصت بانتباه ، وبالنسبة للعم كارل فقد تخلى عن احساسه بالحرج كى يضع فى كلماته المعنى الذى يريده ٠

كان ك ٠ يعتمد على قائم الفراش وقد أهمله كاتب المحكمة وكأنه يتعمد ذلك ، ومن ثم فقد أصبح مجرد مستمع للاخرين ، ثم أنه لم يكن يستطيع أن يتتبع النقاش وذهنه مشغول بالممرضة والمعاملة القاسية الذى تلقتها على يد عمه كارل ، ثم أنه بدأ يفكر فيما اذا كان قد رأى كاتب المحكمة هذا من قبل ٠ ألم يكن ضمن من جسوا فى الصفوف الاولى من المحكمة خلال استجوابه فى القاعة ؟ ربما يكون مخطئا لكن هذا الكاتب يتلاءم تماما مع من كانوا يجلسون هناك. السادة ذوو الذقون الرمادية .

وفجأة سمعوا صوتا يصدر من البهو جعلهم جميعا يصيخون السمع ٠٠ قال ك ٠ وهو يخرج :

ـ سأذهب لارى ما يحدث ٠

وبدأ يتحرك ببطء وكأنه يتيح لهم الفرصة كى ينادوا عليه ، وما كاد يصل الى البهو حتى أخذ يحاول ان يخترق

بنظراته الظلام ، لكنه أحس بيد توضع على يده التى تمسك بمقبض الباب ، وهمست الممرضة التى كانت تنتظره فى أذنه قائلة :

ــ لم يحدث شىء سوى أننى كسرت أحد الاطباق كى تخرج الى . قال ك . وهو يشعر بالحرج :

ــ لقد كنت أفكر فيك أيضا .

ــ هذا رائع ، هيا بنا من هذا الطريق

وما أن سارا خطوتين أو ثلاثا حتى أصبحا يقفان أمام باب من الزجاج السميك الذى فتحته الممرضة ودخلا .. كان من الواضح انها حجرة مكتب المحامى ، ورأى ك. ــ بقــدر ما سمحت به أشعة القمــر ــ أثاثا صلبــا قديما ، واشارت له الممرضة ان يجلس على مقعد واسع حفرت على ظهره بعض النقوش ، واستمر ك. بعد أن جلس يتلفت فى الحجرة الواسعة المهيبة ، وفكر أن الفقراء من عملاء المحامى يجب أن يحسوا فيها بالرهبة ، وتخيل ك . أحدهم وهو يدخل فى خطوات قصيرة مترددة ويتقدم الى المكتب الضخم ، لكن ك . سرعان ما نسى كل هذا ووجد نفسه يثبت نظراته على الممرضة التى كانت تجلس الى جواره مباشرة ، تضغط عليه بجسدها ، قالت الممرضة : ــ

ــ ظننت انك ستخرج من تلقاء نفسك دون أن تنتظر حتى اضطر لدعوتك بنفسى .. لقد كان سلوكا غريبا منك اذا اخذت تنظر الى طوال الوقت دون أن ترفع نظراتك عنى ، وها أنت تتركنى انتظر .

واضافت تقول بسرعة وكأنها لا تريد أن تضيع لحظة واحدة : ــ

ــ تستطيع أن تدعونى لينى .

ــ يسرنى ذلك ، أما من جهة مسلكى الغريب فيمكننى

أن أشرحه بسهولة ، فانني أولا كنت مضطرا ان أستمع الى ما يريده هؤلاء الرجال المسنون من لغو ، ثم انني لم أكن أستطيع أن أتركهم وأخرج دون عذر ما ، ذلك بالاضافة الى انني لست شابا جريئا على الاطلاق بل انني على العكس ـ ولكي أكون أمينا معك ـ رجل خجول يا ليني ، ثم أنه لم يبد أنه من السهل الحصول عليك بمجرد أن أطلب ٠

قالت ليني وهي تضع ذراعها على ظهر المقعد وتنظر الى ك ٠

ـ ان الامر ليس كذلك ولكنك لم تشعر بالرغبة في أول الامر ، وربما لا تزال تشعر بنفس الشعور .

ـ ان كلمة الرغبة كلمة ضعيفة بالنسبة لما أحس به ٠

وأجابته ليني على ذلك بابتسامة وصيحة تعجب لم يستطع ك ٠ ازاءها أن يقول شيئا لفترة ما ، ولما كانت عيناه قد تعودتا على الظلام فقد استطاع أن يميز بعض تفاصيل الاثاث في الحجرة ، وكان أول ما لفت انتباهه هو صورة كبيرة علقت على يمين الباب واضطر ك ٠ أن ينحني كي يراها جيدا ٠ كانت الصورة تمثل قاضيا يرتدي روب القضاء ويجلس على مقعد وكأنه ملك متوج ، لكن الغريب في الصورة هو أن القاضي لم يكن يجلس في رزانة ووقار بل اتخذ وضع من يهم بالوقوف كي يدلي بملاحظة مميتة أو ينطق بحكم نهائي ، وكان لابد لمن يشاهد الصورة أن يتخيل المتهم واقفا على أول درجة في سلم العدالة المغطى بسجادة صفراء ٠ قال ك ٠ وهو يشير باصبعه الى الصورة .

ـ ربما كان هذا هو القاضي الذي يحاكمني ٠

قالت ليني وهي تنظر الى الصورة أيضا :

ـ انني أعرفه فكثيرا ما يأتي هنا ، وقد رسمت له هذه

الصورة وهو لا يزال صغيرا،وهى لاتشبهه على الاطلاق فهو رجل صغير الحجم كأنه قزم ، لكنه طلب أن يرسم فى الصورة بهذا الحجم لانه متكبر وعنيد مثل جميع من يعملون فى هذا الميدان ، كما اننى متكبرة ايضــــا ويضايقنى أنك لا تحبنى مطلقا .

وأجاب ك.على هذه الملاحظة بان وضع يده حول خصرها وضمها اليه ، فأمالت رأسها على كتفه فى صمت ، وقال ك . :

ـ ما هو منصب هذا الرجل ؟

ـــ انه قاضى تحقيق .

وأخذت لينى يد ك . بين يديها وأخذت تداعب أصابعه فقال هذا وهو يحس بخيبة أمل :

ـــ قاضى تحقيق فقط . ؟ ان الموظفين الاعلى شأنا يخفون أنفسهم جيدا ، لكنه يجلس على مقعد مرتفع .

ـــ ان هذا كله محض اختراع وهو فى الحقيقة يجلس على مقعد خاص بالمطبخ يضع عليه حاشية حقيرة.ولكن هل يجب عليك على الدوام أن تفكر فى قضيتك ؟

ـ على العكس فاننى لا أفكر فيها الا قليلا جدا .

ـ ان هذا ليس خطأ ، ولكن الخطأ هو أنك عنيد صلب كما سمعت .

قال ك . وهو يحس بجسدها يضغط على صدره وينظر الى شعرها الاسود الفاحم :

ـــ من الذى أخبرك بذلك ؟

ـــ أننى أفرط فى الكثير لو أطلعتك على ذلك ، أرجوك الا تطلب اسماء وبدلا من ذلك استمع الى تحذيرى ، لا تكن صلبا جدا فى المستقبل فليس فى مقدورك الصمود أمام هذه المحكمة يجب عليك أن تعترف بجرمك فى أول فرصة تتاح لك . وحتى تفعل ذلك ليس هناك أمل فى

الافلات من مخالبهم على الاطلاق · وحتى لو اعترفت فانك أيضا فى حاجة الى مساعدة من الخارج ، ولكن لا تشغل بالك بهذه المسألة فسوف أتدبر أنا الامر ·

ــ انك تعرفين الكثير عن هذه المحكمة ومايجرى فيها من مؤامرات ·

وحيث أن لينى كانت تضغط عليه بشدة فقد رفعها فوق ركبتيه ، وقالت وهى تسوى ملابسها وشعرها :

ــ هذا أفضل ·

ثم أحاطت رقبته بذراعيها وانحنت للخلف كى تنظر اليه فترة فقال ك · يختبرها :

ــ واذا لم أعترف فانك فى هذه الحالة لا تستطيعين مساعدتى ، أليس كذلك ؟

وفكر فى نفسه فى دهشة « ها أنا أجمع حولى نساء كثيرات يساعدننى ، فهناك فراولين بروستنر ثم زوجة صاحب المحكمة ، وها هى هذه المخلوقة الصغيرة اللطيفة التى تحتفظ نحوى بعاطفة غامضة ، وهى تجلس فوق ركبتى وكأن هذا هو المكان الوحيد المناسب بالنسبة لها ·

قالت لينى وهى تهز رأسها :

ــ لا ، اننى فى هذه الحالة لا أستطيع مساعدتك ، لكنك على أية حال لا تريد مساعدة من أحد فأنت شخص عنيد صلب لا تقتنع مطلقا

وبعد فترة وجهت اليه السؤال التالى :

ــ هل لك حبيبة ؟

ــ لا ·

ــ أوه ، أعتقد أن لك حبيبة ·

ــ حسنا ، لى حبيبة ·· تخيلى أننى ذكرت العكس تم اتضح اننى احمل صورتها فى جيبى ·

وتوسلت اليه لينى ليريها الصورة فأخرج لها صورة

الزا فاخذت تتفحصها وهي على ركبته.كانت لقطة لالزا وهي على المسرح تنهي رقصاتها في الملهي الليلي ، وقد كان ثوبها يطير في الهواء وكأنه مروحة تدور حولها ، وقد بدت على شفتيها ابتسامة موجهة لشخص لا يظهر في الصورة • قالت ليني وهي تشير الى الصورة :

ـ ان ثوبها ضيق تماما من أعلى ، انني لا أحبها فهي جافة وخشنة ، لكنها ربما تكون رقيقة وطيبة معك ، ان المرء يستطيع أن يستشف ذلك من الصورة فان الفتيات ذوات الجسد الضخم لا يملكن الا أن يكن طيبـات ورقيقات • ولكن هل تستطيع أن تضحي بنفسها من أجلك ؟

ـ لا ، انها ليست طيبة ولا رقيقة معي ، ثم انها لن تضحي بنفسها من اجلي ، وأنا لم أطلب منها حتى الان أن تفعل شيئا من ذلك • وفي الحقيقة فانني لم أتفحص هذه الصورة الى الابد كما فعلت أنت بهذه الدقة •

ـ اذن فهي لا تعني الكثير بالنسبة لك فهي ليست حبيبتك قبل كل شيء .

ـ أوه نعم هي حبيبتي ولن أتراجع فيما قلت .

ـ حسنا حتى لو سلمنا بأنها حبيبتك فانك لن تفتقدها كثيرا لو غابت عنك أو حلت محلها اخرى مثلي

قال ك • وهو يبتسم :

ـ هذا ممكن ولكن لها ميزة تفتقرين أنت اليها ، فهي لا تعرف شيئا عن قضيتي ، وحتى لو عرفت فانها لن تكترث ، وبالاضافة الى ذلك فانها لن تحاول أن تجعلني أقل صلابة في موقفي •

ـ لو أن هذه هي ميزتها الوحيدة فلن يثبط هذا من عزيمتي ، أليس لديها تشويه جثماني .

ـ تشويه جثماني ؟

ــ نعم لان لدى تشويها جثمانيا بسيطا أنظر . .
ومدت اليه يدها اليمنى وأشارت الى اصبعى الوسط حيث كانت هناك قطعة من الجلد تربط بينهما .
ولم يستطع ك . فى الظلام أن يرى على الفور ما أرادت أن يشاهده ، ومن ثم فقد أمسكت به كى يتحسس بنفسه فقال ك . وهو يفحص اليد كلها :
ـ يالها من فلتة من فلتات الطبيعة ، ان يدك تشبه مخلبا جميلا صغيرا .
ونظرت لينى بشىء من الفخر الى يدها بينما أخذ ك . وقد ملاته الدهشة يحاول أن يفصل اصبعا منهماعن الاخر وفى نهاية الامر طبع عليهما قبلة طويلة فصاحت لينى على الفور :
ــ أوه ها أنت قد قبلتنى .
وغيرت من وضعها على ركبتيه حتى كادت تركع بينهما وقد فتحت فمها ، ونظر اليها ك . وقد أذهلته المفاجأة وبدا يشم الان رائحة مثيرة ، أما هى فقد بدأت تقبله على رقبته بعنف وهى تصيح :
ـ ها أنت قد استبدلتنى بها
وفجأة انزلقت ركبتاها وكادت تسقط على السجادة وحين مد ك . ذراعيه كى يمسك بها جذبتهالىالارض معها وهى تقول :
ــ انك الان ملكى .
وفى النهاية قالت لينى وهى تودع ك. بقبلة على كتفه :
ـ ها هو مفتاح الباب وتستطيع أن تأتى كلما رغبت فى ذلك ، وحين خرج الى الطريق كان المطر يتساقط ، وأسرع يعدو الى منتصف الطريق بينما خرج اليه من خلف عربة لم ينتبه اليها العم كارل الذى أمسكه من ذراعيه ودفعه

نحو حائط المنزل وهو يصيح :

ـ كيف تفعل ذلك يا بنى ؟ لقد ساعدت بذلك على أن تخسر قضيتك ، فحين أصبحت الامور فى صالحك اختفيت مع فتاة صغيرة قذرة هى بالتأكيد خليلة المحامى .

لقد اختفيت معها ساعات طويلة دون أن تبحث عن عذر ، انك لا تخفى شيئا بل تفعل كل شىء علانية ، وطوال ذلك الوقت كنا نحن الثلاثة نتحدث ، أنا عمك الذى يفعل كل ما يستطيعه من أجلك والمحامى الذى كان يجب أن نكسبه ليقف فى صفك فعلا فى المرحلة الحالية ، وقد جلسنا هناك نتشاور فى كيفية مساعدتك وانا لاأكف عن محاولة كسب ود المحامى ، والمحامى بدوره يحاول أن يكسب ود كاتب المحكمة ، وقد كان من المعقول أن تقف معى لتساعدنى لكنك بدلا من ذلك اختفيت مع الفتاة ، ورغم أن الرجلين فهما كل شىء فانهما لم يتحدثا الى كى لا أشعر بالحرج ، وقد جلسنا هناك فى صمت كامل ننتظر عودتك ولكن دون جدوى وفى النهاية اضطر رئيس كتبة المحكمة ـــ الذى مكث أكثر مما كان ينوى ـــ أن ينهض لينصرف وهو يحس بالاسف من أجلى لانه لم يستطع مساعدتى ، ولقد كانت طيبته واضحة حين وقف ينتظر بالقرب من الباب برهة قبل أن ينصرف ، ولقد شعرت عندئذ براحة لاننى وصلت الى مرحلة شعرت فيها بضيق النفس ، أما المحامى فقد ساءت حالته الى حد بعيد ولم يستطع الرجل أن يقول شيئا عند انصرافى ، وغالبا ما أدى الذى حدث الى انهياره ، ومن ثم فقد عملت على موت رجل تعتمد عليه براءتك ، ثم انك تركتنى أنا عمك كى أنتظر تحت المطر ساعات بطولها ، وها أنت ترى المطر وقد اخترق ملابسى .

● ● ●

الفصل العاشر

ذات صباح وبينما كانت الثلوج تتساقط خارج النافذة جلس ك • فى مكتبه وقد بدا عليه الارهاق رغم أن الوقت كان لا يزال مبكرا ، ولكيلا يلاحظ ذلك أحد من مساعديه فقد أمر سكرتيره بألا يسمح لاحد بالدخول زاعما أنه مشغول بعمل هام ، لكنه بدلا من أن يعمل رتب الاوراق على مكتبه وأراح ذراعيه على المكتب وترك رأسه تسقط على صدره وظل هكذا دون حراك •

لم يعد يكف عن التفكير فى القضية ، وكثيرا ما فكر فى أنه من الافضل أن يكتب بنفسه دفاعا يقدمه للمحكمة ، وسوف يسرد فى هذا الدفاع قصة حياته باختصار ، وكلما جاء ذكر حادث له أهمية فانه سوف يدلى بالاسباب التى جعلته يتصرف بالطريقة التى تصرف بها وسوف يعلق على كل ما فعله اذا كان خطأ أم صوابا ، ويذكر الاسباب التى دعته لاصدار هذا الحكم ، وقد أخذ ك • يعدد ميزات هذا الدفاع المكتوب بالمقارنة بمحام خبير بالقانون غير منزه عن الخطأ فوجد أن للدفاع المكتوب ميزات أكيدة •

ولم يكن لدى ك • فكرة عما يفعله المحامى فى القضايا ، لكن ذلك على أية حال لم يكن بالكثير ، فقد أرسل اليه المحامى هولد يستدعيه منذ شهر كامل ، وخلال الاستشارات الاولية خرج ك • بانطباع بأن هذا الرجل لا يستطيع أن يفعل له الكثير ، فانه على الاقل لم يستجوبه

رغم أنه كان هناك كثير من الاسئلة التى يجب توجيهها ، وفى الحقيقة كان ك • قادرا على استنتاج الاسئلة التى يمكن أن توجه ، لكن المحامي بدلا من ذلك أخذ يتحدث باستمرار أو يجلس صامتا طوال الوقت منحنيا على مكتبه وهو يعبث بأصابعه فى لحيته ويحدق فى السجادة ، ربما فى نفس المكان الذى رآه فيه ك.هو ولينى ، ومن حين لاخر كان المحامى يلقى على مسامع ك • ببعض العظات التى يلقيها الكبار على اطفالهم ، عظاتلميكن ك.ينوى أن يدفع مقابلها قطعة واحدة من النقود ، وبعد أن يشعر المحامى بأنه قد أذل ك • بما فيه الكفاية كان يعود ليشجعه مرة أخرى ، كان يخبره بانه قد كسب قضايا كثيرة مثل هذه سواء جزئية أو كلية ، قضايا لم تكن حقا بمثل هذه الصعوبة لكنها أيضا كانت تبدو مستحيلة من الخارج ، كان لديه تلخيص لهذه القضايا بدرج مكتبه لكنه يأسف لانه لا يستطيع أن يريه اياها لانها تحوى أسرارا رسمية ، ورغم ذلك فانه سوف يستخدم الخبرة الواسعة التى حصل عليها من هذه القضايا لفائدة ك •

كان المحامي قد بدأ فى قضية ك • على الفور ، وقد أوشك على الانتهاء من الدفاع الذى سيقدم للمحكمة ، ولقد كان ذلك هاما لان أول انطباع تأخذه المحكمة عن الدفاع يحدد الطريق للاجراءات التالية ، ولكن من سوء الحظ كان من واجب المحامى أن يحذر ك. ،فأحيانا تهمل المحكمة أول دفاع على الاطلاق ، وغالبا ما يضعونه بين الاوراق على زعم أن الاستجواب والملاحظات التى يقدمها المتهم أكثر أهمية من الدفاع الرسمى ، أما اذا ألح مقدم الالتماس فان المحكمة تقول انها قبل أن تنطق بالحكم فسوف تدرس جميع الاوراق الخاصة بالقضية بما فى ذلك

الالتماس الاول بدقة ، بيد أنه من سوء الحظ أن ذلك لا يحدث فى معظم القضايا ، لان الالتماس الاول غالبا ما يوضع فى المكان الخطأ أو يفقد كلية ، ورغم اعتراف المحامى بأن هذه مجرد اشاعات فقد اعترف أيضا أنه لابد وأن يكون لها ما يبررها • وقد لفت انتباه ك • أيضا الى أن الاجراءات لا تتم علانية لان القانون لم ينص على ذلك ، وكان من الطبيعى حينئذ أن السجلات القانونيةللقضية وصفحات الاتهام نفسها لا يمكن وصول المتهم اليها ولا محاميه أيضا ، ومن ثم فان المرء لا يمكن أن يعرف ـ على وجه التحديد ـ التهمالتى يردعليها فى التماسه ، وبذلك فان من باب المصادفة فقط أن يحتوى الالتماس على شىء له أهمية بالنسبة للقضية ، ومن ثم فانه لا يمكن كتابة التماسات فعالة ومقنعة الا فى وقت متأخر حين تحدد التهم والادلة المبنية عليها أو أن يخمن المرء التهمة من الاستجوابات • وفى مثل هذه الحالات يصبح الدفاع فى موقف حرج لان القانون لا يعترف بالدفاع كشىء رسمى بل انه يحتمل وجوده فقـط .

ومن الناحية العملية لم تكن أية محكمة لتعترف بدفاع المحامين أمامها ، وبالتالى فهم يدافعون عن المتهم فى الخفاء ، وبطبيعة الحال فان ذلك يؤدى الى احتقار المهنة برمتها ، وقد أوصى المحامى ك • بأن يذهب فى المرة التالية للمحكمة ليرى حجرة المحامين لمجرد أن يراها مرة واحدة فى حياته ، وسوف يزعجه أيما ازعاج ما سوف يراه هناك ، فانه ليس هناك ما يضيئها سوى طاقة فى السقف ، طاقة عالية لا يمكن لاحد الوصول اليها ، وفى أرض الحجرة كانت هناك لسنين طويلة ـ حفرة كبيرة تتسع لرجل ، ولما كانت الحجرة فى الطابق الاعلى فانه ان سقط أحدهم فى هذه الحفرة فسوف يهبط فى الممـر

الذى ينتظر فيه العملاء .

وقد قـــدم المحامون شكاوى عديدة للسلطات عن هذه الظروف غير الملائمة لكن دون جدوى ، وكان المحامون ممنوعين أيضا من اجراء أية اصلاحات على حسابهم الخاص ، ولقد كان للمحكمة مبررات فى هذا الشأن فقد أرادت ألا تشجع اعتماد المتهمين على المحامين بقدر ما تستطيع ، وبذلك يصبح الواجب الاول فى الدفاع على عاتق المتهم نفسه ، ورغم ما فى وجهة النظر هذه من صحة فاننا لا يمكن أن ننكر حاجة المتهمين للمحامين عند الوقوف أمام المحكمة ، بل على العكس فان المتهم لفى حاجة ماسة لمساعدة قانونية وخاصة أمام هذه المحكمة ، ذلك أن الاجراءات تظل سرية ليس بالنسبة للجمهور فحسب بل بالنسبة للمتهم أيضا ، فان المتهم ليس أمامه طريق يصل به الى سجلات المحكمة ، وبالتالى كان من الصعب عليه أن يخمن ـ أثناء الاستجوابات ـ ما تخبئه المحكمة ، من مستندات ، خاصة وأن المتهم يكون مشتت الفكر بسبب حالته الراهنة ، وهنا يأتى دور الدفاع ، وعلى العموم فان المحامى لا يسمح له بالحضور أثناء اجراءات التحقيقات ولكن يسمح له باعادة سؤال المتهم بعد التحقيق مباشرة ، وربما يتم ذلك على باب المحكمة ، وعلى المحامى بعدئذ أن يجمع ما يتاح له من تقارير مشوشة قد تفيده فى الدفاع ، لكن هذا أيضا ليست له أهمية كبرى رغم أن المحامى الاكثر قدرة قد يستطيع أن يخرج بأكثر من محام أقل قدرة ، لكن المهم هو علاقات المحامى الشخصية مع هيئة موظفى المحكمة وهنا تكون قيمة الدفاع الرئيسية .

وقد خرج ك . من تجربته بأن أقل مستويات المحكمة يتفشى فيها عناصر الفساد والرشوة ، وهكذا يتدرج

الفساد الى أعلى المستويات ، وهنا يستطيع المتطفلون من المحامين أن يشقوا طريقهم ، فهم يرشون وينصتون للاشاعات حتى أن بعضهم قام بتزوير بعض المستندات فى أوقات سابقة ، ومن البديهى أن هذه الاساليب الملتوية يمكن أن تحقق لهؤلاء المحامين نتائج مدهشة دقيقة يستطيعون بها أن يفخروا بما حققوه وان يكسبوا بذلك عملاء جدد ولكنهم مع تقدم القضية يصبح النجاح المؤقت سببا فى آثار سيئة ، ومن ثم فلم يكن هناك شيء له قيمة حقيقية سوى العلاقات الشخصية المحترمة مع موظفى هيئة المحكمة ، والمقصود هنا المساعدون ذوو الشأن ، ومن خلال هذه الطرق فقط يمكن التأثير على الاجراءات ربما بطريقة لا تكاد تلحظ فى أول الامر ولكنها تقوى شيئا فشيئا كلما تقدمت القضية ٠

ولقد كان ك. سعيد الحظ باختياره دكتور هولد اذ أن قليلا من المحامين لهم مثل هذه العلاقات ، ولم يكن هناك سوى اثنين أو ثلاثة غير الدكتور هولد ممن يفخرون بعلاقات قوية ٠ ولم يكن قبل هؤلاء المحامين يشغلون باله كبقية جمهرة المحامين الذين ليس لهم شأن ولم يكن دكتور هولد يضطر دائما للانتظار فى الحجرات الملحقة لقضاة التحقيق حتى يطلب اليه الدخول ، وهذا يعتمد بالطبع على مزاج قضاة التحقيق المتقلب ٠ لا لم يكن دكتور هولد من هؤلاء ولقد رأى ك ٠ بنفسه كبار موظفى المحكمة فى زيارة دكتور هولد من تلقاء انفسهم ليمدوه بمايطلب من معلومات بصراحة كاملة أو على الاقل فى اشارات عامة وهم يناقشون معه الاجراء التالى ، بل أنهم أحيانا يتركونه يقنعهم بوجهات نظره ، لكن المرء بالتأكيد ، لا يستطيع الاعتماد على استعدادهم للاقتناع ، فانه فى امكانهم — بعد أن يعلنوا تقبلهم لوجهة نظر ما — ان

يتخذوا قرارا مختلفا تماما ربما يكون أكثر قسوة على المتهم مما كانوا ينتوون .

ولابد أن تتذكر أيضا أن هؤلاء القضاة لا تحركهم فقط مشاعرهم الانسانية عند قيامهم بزيارة المحامين ذوى الخبرة ، فانهم كثيرا ما يعتمدون على هؤلاء المحامين فى اتخاذ قراراتهم ، فانهم يحسون بمساوىء النظام القضائى الذى ينص على السرية التامة حتى النهاية ، ومن ثم فهو يبعدهم عن الحياة العامة المعاصرة ٠ ولذلك فهم قادرون على اصدار الاحكام فى القضايا العادية ، أما القضايا الصعبة فهم يقفون أمامها حيارى ، فليست لديهم خبرة حقيقية بالعلاقات البشرية حيث تكون لهذه العلاقات أهمية خاصة ، ويرجع ذلك لانكبابهم على العمل صباحا ومساء .

وهنا يحضر القضاة الى المحامين فى طلب المشورة ، وكثيرا ما جلس أحدهم الى جوار نافذة دكتور هولد وهو يحدق فى الشارع بيأس ، بينما جلس المحامى الى المكتب يفحص الاوراق التى أتى بها القاضى حتى يدلى اليه بالمشورة المناسبة ٠ وفى هذه اللحظات يعرف المرء كيف يأخذ القضاة عملهم مأخذ الجد ويتعمقون فيه حتى أنهم يصابون باليأس حين تعترضهم عقبة يقفون عاجزين امامها ، ذلك بالاضافة الى أن موقفهم بالغ الصعوبة لان مستويات النظام القضائى تتعاقب الى ما لا نهاية ، حتى أن خبيرا فى هذا النظام لا يمكنه ان يلم بجميع مستوياته ككل ، ولان اجراءات القضايا تظل فى سرية فان الموظفين المساعدين لا يستطيعون أن يتتبعوا تقدم القضايا التى يعملون فيها ، ومن ثم فان بعض القضايا تقدم الى دوائرهم دون أن يعرفوا من أين أتت ، ثم تمر من بين أيديهم الى دوائر لا يعرفونها أيضا ، ومن هنا وجب أن

يقوم المرء بدراسة كل مرحلة من القضية على حدة ، وفى النهاية فان الحكم الاخير وحيثياته لا تكون فى متناول هؤلاء الموظفين ، ذلك أن عليهم أن يجدوا انفسهم فى المرحلة التى حددها لهم القانون · أما عن نتيجة عملهم فهم لا يعرفون عنها شيئا ومثلهم فى ذلك مثل الدفاع ، رغم أن الاخير يظل مع المتهم حتى نهاية القضية ، ومن ثم فهؤلاء الموظفون قد يعرفون أشياء كثيرة عن الدفاع نفسه

ولم يكن مما يدهش ك · ان يكتشف أن القضاة يعيشون حياة متوترة تنعكس فى معاملتهم للمتهمين ، وقد سمع ك · بالقصة التالية التى تعبر عن مدى توتر هؤلاء القضاة ، فان أحدهم وهو رجل هادىء رزين عرضت عليه قضية زاد من صعوبتها ما قدمه فيها المحامى من عرائض والتماسات ، وبعد أن عكف القاضى على دراستها ليلا ونهارا لم يخرج بنتيجة ما ، ثم ذهب الى المحكمة ووقف أمام باب الدخول وبدأ يدفع كل محام يصعد درجات السلم الى اسفل مرة أخرى ، واجتمع المحامون أسفل السلم وتشاوروا فيما بينهم عما يفعلون ، وقد كان موقفهم يبعث على الحيرة حقا فانهم من الناحية القانونية ليس لهم الحق فى الدخول ولا يستطيعون اتخاذ اجـراء رسمى ، ومن الناحية الاخرى فان كل يوم يبعدون فيه خارج المحكمة هو يوم خاسر بالنسبة لهم · وفى نهاية الامر اتفق الجميع على أن يرهقوا ذلك القاضى ، فأخذ كل منهم بدوره يهرع صاعدا درجات السلم ثم يستسلم ليدى القاضى اللتين تدفعانه الى أسفل السلم مرة أخرى الى حيث زملاؤه ، وبعد أن استمر ذلك ما يقرب من ساعة كاملة أحس القاضى بالارهاق وذهب الى مكتبه ، ولان بقية المحامين لم يصدقوا ذلك فقد ارسلوا احدهم ليتقصى

الامر ، وبعد أن تاكدوا من انصراف القاضى دخلوا واحدا وراء الاخر ٠

ورغم ان أقل المحامين شأنا يعرف مساوىء الحالة فى المحاكم فان أحدهم لا يجرؤ أو يصر على تطوير النظام ، فى حين يستطيع أى منهم أن يتعرف ـ فى المراحل الاولى على الاجراءات التى يمكن عن طريقها توفير الوقت والجهد ، فان أفضل شىء بالنسبة لهم هو أن يتأقلموا بالاوضاع الحالية ، وبالرغم من أنه قد يؤدى احتجاج أحد المتهمين الى أصلاح تافه هنا أو هناك فانه من المؤكد ألا يتمتع هو بهذا الاصلاح ولكنه سيركز حوله انتباه اعدائه من الموظفين ، وهذا أمر بالغ السوء فيجب على المرء أن يظل متخفيا مهما حدث ، وعليه أن يعرف أن هذا التنظيم الكبير له توازن خاص به وأنه لو حاول أحدهم أن يغير الاشياء فسوف يخاطر بتحطيم نفسه فى حين يظل التنظيم كما هو ، وطالما أن كل شىء يرتبط عضويا بالاخر فقد ساعد ذلك على أن يظل كل شىء كما هو ٠

ولقد كان من المحقق أن ك ٠ أساء الى قضيته حين لم يظهر حفاوة كبيرة برئيس كتبة المحكمة لان هذا الرجل ذا النفوذ خرج من قائمة من يمكن ان يساعدوا ٠ فان هذا الرجل منذ تلك اللحظة تجاهل ببرود كامل أية اشارة الى القضية ، وحيث أن هؤلاء الموظفين كانوا يشبهون الاطفال فى الاهتمام بالصغائر فان سلوك ك ٠ ـ وهو لا يعد تافها ـ جعل الرجل يدير ظهره للقضية ، لكن هؤلاء الرجال أيضا تصفو نفوسهم بسرعة ويعودون أصدقاء كما كانوا ، ومن ثم فقد كان من الصعب والسهل معا التعامل معهم ، ولقد كانت هذه المهنة بحاجة الى حياة بطولها كى ينجح المرء فيها ، وهناك ساعات مظلمة تمر بكل انسان يعمل فى هذه المهنة ، ساعات يظن فيها المرء

أن هناك قضايا مقدر لها منذ البداية أن تنجح حتى دون مساعدة من المحامى ، وان هناك قضايا مهما بذل فيها المحامى من جهد فانها تفشل حتى وان بدا نجاحها سهلا ميسورا أول الامر .

وهكذا فلم يكن هناك شى مؤكد مطلقا ، ومن ثم فقد يحس المرء أحيانا أن تدخلهقد أساء الى قضية قد تنتهى الى خير دون تدخل ، وأسوأمن ذلك أن يجد أحد المحامين قضية بذل فيها مجهودا يبشر بالنجاح تؤخذ من بين يديه كلية ، ولا يحدث هذا بسبب رفض أحد المتهمينلمحاميه فذلك أمر مستحيل — بل لان القضية أخذتاتجاها لا يمكن المـحامى أن يتتبعه ، وهنا ينفض المحامي يده منها ولا يمكن لاية علاقات حسنة مع القضاة أن تحقق أى نجاح ، فحتى هؤلاء لا يعودون يعرفون شيئا ، وبـذلك تختفى القضية فى محاكم لا يمكن متابعتها فيها ومن ثم يفقد المتهم صلته بمحاميه ، وقد يحدث أن يعود المحامى الى بيته يوما ليجد أوراق القضية بعشرات الالتماسات التى قدمها وبذل فيها جهده ودمه وقد أعيدت اليه لانها لم تعد ذات قيمة فى المرحلة التالية ، ولكن ذلك لا يعنى بحال أن القضية قد خسرت فليس هناك ما يدل على ذلك وكل ما فى الامر أن الانسان يفقد صلته بها نهائيا .

لكن هذه الامور لم تعد تحدث الا نادرا وحتى لو كانت قضية ك . من هذا النوع فقد كان أمامها طريق طويل قبل أن تصل الى هذه المرحلة . وفى الوقت الحالى كانت هناك فرصة كبيرة يؤدى فيها المحامى عمله ، فان الالتماس الاول لم يكن قد قدم بعد لكنه أيضا لم تكن هناك حاجة للاسراع فى تقديمه ، لكن الاهم من ذلك كان اجــراء مشاورات تمهيدية مع المختصين من هيئة المحكمة ، ولقد كان ذلك يتم بنجاح جزئى ، ولقد كان ممـــا يبعث على

ارتباك ك • أن موظفين معينين قــد أبدوا استعدادهم للتعاون لكن آخرين لم يكونوا متحمسين بهذا القدر ، وعلى اية حال فلم يكن لاحد أن يستنتج من ذلك كله الكثير لان المباحثات التمهيدية قد بدأت مع الجميع فى نفس الوقت فان النتائج كانت تستغرق بعض الوقت ، لكن ك • لم يكن قد خسر شيئا بعد ، وقد كان فى استطاعته أن يكسب رئيس كتبة المحكمة الى صفه رغم كل ما حدث ، وقد تمت فعلا بعض الاجراءات فى هذا الاتجاه وبتعبير الاطباء فقد كانت قضية ك • مثل جرح نظيف يستطيع المرء أن ينتظر تطوراته بذهن مستريح •

ولقد دأب دكتور هولد على أن يلقى على مسامع ك • مثل هذه الخطط عن نظام القضاء والمحاكم ، ولقد كان يخبره اثناء زيارته له بالتقدم الذى يحرزه فى كتابة الالتماس الاول الذى استغرق وقتا طويلا دون أن يتم •

ولقد كان مما يخفف من ملل ك • وهو يستمع الى هذه المحاضرات من دكتور هولد هو دخول لينى الحجرة حاملة الشاى ، وقد اعتادت أن تقف خلف مقعده بينما يرتشف المحامى الشاى بشراهة تاركة يدها لـك • يتحسسها بحنان ، ولم يكن يقطع الصمت فى هذه الاثناء سوى رشفات المحامى فى حين يربت ك • على يد لينى التى كانت تغامر بتسوية شعره بأصابعها وحين ينتهى المحامى من الشاى ليسأل :

ـ الا زلت هنا يا لينى ؟

ـ اردت أن أنتظر صينية الشاى كى اخرج بها •

ويتبع ذلك لمسة أخيرة منها الى ك • ثم يمسح المحامى شفتيه ليبدأ من جديد فى القاء محاضرته عن النظام القضائى •

لم يكن ك. يعرف اذا كان المحامى يريده أن يتشاءم او يتفاءل ، لكنه سريعا ما استقر رأيه على ان الدفاع عن قضيته ليس فى أيد قديرة قد يكون ما يقوله المحامى صحيحا رغم أنه كان من الواضح أن رغبته فى اضافة مزيد من الاهمية الى عمله كانت واضحة ثم أن فخره الدائم بعلاقاته بهيئة الموظفين كانت تثير الشك ، فهل كان من المؤكد أنه يستخدم هذه العلاقات من أجل صالح ك . ، ذلك بالاضافة الى أن هؤلاء الموظفين لم يكونوا سوى مساعدين ، فهل يستخدمون المحامى للوصول بالقضية الى مراحل معينة تصبح فى صالح المتهم ؟ ربما لم يكونوا دائما يفعلون ذلك ، ولابد أن تكون هناك مناسبات مكنوا فيها المحامى من احراز بعض النجاح الضئيل كمكافأة على خدمات ، وقد كان هناك الكثير مما قيل عن عدم تقديم الالتماس الاول رغم مرور بضعة شهور ومن ثم فقد ظلت الاجراءات فى مراحلها الاولية كما يقول المحامى ، ولم يكن هذا سوى تخدير للمتهم كى يظل فى حالة اليأس التى يعانيها ثم يفاجئونه بالحكم النهائى او على الاقل بأن التحقيق المبدئى قد انتهى ضده وان القضية قد انتقلت الى سلطات أعلى .

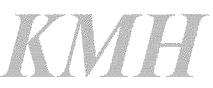
ولقد كان من الضرورى له أن يتدخل شخصيا فى قضيته ، وفى ذلك الصباح المرهق ـ حيث تشتت الافكار فى رأسه ـ ان اتخذ قراره فى هذا الصدد ، فان عدم مبالاته بالقضية لم يعد له ما يبرره ، ولو أنه كان وحيدا فى هذه الدنيا لسخر من الامر برمته ، ولكن عمه دفعه الى الالتجاء للمحامى بالاضافة الى الاعتبارات العائلية ولم يعد الان يحاول أن يظل الموضوع طى الكتمان بل أطلع عليه بعض أصدقائه ، وعرف البعض بأمر القضية بطرق أخرى ، حتى علاقته بفراولين بورستنر بدت وكأنهما

تتأرجح مع القضية نفسها ، وباختصار فان ك ۰ لم يعد يستطيع أن يظل بمعزل عنها ولابد له أن يهتم بالامر بنفسه دون تعب أو كلل ۰

لكنه على أية حال لم يكن هناك ما يدعو للمبالغة فى القلق فى الوقت الحالى ، فلقد تمكن ك ۰ فى وقت قصير من الوصول الى مركزه المرموق فى البنك وواجبه أن يحافظ على هذا المركز ويظل موضع احترام وتقدير الجميع وطالما ان قدرات ك ۰ مكنته من الوصول الى ذلك فلابد ان تمكنه من التصرف في قضيته والانتهاء بها على أحسن وجه ، وقبل كل شيء فلو أنه اراد أن يحقق نجاحا فلابد له أن يطرد من ذهنه اى احتمال لارتكابه جريمة ما ، وان ينظر الى هذه الاجراءات القانونية وكأنها معاملات تجارية كتلك التى أجراها مع الآخرين فى صالح البنك ، معاملات كان يكمن فيها باستمرار عامل المخاطرة التى كان عليه أن ينساه فى الوقت المناسب ، والاسلوب المناسب فى هذه الحالات هو أن يتجنب المرء التفكير فى النقائص ، وان يتعلق بشدة بالجوانب المشرقة وتوصل ك ۰ ــ من هذا الرأى ــ الى أنه يجب عليه أن يسحب القضية من بين يدى المحامى فى نفس ذلك المساء ۰

ورغم ان ك ۰ كان قد سمع من المحامى ان ذلك شيئا لم يسبق له نظير فان ك ۰ لم يكن يتحمل ان تضيع مجهوداته فى القضية هباء بسبب تحركات من المحامى الذى يمثله ، وفى اللحظة التى يبعد فيها المحامى عن القضية فيجب عليه أن يرسل الالتماس على الفور وأن يحث الموظفين يوميا على توجيه اهتمامهم اليها ۰ ان ذلك بالطبع لن يتم وهو جالس فى طرقة المحكمة بتواضع كما يفعل الاخرون الذين يضعون قبعاتهم تحت مقاعدهم فى الارض ، لكن ك ۰ بنفسه ، أو احدى من يعرفهن من النساء أو أى رسول

آخر عليه لن يتصل بالموظفين يوما بعد يوم كى يجبرهم على الجلوس الى مكاتبهم لدراسة أوراق ك • بدلا من اضاعة الوقت هباء وعليه أن يستمر فى هذا المنهاج دون كلل وان يشرف على تطبيقه باستمرار ، وعلى المحكمة أن تعرف للمرة الاولى فى حياتها متهما يدافع عن حقوقه حتى النهاية •



الفصل الحادى عشر

رغم ان ك · كان يعتقد ان فى استطاعته ان يقوم بكل ذلك فان صعوبة كتابة الالتماس كانت تبدو عائقا لا مجال لاجتيازه ، فمنذ أسبوع واحد فقط كان ينظر الى امكانية كتابة الالتماس بشعور بالخجل لانه عندئذ لم يخطر له ان هناك صعوبة فى الطريق ، وهو يتذكر صباح أحد الايام حين كان غارقا فى العمل حتى أذنيه انه فجأة دفع بكل الاوراق بعيدا وأمسك بقلم يخط به فكره خطة الالتماس التى سيسلمها الى محاميه كى يحثه على اتخاذ خطوة فى القضية ولكنه فى نفس اللحظة دخل حجرته نائب المدير وهو يكاد ينفجر من الضحك · ولقد كانت هذه لحظة سيئة للغاية بالنسبة لـ ك · رغم ان نائب المدير لم يكن يضحك ساخرا من الالتماس ـ لانه لا يعرف عنه شيئا ـ بل على قصة سمعها من ادارة مراقبة النقد قصة تحتاج ان يقوم من يلقيها بالرسم حتى يوضح فكرتها ومن ثم فقد انحنى نائب المدير على مكتب ك · واخذ منه القلم ليرسم به الصورة المطلوبة فى نفس المكان الذى كان ك · ينوى أن يكتب فيه الالتماس ·

لكن ك · هذا الصباح لم تكن تعوقه مشاعر الخجل ، فعليه أن يكتب الالتماس مهما كان الامر ، واذا لم يكن يجد الوقت الكافى فى المكتب ، وهذا محتمل تماما فعليه ان يكتب المسودة فى بيته ليلا ، واذا لم تكن الامسيات كافية فعليه ان يطلب اجازة ، وأحس أنه يجب ان يفعل أى

شيء سوى ان يتوقف ، فان ذلك هو اسوأ شيء بالنسبة لاية مسألة ، وليس فقط في مجال الاعمال لاشك ان هذا الالتماس كان يعنى عملا متصلا لا ينتهى ولم يكن المرء بحاجة لان يقتنع ان اتمام مثل هذا الالتماس لهو ضرب من المستحيل ولا يرجع ذلك الى الكسل او اية عوائق اخرى بل لانه لكى يرد الانسان على اتهام غير محدد فهو لا يستطيع شيئا الا ان يدون قصة حياته برمتها بما فى ذلك أصغر الاحداث والحوادث ثم يعرض هذه الاحـداث ويفحصها من كل زاوية وياله من عمل مرعب قد يكون هذا معقولا لو ان الانسان بدأ فيه في سنوات المعاش حين يحتاج الانسان لشيء يملا به ايامه الفارغة ، لكن ان يقوم ك • بذلك وهو يكرس كل وقته ومجهوده لعمله ، وحين تزدحم ساعات يومه بالعمل المتواصل الذى جعله الان يناقش نائب مدير البنك نفسه حين يضطر الانسان ان يقدم على عمل كهذا فانه يحس بالشفقة على نفسه •

ولكى يتخلص ك • من هذا الاحساس بالشفقة دق الجـرس وهو ينظـر فى ساعته ، كانت السـاعة قد أصبحت الحادية عشرة وهاهو قد ضيع ساعتين ثمينتين فى الاحلام ، ثم انه اصبح اكثر ارهاقا مما كان ، لكن هذا الوقت لم يضع سدى فقد استقر عزمه على قرار ، ربما تظهر قيمته فيما بعد ، وفتح الباب ليدخل السعاه ومعهم بعض الخطابات وبطاقتان لشخصين ينتظرانه منذ مدة طويلة ، وقد كان كلاهما عميلا مرموقا فى البنك ، ولم يكن من المفروض ان ينتظرا طوال هذه المدة ، وفكر ك • فى نفسه « لماذا حضرا فى هذا الوقت غير المناسب؟» ثم انهما قد يتساءلان « لماذا يسمح ك• المجد لاموره الشخصية بأن تستغرق منه اهم ساعات اليوم » ونهض ك• كى يستقبل اول عميليه وهو يحس بالارهاق مما سبق

وبالتعب مما سيأتى ٠

كان العميل الاول منتجا يعرفه ك ٠ جيدا ، وقد عبر الرجل الضئيل الحجم عن أسفه من انه ازعج ك ٠ اثناء أدائه عمله الهام، وأبدى ك. بدوره الاسف لانه جعل المنتج ينتظر طوال هذه الفترة لكن ك ٠ عبر عن أسفه بطريقة آلية لا تظهر فيها حرارة الصدق مما جعل المنتج يلحظ ذلك رغم انشغاله بالعمل الذى أتى من أجله ، وعلى الفور أخرج المنتج من جيبه أوراقا عديدة تحمل احصائيات كثيرة وضعها على المكتب أمام ك ٠ ثم بدأ يذكر ك ٠ بعملية مشابهة اتمها مع البنك منذ عام مضى ، ثم اشار بطريقة عارضة الى أن هناك بنكا آخر يقدم عروضا أفضل ، وفى النهاية جلس فى صمت ينتظر فى شغف تعليق ك ٠

كان ك ٠ قد تابع ما يقوله الرجل بدقة فى المراحل الاولى ، فان عملا مثل هذا كان يجذبه تماما ، لكنه لسوء الحظ لم يواصل الانتباه للنهاية ، بل أنه لم يعد يستمع الى حجج الرجل واخذ فقط يومىء برأسه بين الفينة والفينة كلما ازداد حماس المنتج ، وفى النهاية كف عن هذه الايماءات وأخذ يحدق فى رأس الرجل الصلعاء وقد انكب على الاوراق ، وأخذ ك ٠ يسائل نفسه عن الوقت الذى سيدرك فيه المنتج ان كل حديثه قد ضاع هباء، وفى اللحظة التى توقف فيها الرجل عن الحديث كان ك ٠ على وشك ان يعترف له بأنه لم يكن فى حالة تمكنه من الاهتمام بالعملية لكنه لم يفعل حين شاهد نظرة الاصرار فى عينى الرجل والتى توحى بأنه كان مستعدا للرد على أى اعتراض ومن ثم فان المقابلة يجب ان تستمر وهكذا وجد ك. نفسه يخط بقلمه على الاوراق ، ويحــدق فى بعض الارقام هنــا وهناك ممــا دعا المنتج الى أن يتحدث عن

الاخطار والمثالب ٠

وربما لم تكن هذه الارقام هي اساس العملية . ولذلك فقد اقترب الرجل من ك ٠ وبدأ يتحدث عن السياسة العامة خلف العملية لكن ك ٠ قال وهو يمط شفتيه ان هذا صعب » ولما كانت الاوراق التى تشغله قد امتلات بخطوطه فقد غاص فى مقعده فى وهن فى نفس الوقت الذى فتح فيه الباب ودخل نائب المدير ، ولقد كان لدخوله اثر قوى فان المنتج هرع اليه وتمنى ك. فى قرارة نفسه ألا يذهب نائب المدير قبل ان يعرض عليه المنتج العلمية ، لكن خوفه لم يكن له ما يبرره فان الرجلين تبادلا التحية وتقدما نحو مكتب ك ٠ وعلى الفور أخذ المنتج يشكو من ان ك ٠ قابل عروضه ببرود ، وبدأ المنتج مرة أخرى فى عرض عمليته حتى يكسب نائب المدير الى جانبه من جديد ٠ وبدا الاثنان وكأنهما عملاقان يتساومان فوق رأسه ، والتقط ك ٠ احدى الوثائق من على المكتب ورفعها على راحة يده الى اعلى دون هدف واضح سوى انه يتخيل نفسه يرتفع معها حين ينتهى من كتابة الالتماس الذى يتحرر به من كل قيد ، لكن نائب المدير الذى كان يصغى بكل انتباه الى المناقشة نظر الى الورقة دون اهتمام ثم اخذها من يد ك ٠ وهو يقول :

ــ أشكرك ٠٠ اننى اعرف كل ذلك جيدا ٠

ووضعها على المكتب ثانية بينما ك ٠ يرمقها بنظرة غاضبة لم يلحظها نائب المدير الذى دعا المنتج الى مكتبه الخاص حيث يستطيعان الانتهاء الى قرار نهائى فى العملية قال نائب المدير موجها حديثه للمنتج :

ــ انه عرض هام جدا أوافق عليه كلية لكن ماهو رأى الهر ك ٠ ؟ اننى واثق انه راض لانه استراح من هذه المسألة فان هذه العملية تحتاج الى تفكير عميق وهو يبدو

وقد أرهقه العمل هذا الصباح فضلا عن ان هناك آخرين ينتظرونه منذ ساعات بطولها ٠

واستطاع ك ٠ ـ بما تبقى له من سيطرة على نفسه ـ ان يحول نظره من نائب المدير وان يبتسم للمنتج ، لكنه لم يفعل شيئا سوى ذلك ، واسترخى فى مقعده بينما الرجلان يجمعان الاوراق ويسيران بعيدا الى حجرة المدير ، وفى اللحظة التى وصل فيها المنتج الى الباب استدار ليخبر ك ٠ انه لن يودعه الان اذ سوف يعود اليه ليخبره بالنتيجة ، ذلك بالاضافة الى أن لديه مسألة اخرى يود ان يذكرها له ٠

وحينما اختلى ك ٠ بنفسه لم يكن لديه نية مقابلة عملاء جدد ، وأحس براحة عميقة لان من ينتظرونه فى الخارج لا يزالون معتقدين انه مازال مشغولا بأمر المنتج ومن ثم فلن يزعجه أحد وبعد قليل ذهب الى النافذة وفتحها لينظر الى الخارج فوجد الثلوج مازالت تتساقط والسماء ملبدة بالغيوم ٠

وعاد الى مقعده ليجلس فى سكون لمدة طويلة لا يدرى ما يزعجه حقا ، ومن حين لاخر كان يلقى بنظره.ناحية حجرة الانتظار حيث يتخيل انه سمع صوته ، ولما لم يزعجه احد فقد استجمع نفسه وذهب الى الحوض يغسل وجهه بالماء البارد ، ثم يعود الى مكانه عند النافذة وقد صفا ذهنه وبدا لـ ك ٠ الان انقراره بأن يتولى الدفاع عن نفسه بنفسه أكثر خطرا مما كان يظنه فى اول الامر ، فطالما كان المحامى مسؤولا عنه فان ك ٠ كان ينظر الى المسألة من بعيد ويتدخل فى الامور كلما كان يحلو له هذا ، لكنه الان سوف يضع نفسه كلية تحت رحمة المحكمة مما سيعرضه لمخاطر لم يتعرض لها من قبل وحالته الذهنية ـ كما ثبت له بعد مقابلة نائب المدير والمنتج ـ

خير دليل على ذلك · ما الذى ألم به ؟ هل كان لانه قرر ان يتولى الدفاع عن نفسه فى قضيته ؟ وما الذى ستسفر عنه الامور بعد ذلك ؟ وماهى طبيعة الايام التى تنتظره ؟ هل سيجد طريقه من خلال تلك الصعوبات كلها ؟ ان واجبه الان ان يضع دفاعا متكاملا تماما ، وبدون ذلك لن يصل الى شيء لكن هل لا يعنى ذلك ان يتخلى عندئذ عن اى نشاط آخر ولكن كيف يتاتى له ان يقوم بذلك وهو فى مكتبه ؟ ان الامر لا يقف عند كتابة الالتماس فقط فان هذا يمكن الانتهاء منه فى أجازة بضعة أسابيع لكن الامر يستدعى عملا متصلا لا يستطيع احد ان يعرف متى ينتهى · يا لها من عقبة تقف فى طريق مستقبل **ك**. . .

هاهى الافكار تهاجمه فى اللحظة التى يجب فيها ان يقوم بعمل البنك. هل هذا هو الوقت الذى يجب عليه فيه ان يقابل العملاء ويساومهم ؟ هل يجلس هنا ليفعل ذلك وقضيته فى مكاتب المحكمة أمام موظفين ينكبون على أوراق اتهامه ؟ .

لقد بدأ له ذلك نوعا من التعذيب تقره المحكمة · شيء تسببت فيه القضية لكن هل ستوضع القضية فى الاعتبار حين يقيمون عمله فى البنك ؟ لا ان احدا لن يفعل ذلك فان امر القضية لم يكن معروفا بالتحديد فى البنك ، رغم انه لم لكن كان من الواضح بطبيعة الحال ان نائب المدير لا يعلم شيئا والا للاحظ ك · تأثير ذلك عليه وكان جديرا بنائب المدير عندئذ أن يتصرف حياله كزميل وكبشر. والمدير؟ ان المدير يحب **ك** · ، ولو أنه سمع بالقضية لفكر فى ان يخفف عن **ك** · عبء العمل لكن نوايا المدير الطيبة لن تظهر لان انتاج **ك** · لم يعد يتحمل منافسة نائب المدير له هذا الرجل الذى بدا يحكم سيطرته على المدير ويستغل

مرضه لصالحه · اذن فما الذى يأمل فيه ك · ؟ انه لا يفعل شيئا سوى استهلاك قواه وهو يشغل نفسه بهذه الافكار · ليس عليه ان يفعل ذلك الان بل عليه ان ينظر الى الموقف بوضوح وبطريقة موضوعية كما هى الان ·

ودون دافع ظاهر فتح ك · النافذة التى كانت دائما مستعصية من الصعب فتحها · وما أن تم له ذلك حتى اندفع الضباب والدخان الى الحجرة وسمع ك · المنتج يتمتم خلفه قائلا :

ـ ياله من خريف مزعج ·· !

كان هذا قد عاد من مقابلته لنائب المدير دون ان يلحظه ك · والقى ك · نظرة استفهام على حقيبة المنتج المليئة بالاوراق ، وخمن ان الرجل سيخرج كل مابها من أوراق ليخبره بما تم عليه الاتفاق . لكن المنتج وقد لاحظ نظرة ك · ربت على حقيبته دون أن يفتحها وقال :

ـ هل تريد ان تعرف ما انتهت اليه الامور ؟ ان الامر قد استقر وكان العملية فى جيبى ان نائب المدير هذا رجل ظريف لكن من الخطر الاعتماد عليه ·

وضحك المنتج وهو يهز يد ك · كأنما يدعوه يضحك معه أيضا لكن نظرات ك · اصبحت مليئة بالشك ، خاصة وان المنتج لم يطلعه على الاوراق فلم يجد مايضحك عليه · قال المنتج :

ـ انك ياسيدى تعانى من سوء الطقس اليوم ولذلك يغلب عليك الاكتئاب ·

ـ نعم ، اشعر بصداع بسبب متاعب عائلية ·

قال المنتج الذى كان رجلا متسرعا لايستطيع أن ينصت فى هدوء لمن يتحدث :

ـ كل منا له متاعبه الخاصة به ·

وتقدم ك · دون ان يقصد نحو الباب وكأنه يودع المنتج

الى الخارج لكن المنتج قال

ـ هناك مسألة صغيرة اريد ان اذكرها لك ، ورغم انى لا أعتقد أن هذه هى اللحظة المناسبة لذلك ، لكننى نسيت الامر خلال المقابلتين الاخيرتين ولو اننى اجلت ذكر المسالة مرة أخرى فربما فقدت أهميتها تماما وسوف يكون ذلك مدعاة للاسف لان معلوماتى فى هذا اوضوع قد تكون ذات فائدة لك ٠

وقبل ان يفتح ك ٠ فمه ليجيب تقدم الرجل صوبه وربت على كتفه وقال فى صوت خفيض

ـ انك متهم فى قضية ما ؟ أليس كذلك ؟

وصاح ك ٠ وقد أخذته المفاجأة .

ـ هل اخبرك نائب المدير بذلك ؟

ـ لا ، على الاطلاق وكيف يتأتى له ان يعرف شيئا عنها ؟

ـ وكيف عرفت أنت بأمرها ؟

ـ اننى أستمع الى مقتطفات من أخبار المحاكم من حين لاخر وهاهو سبب ماسوف اخبرك به

قال ك ٠ وقد خفض رأسه وهو يقود المنتج نحو المكتب مرة أخرى ٠

ـ يبدو ان كثيرا من الناس لهم علاقة بالمحاكم ٠

ـ اننى آسف اذ أنى لن استطيع ان اخبرك بالكثير لكن فى مثل هذه الامور لا يجب على المرء ان يترك حجرا دون ان يحركه ، ثم اننى أشعر برغبة قوية فى مساعدتك مهما كانت هذه المساعدة متواضعة ، لقد كنا دائما اصدقاء حقيقيين أليس كذلك ؟

واراد ك ٠ ان يعتذر عن سلوكه هذا الصباح ، لكن المنتج لم يسمح له بذلك بل ضم حقيبته الى صدره بقوة وكأنما يوحى بذلك الى تعجله الانصراف واستطرد :

ـ لقد سمعت بقضيتك من رجل يدعى تيتوريلى واعتقد

ان هذا ليس اسمه الحقيقي ولقد اعتاد تيتوريلي هذا ان يتردد على مكتبي من حين لاخر منذ سنوات وفي كل مرة كان يحضر بضع لوحات ادفع له فيها مايشبه الاحسان وان كنت اشتريها على مضض رغم انها لم تكن لوحات سيئة ، وحين اصبح يتردد على اكثر مما كنت أحب فقد قلت له ذلك وأنا أسأله كيف يعيش من هذه اللوحات اذ اكتشفت لدهشتي أنها فعلا مصدر قوته الرئيسي ، قال انه يقوم برسم هيئة المحكمة ، وهنا بدأ يخبرني عن كل ما يتصل بالمحكمة من آمور تدهش اى انسان ، ومنذ ذلك الحين اخذ يطلعني على آخر أخبار المحكمة كلما حضر الى وهكذا اتيح لي ان ألم بكثير من تفاصيل عملها . وبطبيعة الحال يأخذ تيتوريلي في سرد مبالغات كثيرة اضطر ان أمنعه من سردها ليس لانه كاذب فحسب وانما لانني رجل اعمال لدى من المشاغل ما يشغل كل وقتي ٠ وعن هذا الطريق فكرت في ان تيتوريلي قد يكون ذا نفع لك ٠ فهو يعرف كثيرين من القضاة ٠ ورغم انه لا يملك نفوذا كبيرا فقد يستطيع ان يشير بكيفية الاتصال بذوى النفوذ . وقد تكون معلوماته الخاصة لها اهمية لديك فانك تصلح لان تكون محاميا فعلا ، ولقد كنت أقول على الدوام انك اقرب الى المحامين منك الى أي شيء آخر ٠ انني لست قلقا على الاطلاق بسبب قضيتك لكن لعلك تريد ان تذهب لمقابلة تيتوريلي على اية حالة ٠ وسوف يقوم بناء على توصية مني بكل مافي استطاعته بطبيعة الحال ارجو ان اضيف انه يجب عليك الا تشعر بأنك مضطر لذلك لانني نصحتك ألا تذهب اذا كنت تستطيع الاستغناء عنه فمن الافضل ان تتركه خارج الموضوع كلية ٠ وربما تكون لديك خطة متكاملة قد يفسد تيتوريلي تطبيقها وفي هذه الحالة يجدر بك الا تذهب

لمقابلته فان ذلك يعنى ان يتنازل المرء عن تعصى كبريائه ٠ افعل ما يروق لك وهاهو خطاب أوصيه بك وهذا هو العنوان :

تناول ك ٠ الخطاب ليضعه فى جيبه وهو يحس بأن أية ميزة قد يستفيد بها من هذه التوصية ليست لها قيمة الى جوار معرفة المنتج بوجود اتهام ضده ، ثم ان الرسام يشيع عنه ما يتراءى له الان ٠ واستطاع ك ٠ ان يتفوه بكلمات الشكر المناسبة للمنتج الذى اصبح الان فى طريقه الى الخارج فعلا ٠ قال و هو يصافحه عند الباب

ـ سأذهب لرؤية الرسام أو أكتب اليه او أحدثه تليفونيا ليحضر الى هنا لاننى مشغول تماما ٠

ـ اننى أثق أنك ستهتدى الى الوسيلة المناسبة رغم أننى لا افضل ان تستقبل رجلا مثل تيتوريلى فى البنك اذا اردت ان تناقش قضيتك معه ٠ وليس من المستحسن باستمرار ان نترك خطابك فى أيدى مثل هؤلاء الناس ارجو ان تمعن الفكر لتصل الى الطريق الصحيح ٠

وأومأ ك. موافقا وصحب المنتج حتى الباب الخارجى لحجرة الانتظار ورغم تماسكه الظاهر فقد احس بفزع لان ذكاءه قد تخلى عنه فان اقتراحه بالكتابة الى تيتوريلى لم يكن سوى اظهار لاهتمامه بتوصية المنتج ، لكن هناك احتمالا بأن يكتب له فعلا لو انه رأى فى مساعدة الرجل أهمية ولكن هاهو ك ٠ فى حاجة لان ينبهه المنتج الى الاخطار التى تصاحب ذلك ٠ هل فقد ك ٠ حكمه الصحيح على الامور الى هذا الحد ؟

ولو كان ك ٠ قد أغفل الاخطار التى تكمن فى استدعائه رجلا ذا شخصية مريبة الى البنك ليناقش موضوعا كهذا على مسمع من نائب المدير أليس من المحتمل ان يكون ك ٠ قد غفل عن وجود اخطار اخرى ؟ خاصة وانه ليس هناك

من يحذره من مثل هذه الاخطار ٠

هل هذه هى الحالة التى يجب فيها ان يركز انتباهه فيها علىقضيته أيضا ؟.وعلى أية حال فانه لم يستطعأنيفهم كيف تأتى له ان يفكر فى ان يكتب الى تيتوريلى او يدعوه للحضور اليه فى البنك ٠

كان ك. لا يزال يفكر فى دهشة فى هذا الخاطر حين اقترب الساعى يخبره بوجود ثلاثة رجال يجلسون فى حجرة الانتظار ٠٠ ولم ينتظر الرجال طويلا بل تقدموا من ك ٠ منتهزين الفرصة السانحة للتحدث اليه وطالما لم يحافظ موظفو البنك على وقتهم حتى لا يضيع سدى فقد شعروا ان لهم الحق فى ان يتصرفوا كما يحلو لهم ٠ بدأ احدهم يقول :

ـ ياسيادة المساعد ٠

لكن ك ٠ ارسل من يحضر له معطفه وقال للرجال الثلاثة وهو يرتديه بمساعدة الساعى

ـ أستسمحكم عذرا أيها السادة ، اذ أننى مضطر أن أصارحكم بأنه ليس لدى وقت لمقابلتكم الان ، اننى آسف تماما لكننى مضطر للذهاب الى عمل عاجل يدعونى لمغادرة المبنى فى التو واللحظة ٠ وقد لاحظتم بأنفسكم كيف قضيت وقتا طويلا فى مقابلة آخر الزائرين ٠ هل تتكرمون بالحضور مرة أخرى فى وقت آخر أم هل نستطيع أن نتحدث فيما تطلبون عن طريق التليفون ؟ أم تريدون أن تخبرونى باختصار عما تريدون وسوف أكتب اليكم باجابتى عليه ؟ رغم اننى افضل ان يتم لقاؤنا فى وقت آخر ٠

وكانت هذه الاقتراحات كلها مبعث دهشة الرجال الثلاثة الذين ضيعوا وقتهم دون جدوى على الاطلاق

وتساءل ك ٠ وهو يستدير ناحية الساعى الذى يناوله قبعته :

ــ هل اتفقنا اذن ؟

واستطاع ك ٠ ان يرى عبر حجرته ان نتف الثلج تتساقط بشدة أكثر ومن ثم فقد غطى رقبته بحــافة المعطف ٠

وفى نفس تلك اللحظة خطا نائب المدير الى الحجرة ونظر مبتسما الى ك ٠ وهو يتحدث الى العملاء ثم سأله :

ــ هل ستخرج يا سيد ك ٠ ؟

ــ نعم ، فلدى عمل يجب أن أقوم به ٠

لكن نائب المدير استدار نحو الرجال الثلاثة وسأل :

ــ لكنى أعتقد أن هؤلاء السادة كانوا فى انتظارك منذ فترة طويلة ٠

ــ لقد اتفقنا على ما يجب عمله ٠

لكن العملاء الثلاثة لم يرقهم ذلك فالتفوا حول ك ٠ يحتجون بأنهم قد انتظروه طويلا لاعمال هامة وعاجلة ويطلبون مقابلته لمناقشة هذه المسائل على الفور

واستمع نائب المدير لما يقولون وهو يرقب ك ٠ فى نفس الوقت ، وكان ك ٠ يقف وهو ينفض التراب عن قبعته ٠ وقال نائب المدير :

ــ هناك حل بسيط لهذه المشكلة أيها السادة ، فلو أنكم رضيتم بمقابلتى فانى سوف أضع نفسى تحت تصرفكم بدلا من السيد المساعد ٠ وأعتقد أنه يجب الاهتمام بما تطلبون على الفور ، فاننا رجال أعمال مثلكم تماما ونعرف قيمة الوقت بالنسبة لرجل أعمال ٠ هل تتفضلون بالحضور معى ٠

وفتح لهم الباب الذى يؤدى الى غرفة مكتبه ٠

ان نائب المدير هذا بارع فى التصرف فى الامور التى

اضطر ك • لان يتركها بدون حل ! ولكن ألا يكون ك • يتصرف بحكمة أقل مما يجب ؟ وأن يترك أمورا كان يمكنه أن يتصرف فيها ؟ وبدلا من ذلك فها هو يهرع ـ وأمل طفيف يداعب خياله ـ الى رسام مجهول • أليس من الاجدر أن يعود لينهى عمل اثنين من العملاء اللذين مازالا ينتظران فى حجرة انتظار نائب المدير

ولقد كان ك • على وشك ان يفعل ذلك فعلا لولا ان شاهد نائب المدير نفسه فى حجرته هو يبحث فى الملفات وكأن مكتب ك • مكتبه هو • وهرع ك • الى باب الحجرة فى انفعال وما أن رآه نائب المدير حتى صاح متعجبا :

ـ انك لم تذهب بعد !

ووجه نظراته الى ك • ، نظرات كانت تتسم بالسيطرة والسلطة أكثر مما كانت تتسم بتقدم السن واستأنف بحثه عنه •

وهو يقول :

ـ اننى أبحث عن نسخة من اتفاق تعتقد الشركة أنه يجب أن يكون بين الاوراق ، هل تساعدنى فى البحث

وتقدم ك • الى الامام ، لكن نائب المدير قال وهو يحمل ملفا ضخما مليئا بالمستندات ـ كان يحتوى بالتأكيد على اكثر من مجرد العقد ـ وينصرف به الى حجرته •

قال ك • لنفسه « اننى لست ندا له الان ، لكن ما أن تنتهى متاعبى الشخصية حتى أسوى الامر معه وسأجعله يعانى من ذلك » • وأراحته هذه الفكرة فقال للحاجب الذى ظل واقفا الى جوار الباب المفتوح فترة ـ أن يخبر المدير فى الوقت الملائم أنه ذهب فى عمل ما

وانطلق الى سبيله وقد شعر بالراحة اذ أنه يستطيع أن يكرس مجهوده كله لقضيته لفترة ما •

الفصل الثانى عشر

« الرســام »

استقل ك • على الفور سيارة حملته الى حيث يقطن الرسام ، فقد كان بيته يقع فى الناحية الاخرى من المدينة ، فى حى أكثر فقرا من الحى الذى تقع فيه مبانى المحكمة فالبيوت داكنة والشوارع مليئة بالاوحال التى كانت تطفو فوق الثلوج وهى تذوب ، وعندما اقترب ك • من المنزل الذى يقطنه الرسام وجد احدى ضلفتى الباب مفتوحة وقد انبثق من تحت الضلفة الاخرى سائل أصفر مثيــر للاشمئزاز ، ومن حفرة أيضا خرج فأر هرب بسرعة الى القناة القريبة ، وعند أسفل السلم كان هناك طفل يرقد على بطنه وقد غلب صياحه بين طرقات السمكرى وهو يشكل المعادن ، وكان حانوت السمكرى هذا فى الناحية الاخرى من المدخل وقد وقف فيه ثلاثة من الصبية حول قطعة من المعدن يطرقونها بمطارقهم •

شمل ك • كل هذا بنظرة واحدة سريعة وقد أحس برغبته فى ترك المكان بأقصى سرعة ممكنة ، وقرر بينه وبين نفسه ان يلقى على الرسام بضعة اسئلة ويعود على الفور الى البنك مرة أخرى ، وفكر فى أن البنك سيستفيد منه ما بقى من اليوم او أنه خرج من هذه الزيارة بفائدة •

وحين وصل ك • الى الطابق الثالث كان عليه أن يخفف من سرعته ليلتقط أنفاسه ، فقد كانت درجات السلم واسعة متعبة وقد افترض ك • أن الرسام يعيش فى الطابق الاخير فى حجرة على السطح ، ولما لم يكن هناك

بئر سلم كان المكان ضيقا خانقا · وما أن توقف ك · ليتنفس بعمق حتى اندفعت تجاهه مجموعة من الفتيات يضحكن وهن يخرجن من احدى الشقق ، وتبعهن ك · كى يلحق باحداهن التى بدت وكأنها تعثرت فى الارض ، فتأخرت عن زميلاتها لحظة وقال ك · يسألها :

ـ هل هناك رسام يدعى تيتورلى يعيش هنا ؟

وحدجته الفتاة بنظراتها ، فتاة ذات تشويه فى عمودها الفقرى لا تعدو الثالثة عشرة من عمرها · لم تبتسم الفتاة بل أخذت تحدق فيه بعينين جريئتين ونظرات ذات مغزى فتظاهر ك · بأنه لم يلحظ سلوكها ثم عاد يسألها مرة اخرى :

ـ هل تعرفين رساما يدعى تيتورلى ؟

أومأت الفتاة برأسها ثم سألته بدورها :

ـ ما الذى تريده منه ؟

ووجد ك · الفرصة سانحة لان يعرف عن تيتورلى بعض ما يريد فقال :

ـ أريده أن يرسم لى صورة ·

وأعادت الفتاة قول ك · وقد فتحت فمها دهشة وكأنه قال شيئا غير عادى ، ثم رفعت ثوبها بيديها الاثنتين وأخذت تعدو بكل قوتها نحو الفتيات اللائــى كانت صيحاتهن تخفت رويدا رويدا على البعد ، لكن ما أن صعد ك · الى الطابق التالى حتى شاهدهن أمامه ، وقد كان من الواضح أن الفتاة المحدودبة الظهر قد أخبرتهن بمقصد ك · ومن ثم وقفن ينتظرنه على جانبى المدرج وقد التصقن بالحائط حتى يفسحن له مكانا يمر منه ، كانت وجوههن جميعا تفصح عن مزيج من البراءة والمكر ، ذلك المكر الذى دفعهن للوقوف بتلك الطريقة حتى يسير ك · بينهن ، وفى أعلى الصف الذى أصبح الان نصف دائرة

يتفجرن بالضحك حول ك · وقفت الحدباء على استعداد لان تقود الطريق ، وبفضل الفتاة استطاع ك · أن يتوجه مباشرة الى الطابق الذى يبغيه ، وقد كان فى مبدأ الامر ينوى الصعود الى نهاية الدرج ، لكن الفتاة صعدت أمامه فى درج فرعى يصعد الى حجرة تيتورلى ·· كان هذا الدرج ضيقا للغاية وطويلا دون منحنيات يستطيع المرء أن يرى نهايته وهو أسفله ، ومن حيث وقف ك · استطاع أن يرى باب حجرة تيتورلى وهو مصنوع من ألواح خشب ودون طلاء وكتب عليه اسم تيتورلى بالفرشاة ، ولم يكد ك · يصعد مع رفيقته الى منتصف السلم حتى خرج اليهما رجل لا يرتدى سوى قميصه ـ وقد أزعجته الاصوات الصادرة من أسفل ـ ليرى ما هنالك ، وأطلق الرجل صيحة عندما رأى من يقتربون واختفى على الفور ، وصاحت الحدباء فى سرور وتجمعت الفتيات الاخريات حول ك · يحثونه على الاسراع ·

وما أن وصل الجميع الى أعلى الدرج حتى فتح لهم الرسام الباب وانحنى يحيى ك · ويدعوهللدخول ، أما بالنسبة للفتيات فقد أمرهن بالذهاب بعيدا ولم يسمح لاى منهن بالدخول رغم توسلاتهن العديدة ومحاولتهن الدخول ولو بالقوة ، ولم تتمكن سوى الحدباء من التسلل من تحت ذراعه لكنه أسرع خلفها وأمسك بثيابها وأعادها الى الخارج بين الفتيات الاخريات مرة أخرى ، ولم يستطع ك · أن يستنتج شيئا مما يحدث فقد بدا أن الصداقة تربط بين الجميع فان الفتيات خلف الباب أخذن يطلقن تعليقات ضاحكة على الرسام لم يفهمها ك · وكان الرسام يضحك أيضا وهو يكاد يحمل الحدباء حملا الى الخارج ·

وأغلق الرسام الباب وانحنى مرة أخرى وهو يمد يده لمصافحة ك · وقال :

ــ أنا الرسام تيتورلى ·

واشــار ك. الى الباب حيث كانت الفتيات تتهامس وقال :

ــ يبدو أنك محبوب جدا هنا ؟

قال الرسام وهو يغلق قميصه من أعلى عند الرقبة :

ــ هاته الشيطانات ·· ! انهن يسببن لى ازعاجا حقيقيا ، لقد قمت برسم أحداهن ذات مرة ، ولم تكن أيا ممن رأيتهن ــ ومنذ ذلك الوقت أخذن فى مضايقتى ، وحين أكون هنا يدخلن حين أسمح لهن فقط ، ولـــكن ما أن أخرج حتى تستولى على الاستديو واحدة منهن على الاقل ، فقد صنعن مفتاحا آخر للباب وكل واحدة تعيره للاخرى على التوالى ، ولك ان تتخيل ما يسببنه لى من ازعاج ، فاذا أحضرت سيدة لارسمها هنا فاننى أجد الحدباء هنا مثلا وهى تصبغ شفتها بالفرشاة والالوان ، أما أخواتها الصغيرات اللائى يجب أن تنتبه اليهن فانهن يعثن الفساد فى كل ارجاء الحجرة ، واليك ما حدث فعلا ليلة الامس ، فقد عدت فى ساعة متأخرة مــن الليل ــ وهذا على فكرة سبب الفوضى التى تضرب فى الحجرة ــ عدت فى ساعة متأخرة وبدأت أصعد الى فراشى حين أحسست بشىء يمسك بساقى ، فنظرت تحت الفراش لاجد احـــدى المتوحشات . أننى لا أعـــرف سببا لما يفعلنه بى رغم أنى لا أشجعهن كما ترى ، وذلك يسبب لى الاضطراب فى عملى بالطبع ، ولو لم يكن هذا الاستوديو يؤجر لى مجانا لرحلت عنـــه منذ زمن بعيد ·

وهنا سمعا صوتا عبر الباب يقول :

ــ هل نستطيع الدخول الان يا تيتورلى ؟

ــ لا ·

ــ ولا حتى أنا

وأجاب تيتورلى بالرفض أيضا وذهب الى الباب ليغلقه بالمزلاج ، وفى نفس الوقت كان ك • يتحول بنظرة فى الحجرة وتعجب كيف يمكن ان يطلق على هذا المكان الحقير اسم استوديو ، فان المرء لا يستطيع ان يخطو فيه خطوتين فى أى اتجاه ، ثم أن الجدران والسقف كانت مليئة بالشقوق والحفر • وفى مواجهة ك • كان هناك فراش عليه ملاءات متعددة الالوان والاشكال • وفى وسط الحجرة حامل عليه لوحة غطيت بقميص ابيض تدلت أكمامه حتى الارض • وخلف ك • نافذة لم يستطع أن يرى من خلالها شيئا بسبب الضباب الكثيف •

وما أن حرك تيتورلى المفتاح فى الباب حتى تذكر ك • أنه لا ينوى أن يظل هنا طويلا ومن ثم فقد أخرج من جيبه خطاب المنتج وقدمه للرسام قائلا :

ــ لقد سمعت عنك من هذا السيد وهو صديق لك ، ولقد أتيت الى هنا بناء على نصيحته •

وقرأ الرسام الخطاب بسرعة وألقى به على الفراش ، ولو لم يكن المنتج قد أوضح علاقة تيتورلى به كرسام فقير يطلب المساعدة ، لظن المرء وهو يرى الرسام يلقى بالخطاب أنه لا يعرف صاحبه أو على الاقل لا يتذكر • ثم تساءل تيتورلى :

ــ هل أتيت لتبتاع صورا أم لكى أرسم لك صورة ؟

وحدق فيه ك • فى دهشة وهو يتساءل عما هو مدون فى الخطاب • لقد خمن ان المنتج قد شرح لتيتورلى انه لم يحضر الا لكى يسأل عن قضيته .. وها هو قد أسرع بالمجىء الى هذا الرجل ، لكن كان عليه ان يجيب على هذا السؤال فقال وهو يحدق فى اللوحة :

ــ انك تقوم برسم لوحة فى الوقت الحالى كما أرى ؟

ــ نعم •

ونهض تيتورلى وازاح القميص عن اللوحة ، ثم قال:
ـ انها رسم شخصية ، قطعة رائعة من العمل الفنى لكنها لم تتم بعد ٠

وهكذا أصبحت الفرصة سانحة لـ ك ٠ كى يتساءل عن موضوع المحكمة ، فها هو الموضوع يطرح نفسه لان الصوة كانت لاحد القضاة ، ولقد كانت قوية الشبه بالصورة التى رآها ك ٠ فى مكتب المحامى ان هذا قاض مختلف بالطبع ، رجل ضخم له لحية بالاضافة الى أن الصورة الاخرى كانت بالزيت أما هذه فخطوطها بالفحم ٠ وفيما عدا ذلك فكل شىء متشابه ، نفس النظرة فى عينى القاضى ، ونفس التهديد الذى توحى به حركته ٠ وكاد ك ٠ يقول أن هذا قاض ، لكنه أحجم عن ذلك فى الوقت الحالى واقترب من الصورة وكأنه يدرس تفاصيلها فرأى شبحا فوق ظهر المقعد لم يستطع تمييزه ، وسأل الرسام عما يمثله هذا الشكل فقال تيتورلى أن الصورة مازالت بحاجة الى بعض الرتوش ، وأمسك بقلم الفحم وأضاف بضع خطوط لم تساعد ك. على فهم المزيد ثمقال الرسام :

ـ انها العدالة ٠

ـ نعم واستطيع أن أميزها الان ، فها هى عصابة على العينين وها هما كفتا الميزان ، ولكن اليس هناك اجنحة ؟ وهل تطير ؟

ـ نعم ، ولقد رسمتها كذلك بناء على التعليمات التى صدرت الى ٠ انها فى الحقيقة تمثل العدالة وآلهة الانتصار فى نفس الوقت ٠

قال ك ٠ وهو يبتسم :

ـ انه تآلف غير مناسب بالمرة ، فالهة العدالة يجب أن

تكون ساكنة الحركة تماما والا اهتزت كفتا الميزان ومن ثم يصبح اصدار حكم عادل مستحيلا

قال ك • وهو لا يريد أن يغضب تيتورلى من ملاحظته :

ـ بالطبع وهل رسمت الشبح وهو يقف حقيقة على ظهر المقعد المرتفع ؟

لا ، أننى لم أر الشبح أو المقعد . ان كل ذلك خيال، فهم يقولون لى ما أرسمه •

ـ ما الذى تقصده ؟ ان هذه صورة قاض يجلس على مقعد مرتفع الظهر •

ـ نعم ، لكن هذا لا يعنى أنه يقصد أن يخلق لنفسه مكانة ، ثم انه لم يجلس فى حياته على مقعد كهذا •

ـ ومع ذلك فهو يطلب أن يرسم بهذه الهيبة والوقار ؟ انه يجلس وكأنه رئيس المحكمة •

ـ انهم متكبرون هؤلاء الناس ، لكن رؤساءهم يسمحون لهم بذلك وكل منهم يتلقى تعليمات محددة عن الطريقة التى يرسم بها • كل ما هنالك هو أنك لا تستطيع أن تميز الملابس والمقعد فى الصورة ، ذلك لان الفحم لا يوضح ذلك مع الاسف • لكن عميلى هو الذى طلب هذا فهو يزمع اهداء الصورة الى سيدة •

وبدا تيتورلى وكأن رؤيته للصورة زودته بحماس فشمر عن ساعديه وبدا يضع لمسات بالقلم حول رأس القاضى واصبحت هذه الخطوط بمثابة علو شأن القاضى وارتفاع منزلته . لكن صورة العدالة ظلت بيضاء فيما عدا ظلالا خفيفة جدا • وكان من اثر ذلك ان برزت صورة العدالة الى مقدمة اللوحة كلها • ولم تعد تمثل شكل الهة العدالة او آلهة الانتصار بل آلهة الصيد وهى فى منتهى الحماس •

وانشغل ك • بما يفعله الرسام حتى أصبح يلوم نفسه

لبقائه طوال هذه المدة دون أن يشير الى الموضوع الذى حضر من أجله · وسأل فجأة : ـ

ـ ما اسم هذا القاضى ؟

ـ ليس مسموحا لى بذكر اسمه ·

ـ أعتقد أن هيئة المحكمة توليك ثقتها ؟

وأسقط الرسام أقلامه على الفور ونظر الى ك· وقال مبتسما :

ـ ها أنت تنطق بما جئت من أجله أخيرا ، انك تريد شيئا من المحكمة كما يقول خطاب التوصية ، ولقد بدأت بالحديث عن الصور حتى تكسبنى الى صفك ، اننى لا أفسر ذلك تفسيرا سيئا ولكنها لم تكن الطريقة المثلى للتفاهم معى · أرجوك ألا تعتذر ·· ثم انك قد أصبت فيما قلته فاننى موضع ثقة المحكمة ·

وتوقف لحظة وكأنه يتيح الفرصة لـــ **ك**. ليتأمل هذه الحقيقة ، ولم يرغب ك · فى تقديم أى اعتذار لان ذلك سيزيد الرسام اعتزازا بنفسه · ومن ثم فقد سأله : ـ

ـ هل وظيفتك رسمية ؟

ـ لا ·

ـ حسنا ، ان مثل هذه الوظائف التى لا تظهر على السطح قد يكون لها من التأثير أكثر مما للوظائف الرسمية ·

ـ هذا هو الحال معى بالضبط ·· لقد ذكر لى المنتج قضيتك بالامس وطلب الى أن أساعدك ، وقد سألته أن يبعث بك الى ، ويسرنى أنك حضرت بهذه السرعة ·· ويبدو أن القضية تقض مضجعك وليس هذا بالشىء الذى يثير الدهشة بالطبع ·· هلا خلعت معطفك ؟ ·

ورغم أن ك · كان ينوى أن يبقى فترة قصيرة فقد رحب بذلك لان جو الحجرة أصبح خانقا حارا ، لكن خلع

المعطف لم يغير من شىء ، وحين طلب اليه الرسام الجلوس على الفراش أحس بالضيق · لكن تيتورلى خفف عنه بأن وجه اليه أخيرا السؤال الذى كان ينتظره : ــ

ــ هل أنت برىء ؟

ــ نعم ·

ــ وشعر ك · بارتياح شديد بعد أن أجاب على السؤال الذى لم يوجهه اليه أحد حتى الان ، خاصة وأنه يتحدث الى شخص ليست له صفة رسمية ومن ثم فليس لحديثه معه أى أثر يخشاه ·

وأضاف وهو يتمتع بأثر هذه الكلمة : ــ

ــ نعم ، اننى برىء تماما ·

ــ لو كنت بريئا فسوف يصبح الامر سهلا للغاية ·

وقطب ك · ما بين حاجبيه ، فهذا الرجل موضع ثقة المحكمة يتحدث كالاطفال الذين لم يتخلصوا من جهلهم بعد · فقال : ــ

ــ ان براءتى لا تجعل الامر سهلا على الاطلاق · فعلى أن أحارب عديدا من العقبات الخبيثة من جانب المحكمة ، وفى نهاية الامر تتراكم على تهم عديدة لا قبل لى بها ·

قال تيتورلى وكأن ك · قطع عليه حبل أفكاره دون داع ·

ــ لكنك برىء قبل كل شىء وهذا هو أهم ما فى الامر ·

ورغم اصرار تيتورلى فانه لم يبد عليه اذا كان يتحدث عن اقتناع أو عدم مبالاة ، وأراد ك · أن يتأكد من ذلك فقال :

ــ اننى واثق أنك تعرف عن المحكمة أكثر مما أعرف ، ومعلوماتى عنها لا تزيد عما سمعته من الاخرين ، لكنهم جميعا يتفقون على شىء واحد هو أن التهم لا توجه

جزافا ، وأنه ما أن توجه المحكمة التهمة ضد شخص ما حتى تقتنع تماما بجرمه ، وهذا الاقتناع لا يتغير الا بمنتهى الصعوبة ·

صاح الرسام وهو يلوح بيديه فى الهواء :

ـ بمنتهى الصعوبة ؟ ان المحكمة لا تغير هذا مطلقا ، ولم تفعل ذلك فى أية قضية فى الماضى ولو أننى قمت برسم جميع القضاة فى صف واحد وعرضت دفاعك امامهم لكان هناك أمل فى النجاح أكثر مما لو عرضت هذا الدفاع على المحكمة الفعلية ، ولا يبدو أن لديك أية فكرة عامة عن المحكمة بعد ولكن طالما كنت بريئا فلن تحتاج الى هذه المعلومات وسوف أساعدك على الخروج من هذه الورطة بنفسى ·

ـ وكيف ستفعل ذلك ؟ لقد أخبرتنى منذ لحظات أنه لا يمكن اقناع المحكمة بأية أدلة ·

ـ ذلك بالنسبة للادلة التى يقدمها المتهم للمحكمة ، لكن الامر يختلف اذا كانت هناك مجهودات خاصة خلف الكواليس ، أقصد فى حجرات المشاورة ومكاتب المحكمة وفى نفس هذا الاستديو مثلا ·

ولم يعد ما يقوله تيتورلى الان شيئا مبالغا فيه فقد كان يتسق مع ما سمعه من الاخرين ، وقد كان الامل الذى يحمله حديث الرسام واقعية من الامل الذى حمله له حديث المحامى ، فاذا كان القاضى حقيقة يتأثر بـالعلاقات الشخصية كما أصر على ذلك المحامى فان علاقات الرسام بهؤلاء الناس أكثر أهمية وتأثيرا ، وهذا يجعل من الرسام أهم حلقة فى عقد من يساعدون ك · فى قضيته ، ولما كان جميع من فى البنك يشهدون لـ ك · بقدرته على التنظيم ـ وها هو الان يتولى أمر القضية بنفسه ـ فقد سنحت الفرصة ليستخدم هذه الموهبة لاقصى حد · وحين لاحظ

تيتورلى أثر كلامه على ك · قال فى قلق :

ـ ربما يبدو لك أننى أتحدث وكأننى أحد أعضاء هيئة المحكمة ؟ ان علاقاتى الطويلة بهؤلاء السادة هى التى جعلتنى أتحدث كما أفعل الان · ان هذه العلاقات تعوضنى الكثير لكنها تفقدنى أصالتى كفنان ·

ـ وكيف بدأت اتصالاتك بالقضاه ؟

وجه ك · هذا السؤال وهو يرغب فى أن يكسب الرسام الى صفه قبل أن يجنده فعلا لخدمته ·

أجاب تيتورلى : ـ ان هذا بسيط للغاية فلقد ورثت هذه العلاقات من أبى الذى كان رسام المحكمة قبلى ، ان هذه هى الوظيفة الوحيدة التى يتوارثها الاجيال ، ولا يمكن أن يدخل فيها غرباء ، ان هناك قواعد سرية مختلفة ومعقدة لرسم المستويات المختلفة لوظفى المحكمة ، ومن ثم فيجب ان تقتصر معرفة هذه القواعد على عائلات معينة ، وهناك فى هذا الدرج احتفظ بجميع رسوم أبى التى لن أريها لاى شخص ، وربما يستطيع أى انسان يقوم بدراستها أن يرسم القضاة ، لكننى حتى لو فقدت هذه الرسوم فان لدى معلومات خاصة فى رأسى تمكننى من الحفاظ على وظيفتى فى مأمن من الجميع ، وحيث ان كل قاض يريد ان يرسم كالقضاة العظام السابقين فلن يستطيع أحد أن يفعل ذلك سواى ·

قال ك · وهو يفكر فى وظيفته فى البنك :

ـ اذن فوظيفتك لا يمكن لاحد أن يسلبها منك ؟

ـ نعم ولهذا السبب فاننى أستطيع أن أغامر بمساعدة رجل بائس فى قضيته من حين لاخر ·

وسأله ك · وكأنه لم يوصف بأنه رجل بائس منذ لحظة واحدة :

ـ وكيف تفعل ذلك ؟

ولم يرض تيتورلى أن يقع فى الفخ فاستطرد قائلا :
ففى قضيتك مثلا ــ ولانك برىء تماما فهذا هو الطريق الذى سأسلكه ٠

وكان تكرار ذكر براءة ك ٠ مما يسبب نفاذ صبره ، وفى بعض الاوقات كان يخيل اليه ان هذا التكرار نابع من تخمين ساذج بأن قضيته ستنتهى على أحسن وجه ، ولكن ك ٠ احتفظ بشكوكه ولم يقاطع الرجل ، ذلك بالاضافة الى أنه كان قد قرر قبول مساعدة الرسام طالما أن هذا قد عرضها عليه بصراحة ووضوح ٠ واقترب تيتورلى بمقعده من الفراش واستطرد يقول فى صوت خفيض :

ــ لقد نسيت أن أسألك أى نوع من اخلاء السبيل تريد ؟ فهناك ثلاثة أنواع : الاول هو اخلاء السبيل النهائى ، والثانى اخلاء سبيل صورى ، والثالث تأجيل غير محدد المدة ٠٠ ان اخلاء السبيل النهائى هو أفضل الانواع بالطبع لكن ليس لى أى نفوذ للحصول على حكم به ، وعلى حد علمى فليس هناك شخص واحد يستطيع أن يؤثر على المحكمة باصدار مثل هذا الحكم ، فان العامل الرئيسى فيه هو براءة المتهم ، وطالما انك برىء فانه يمكنك أن تقوم دعواك على البراءة وحدها ، ولكنك فى هذه الحالة لن تكون فى حاجة الى مساعدة منى أو من شخص آخر ٠

وبغت ك ٠ بهذا التفسير الواضح فى أول الامر لكنه أجاب فى صوت خفيض أيضا : ــ

ــ يبدو لى أنك تناقض نفسك ٠

قال الرسام فى صبر وهو يبتسم ، وقد أثارت هذه الابتسامة الشك فى نفس ك ٠ من حيث أنه يتعرض للتناقضات الواضحة فى المحكمة نفسها قبل أن تواجه هذه التناقضات فيما يقوله تيتورلى ، ولكنه استطرد قائلا : ــ

ـ لقد أكدت منذ قليل أن المحكمة لا تقتنع بأى دليل ، ثم قصرت هذا الكلام على المحاكمة العلنية ، وها أنت الان تقول بالفعل أن المتهم البرىء ليس فى حاجة الى مساعدة أمام المحكمة ، وهذا يتضمن فى حد ذاته تناقضا ، وبالاضافة الى ذلك فقد قلت أيضا منذ لحظة أن العلاقات الشخصية يمكن أن تؤثر على القضاة ، ثم تعود فتنكر أنه لا يمكنك الحصول على اخلاء سبيل نهائى عن طريق العلاقات الشخصية ، وهذا تناقض آخر ٠

ـ يجب ان تميز شيئين ، بين القانون المعترف به وبين ما اكتشفته من خلال خبرتى الشخصية ، وعليك الان ألا تخلط بين الاثنين ، فانه فى دستور القوانين ـ الذى لم أقرأه مطلقا ـ فانه مقرر بالطبع ان المتهم البرىء يخلى سبيله ، لكن ليس مكتوبا بالطبع أن القضاة معرضون للنفوذ الخارجى ، أما خبرتى الحقيقية فهى على عكس ذلك تماما ، ففى جميع القضايا التى عرفتها لم يكن هناك متهم برىء حقيقة ، ولكن من المحتمل ألا يكون بين كل هذه القضايا شخص برىء ؟ لقد استمعت وأنا صبى صغير باهتمام الى القضايا التى تردد الحديث عنها امامى ، ثم ان القضاة ـ الذين يأتون الى هذا الاستديو لا يكفون أبدا عن سرد القضايا ، فليس هناك ما يتحدثون فيه غير ذلك ، ثم اننى تتبعت عددا من القضايا لا يمكن احصاؤه ، ويمكننى ان اعترف الان اننى لم اصادف قضية حكم فيها باخلاء السبيل النهائى ٠

قال ك ٠ وكأنه يحدث نفسه :

اذن فليست هناك قضية واحدة حكم فيها بالاخلاء النهائى ٠ ؟ ان هذا يؤكد الفكرة التى خرجت بها عن هذه المحكمة ، وهى انها مؤسسة لا هدف لها بأى وجه من الوجوه ٠ ويمكن لاى موظف تنفيذى أن يقوم بكل عملها ٠

ـ لا يجب عليك ان تطلق احكاما عامة فانني استشهدت فقط بخبرتى الخاصة

ـ وهذا يكفى تماما الا اذا كنت قد سمعت باخلاء السبيل النهائى فى أزمنة مضت ٠

ـ قد يكون ذلك صحيحا لكنه لا يمكن توفير الدليل عليه فان الاحكام النهائية للمحكمة لا تسجل على الاطلاق ، وحتى القضاة أنفسهم لا يستطيعون الحصول على هذه الاحكام ، ومن ثم فكل ما يصلنا عن تلك الاحكام هو فى حكم الاساطير ٠

ـ لكن الاساطير لا يمكن ان تغير من فكرتى ، ثم ان المرء لا يمكن أن يستشهد بهذه الاساطير أمام المحكمة ٠

قال الرسام وهو يضحك ٠

ـ لا يستطيع المرء أن يفعل ذلك بالطبع ٠

ـ اذن فلا فائدة من الحديث عن مثل هذه الاحكام ٠

ولم يشأ ك ٠ أن يعارض قول الرسام ، ولم يكن لديه وقت لبحث ما يدلى به من حقائق ، وكان أقصى ما يريده هو أن يستميل الرجل الى صفه كى يضمن مساعدته ٠ ومن ثم فقد قال :

ـ فلننح اخلاء السبيل النهائى جانبا ، ولنتحدث عن النوعين الاخرين ٠

ـ تقصد اخلاء السبيل الصورى والتأجيل غير المحدد المدة ٠ وهذان هما الاحتمالان الباقيان أمامنا ٠٠ لكن ألا تريد أن تخلع سترتك قبل أن نتحدث عنهما ؟ انك تبدو وكان الحر يرهقك .

أومأ ك ٠ بالايجاب وتحسس جبهته ليجدها مبللة بالعرق فقال :

ـ ان الطقس هنا غير محتمل ، هل نستطيع أن نفتح النافذة ؟

ونظر اليه تيتورلى وكأنه يفهم ما يضايقه تماما ثم أجابه :

ـ لا فانها ليست سوى لوح من الزجاج مثبت فى الجدار ولا يمكن فتحه ٠

وقد كان ك ٠ على استعداد طوال الوقت لان يفتح النافذة ويبتلع أى كمية من الضباب فى سبيل آن يتنفس هواء نقيا ، لكن ها هو يحس بيأس وبرأسه تدور فقال بصوت منخفض :

ـ ان هذا غير مريح وغير صحى فى نفس الوقت ٠

ـ على العكس فان النافذة مريحة لانها تحتفـظ بالحرارة جيدا وأفضل مما لو كانت نافذة مزدوجة ثم أننى لو أردت تغيير هواء الحجرة ـ رغم ان ذلك ليس ضروريا بالفعل لان الهواء يدخل من جميع الشقوق فى الجدران وفى السقف ـ فاننى أستطيع ان أفتح أحد البابين أو كليهما معا ٠

ولما رأى فى عينى ك ٠ نظرة استفهام أشار الى الباب الاخر قائلا : ـ

ـ انه خلفك ، أغلقه بوضع السرير خلفه ٠

واستدار ك ٠ ليرى الباب الصغير لاول مرة ثم قال :

ـ ان هذا الاستديو ضيق جدا فى الحقيقة ٠

ـ ليس لدى مكان سواه ، ثم أن القاضى الذى أقوم برسمه الان مثلا يدخل عن طريق ذلك الباب واضطررت أن اعطيه مفتاحا حتى يستطيع انتظارى فى الاستديو حين اكون بالخارج ٠٠ حسنا انه عادة ما يصل فى الصباح المبكر بينما لا ازال نائما ، لكنه على اية حال يوقظنى من نومى العميق بأن يفتح الباب خلف السرير فجأة ، ولو انك سمعت السباب الذى استقبله به فسوف تفقداحترامك للقضاة جميعا ، ورغم اننى أستطيع أن أستعيد منه

المفتاح لكن ذلك سيزيد الامور سوءا فانه من الممكن ان يفتح اى شخص الباب عنوة ٠

وما أن خلع ك ٠ سترته حتى سمع احدى الفتيات اللواتى كن ينصتن خلف الباب تصيح قائلة :

ـ لقد خلع سترته الان ٠

قال الرسام : ـ ان الفتيات يعتقدن أننى سوف أقوم برسم صورتك ولهذا تخلع سترتك ٠

ـ ماذا كنت تقول عن الاحتمالين الاخيرين ؟

ـ اخلاء السبيل الصورى والتأجيل غير المحدد المدة ، ان عليك ان تختار احدهما وانا استطيع مساعدتك فى الحصول على أى منهما رغم أن ذلك لن يكون بدون متاعب ، أن الاختلاف بينهما يكمن فى أن اخلاء السبيل الصورى يتطلب تركيزا شديدا فى فترات متباعدة ، وفى حين يتطلب التأجيل مجهودا أقل فانه يسبب توترا دائما ٠ وفى حالة ما اذا قررت اختيار اخلاء السبيل الصورى فاننى سأكتب وثيقة ببراءتك اعرف طريقة لصياغتها من ابى ، ثم أعرض هذه الوثيقة على عدد من القضاة الذين أعرفهم ، ولنبدأ مثلا بالقاضى الذى أقوم برسمه عندما يحضر هذا المساء الى هنا ، ساعرض الوثيقة عليه وأشرح له براءتك واننى اضمنك ولتعلم ان هذا ليس ضمانا صوريا بل انه ضمان حقيقى ملزم ٠

وهنا ظهر فى عينى الرسام ما يشبه اللوم لـ ك ٠ لما يجشمه اياه من متاعب فقال ك ٠ : ـ

ـ سيكون ذلك منك عطفا كبيرا ٠ وهل يصـدق القاضى ما تقول ثم لا يحكم باخلاء سبيلى النهـائى لا ٠٠ كما شرحت لك من قبل ، ثماننى لست واثقا ان جميع القضاة سيصدقوننى ، فان بعضهم سيطلبون ان يروك شخصيا ، وعندئذ سأصحبك اليوم بعد اناخبرك

بالاسلوب الذى تتحدث به أمام كل منهم على حدة ، والعقبة الحقيقية تكمن فى القضاة الذين يستقبلونك بالصياح ، لكننى سوف أثابر على اقناعهم رغم أننا نستطيع الاستغناء عنهم ٠٠ حسنا وعندما نحصل على توقيعات عدد كاف من القضاة فاننى عندئذ اقدم العريضة للقاضى الذى تحاكم أمام محكمته فعلا ، ومن المحتمل آن أحصل على توقيعه أيضا وفى هذه الحالة يكون كل شىء على ما يرام فعلا ، ولن تصبح هناك صعوبات تستحق الذكر ، فان المتهم فى هذه المرحلة يصبح مطمئنا ، ومن المدهش ان المتهم يصبح فى هذه المرحلة اكثر اطمئنانا منه عند اخلاء سبيله فعلا ، فانه فى هذه المرحلة يكون القاضى مستريح الضمير وهو يمنح الاخلاء فهناك امضاء القضاة الاخرين ، وحين يحدث ذلك ستسير الى خارج المحكمة رجلا حرا ٠

قال ك ٠ فى شك :

ـ وهكذا أصبح حرا ؟

ـ نعم ولكنها حرية صورية فقط أو على الاصح فهى حرية مؤقتة لان القضاة الذين أعرفهم ـ وهم من أدنى الفئات لا يملكون الحكم باخلاء السبيل النهائى ، فهذا الحكم مقصور على أعلى محكمة وهى لا يمكن لك الوصول اليها ولا نحن أيضا ، ومن ثم فهذا الحق العظيم وهو التبرئة النهائية من الجرم لا يملكه قضاتنا ، لكنهم يملكون فقط أن يخففوا ثقل التهمة على كتفيك ، وهذا معناه أنه حين يخلى سبيلك بهذه الطريقة فان الحمل يخف عن كتفيك مؤقتا ، لكنه يحوم حولك ويمكن ان يعود اليك مرة أخرى ، ومن خبرتى فى المحكمة فان التمييز بين اخلاء السبيل النهائى والصورى يأخذ شكلا رسميا ، ففى اخلاء السبيل النهائى تجمع الوثائق المتصلة بالقضية وتعدم

تماما ، ولا يقتصر ذلك على أوراق الاتهام فقط بل أيضا سجلات القضية بما فيها الحكم النهائى ، لكن هذا لا يحدث مع اخلاء السبيل الصورى ، فان الوثائق فى هذه الحالة تتبقى حيث هى بعد أن تضاف اليها الوثيقة التى تتضمن الحكم والحيثيات التى بنى عليها هذا الحكم ، ويظل الملف يتداول ـ كما يحتم النظام ذلك ـ بين المحاكم العليا التى تحيله الى المحاكم الصغرى . هكذا يظل يدور ويدور فى حركات بطيئة أو طويلة حسب الحالة ، ويمكن لمراقب لا خبرة له أن يتخيل أن القضية فى هذه الحالة يمكن أن تنسى كلية وأن تفقد الوثائق ويصبح الاخلاء نهائيا .

توقف الرسام لحظة ريثما يلتقط أنفاسه ثم أضاف قائلا :

ـ لكن أى شخص له خبرة بالمحاكم لا يمكن أن يخطر بباله ذلك مطلقا ، فانه لا يمكن لوثيقة أن تفقد ، ولا يمكن لمحكمة أن تنسى شيئا ، وقد يحدث فى يوم ما ـ دون توقع مطلقا ـ ان يطلع احد القضاة على الوثائق ويتفحصها باهتمام ليدرك أن التهمة مازالت سارية المفعول ويأمر باجراء قبض فورى ، اننى أقول ذلك على فرض أنه سيمر وقت طويل بين اخلاء السبيل الصورى وبين القاء القبض من جديد ، ورغم أن هذا محتمل فقد عرفت قضايا ما أن اخلى فيها سبيل المتهم حتى ذهب الى منزله ليجد ضابطا معه أمر بالقبض عليه مرة أخرى ، وهكذا يفقد حريته مرة أخرى .

وسأل ك . وهو لا يصدق ما سمع :

ـ وهكذا تبدأ القضية من جديد ؟

ـ بالتأكيد .. وتبدأ القضية من جديد مرة أخرى ، ومرة أخرى يمكن أن يحصل المتهم على اخلاء سبيل

صورى ، ومن جديد يجب عليه أن يستخدم كل قواه ولا يستسلم أبدا ٠

قال الرسام الكلمات الاخيرة بعد أن بدا على ك ٠ بوادر الاغماء ٠٠ وقال ك٠ وكأنه قد تنبأ بما سيحدث :

ـ ولكن أليس طلب الحصول على اخلاء سبيل ثان أكثر صعوبة من الاول ؟

ـ لا أحد يعرف شيئا بالتأكيد عن هذه المسألة ٠٠ هل افهم مما تقول ان القاء القبض الثانى قد يؤثر على القاضى وهو يوقع الوثيقة الجديدة ؟ لا أن الامر ليس كذلك ، فان القاضى وهو ينطق بحكم الاخلاءالاول يتنبأ باحتمال القاء القبض على المتهم من جديد ، ومن ثم فليس لهذا الاعتبار من قيمة ، ولكن يحدث لاسباب عديدة أن تتغير أمزجة القضاة بالنسبة للقضية ـ وحتى وجهات نظـرهم القانونية ـ ومن ثم فيجب على المتهم أن يتأقلم بالظروف المتغيرة عند طلبه اخلاء السبيل الثانى

قال ك ٠ وهو يدير رأسه بعيدا :

ـ لكن اخلاء السبيل الثانى ليس نهائيا أيضا ٠

ـ بالطبع لا فأخلاء السبيل الثانى يتبعه القبض الثالث ، ثم اخلاء السبيل الثالث يتبعه القاء القبض الرابع وهكذا ٠٠٠ ومن ثم فان اخلاء السبيل الصورى أساسه هذا التكرار ٠

ولما لم يقل ك ٠ شيئا سأله الرسام :

ـ ألا يستهويك اخلاء السبيل الصورى اذن ؟ تستطيع اذن أن تبحث التأجيل غير المحدد فقديناسبك أكثر ، هل أشرح لك ما يعنيه التأجيل غير المحدد ؟

وأومأ ك ٠ بالايجاب فى حين كان الرسام يهتز فى كرسيه وهو يحدق أمامه برهة وكأنه يبحث عن تفسير مقنع تماما ٠

ـ ان التأجيل يعنى أن تمنع القضية من أن تتطور الى أبعد من المراحل الاولى ، ولكى يتحقق ذلك يجب على المتهم أو وكيله ـ وعلى الاخص الوكيل ـ أن يظل على علاقة شخصية مستمرة بالمحكمة ودعنى أذكرك مرة أخرى أن هذا لا يتطلب مجهودا مركزا كما فى حالة اخلاء السبيل الصورى ، لكنه من الناحية الاخرى يتطلب حرصا وحذرا عظيمين ، فلن تجرؤ على أن تترك القضية تغيب عن ناظريك ، بل يجب عليك أن تزور القاضى فى فترات منتظمة ، وفى الحالات الطارئة وتفعل ما فى وسعك كى تحتفظ به فى جانبك ، واذا لم تكن تعرف القاضى شخصيا فعليك أن تحاول التأثير عليه عن طريق قضاة آخرين تعرفهم ، لكن هذا لا يجعلك توقف المحاولات لمقابلته بنفسك ، فاذا لم تهمل أيا من هذه الاشياء ، فانك تستطيع أن تطمئن الى أن القضية لن تتطور الى أبعد من المراحل الاولى ٠

وحدج الرسام ك ٠ بنظراته كى يرى تأثير هذا الكلام فى نفسه ثم استأنف حديثه قائلا :

ـ لكن ذلك لا يعنى أن الاجراءات قد انتهت ، فالمتهم قد يهرب من الحكم وكأنه قد أصبح حرا فعلا ، ولهذا فان التأجيل غير المحدد له هذه الميزة ، ورغم ان التأجيل غير المحدد أقل ضمانا من اخلاء السبيل الصورى فان المتهم لا يتعرض فيه لمخاوف القاء القبض عليه فجأة ، وليس عليه أن يخاف من التوتر الذى يصاحب اخلاء السبيل الصورى ، ذلك رغم أن التأجيل له مساوىء أخرى لا يجب أن يقلل من شأنها ٠ اننى لا أقول ذلك لان المتهم فى هذه الحالة لا يصبح حرا تماما ، فالحرية ليست من نصيبه فى كلتا الحالتين ، ولكن فى حالة التأجيل لا يمكن ايقاف القضية عند حد معين دون أسباب معقولة ، ولذلك

وكاجراء شكلى يجب أن يظهر بعض أنواع النشاط من حين لاخر ، ويجب اتخاذ اجــراءات معينة بين حين وآخر ، كاستجواب المتهم وجمع الادلة وهكذا ، ذلك لان القضية يجب أن تكون فى حالة حركة طوال الوقت ، رغم أن هذه الحركة تنحصر فى دائرة صغيرة محددة ٠ وقد يعنى هذا بطبيعة الحال بعض المضايقات للمتهم لكنه لا يجب عليه أن يفكر فيها على هذا الاساس فانها مجرد شكليات ، فالاستجواب مثلا يكون قصيرا وللمتهم أن يعتذر عنه فى بعض الاحيان ، وتستطيع مع بعض القضاة ان تحدد المقابلات فى مواعيد بعيدة فى المستقبل ، كل ذلك كى تستمر حالة المتهم الرسمية فى ذهنه على الدوام بظهوره المنتظم أمام القاضى ٠ وبينما كان الرسام ينطق بالكلمات الاخيرة كان ك ٠ ينهض ممسكا بسترته ومعطفه وسأله الرسام الذى نهض أيضا :

ـ اننى واثق ان الهواء هو الذى يزعجك وأنا آسف لذلك ، فلقد كان لدى الكثير مما كان يجب ان اخبرك به ٠ لقد كان من واجبى أن أعبر عما أريد باختصار ولكنى آمل أن يكون ما قلته لك واضحا ٠

هز ك ٠ رأسه موافقا وهو يشعر بصداع شديد ورغم تأكيده بأنه فهم ما قيل استطرد الرسام يلخص ما قاله مرة أخرى :

ـ وكل من الطريقتين تتشابهان فى انهما تنقذان المتهم من اصدار الحكم عليه ٠

ـ لكنهما أيضا يمنعان صدور قرار باخلاء سبيله نهائيا ٠

ـ ها انت قد لمست لب الموضوع ٠

وحاول ك ٠ أن يرتدى سترته لكنه لم يجد لديه قوة كافية فانه كان يفضل أن يأخذ السترة والمعطف على

ذراعه ويهرع الى حيث الهواء النقى ، ورغم أنه تذكر الفتيات الواقفات خلف الباب فان هذا لم يحثه على ارتداء ملابسه ، وفى تلك اللحظة ارتفعت صيحات الفتيات وكل منهن تخبر الاخرى بما تراه، وحاول تيتورلى أن يخمن نوايا ك • فقال :

ـ ألاحظ انك لم تستقر بعد على أى من اقتراحاتى ، ولك الحق فى ذلك فاننى كنت بسبيل ان انصحك بالا تتسرع فى اتخاذ قرار • ان التمييز بين مزايا ومساوىء كل اقتراح شبيه بالتفرقة بين عدة خيوط رفيعة لا تكاد ترى ، لكنك أيضا لا يجب أن تضيع وقتا كبيرا فى ذلك •

ـ سأعود مرة أخرى سريعا •

وكأنما استقر رأى ك • على شىء فقد ارتدى سترته فجأة ووضع المعطف على كتفه وأسرع نحو الباب الذى بدأت الفتاة خلفه فى الصياح فى حين قال الرسام الذى لم يصحبه نحو الباب :

ـ يجب أن تحافظ على كلمتك والا فسوف أحضر الى البنك لاستعلم •

قال ك • للفتيات اللواتى كن يتعلقن بمقبض الباب •

ـ هيا افتحن هذا الباب •

ـ اذا لم تكن تريد أن ترى الفتيات فيمكنك ان تخرج من خلال الباب الاخر خلف السرير •

وهرع ك • متجها للباب الاخر لكن تيتورلى بدلا من أن يفتحه زحف تحت السرير وقال :

ـ انتظر لحظة ، الا تريد أن تشاهد لوحة أو لوحتين يمكنك ابتياعهما ؟

وفكر ك • فى ان الرسام كان على استعداد لمساعدته حقا ، ثم أن ك • وسط اضطرابه نسى مكافأة الرسام على خدماته ومن ثم لم يستطع أن يتجاهل مثل هذا العرض

الان ، وهكذا وافق على القاء نظرة على الصور رغم أن جسده كان ينتفض بالرغبة فى الخروج من هذا المكان، وجذب تيتورلى كومة من لوحات بغير براويز من تحت السرير وأخذ ينفض التراب المتراكم عليها ، التراب الذى سبب اختناقا لـ ك • وهو يستمع للرسام الذى كان يقول :

ـ هذه لوحة تعبر عن الطبيعة البرية فهذه حشائش شيطانية •

ونظر ك • فى اللوحة التى كانت تمثل شجرتين متباعدتين فى خلفية تمثل حشائش خضراء داكنة ، وهز ك • رأسه قائلا :

ـ انها جميلة وسأشتريها •

ورغم أن ك • خشى أن تضايق اجابته المختصرة الرسام فانه بعد ذلك رفع لوحة أخرى وقال :

ـ وهذه اللوحة تكمل موضوع اللوحة الاولى •

وربما كانت حقا تكمل الاولى لكن لم يكن هناك اى اختلاف بين اللوحتين فكلتاهما تحتوى على الشجرتين والحشائش والشمس الغاربة ، لكن ك • لم يكترث بذلك بل قال :

ـ انها مناظر رائعة وسأشترى كلتيهما لاعلقهما فى مكتبى •

قال الرسام وهو يقدم له لوحة ثالثة :

ـ يبدو انك تفضل هذا الموضوع ، ومن الصدف الحسنة ان لدى دراسات أخرى فى نفس هذا الموضوع •

لكن اللوحة الثالثة كانت أيضا نفس اللوحتين السابقتين ، ولقد كان من الواضح أن الرسلم يستغل الفرصة الى آخر مدى ليبيع لوحاته القديمة ، فقال ك • :

ــ سأشترى هذه أيضا ، كم أدفع لك ثمنا لهــذه اللوحات الثلاث .

سنتفق على هــذا فى المرة القادمة ، فانك اليوم فى عجلة من أمرك ، وسوف يتصل أحدنا بالاخر على اية حال ، أود أن أقول لك انني مسرور لانك أعجبت باللوحات وسوف ألقى بالاخريات تحت السرير فكلها تمثل نفس المنظر ، لقد رسمت العشرات منها فى وقت ما رغم أن البعض لا يحبون مثل هذه المواضيع لانها كئيبة جدا ، غير ان البعض الاخر مثلك مثلا ــ يفضلون الصور الكئيبة · ولـم يكن ك · فـى حالة تسمح له بالانصـــات لهـذه التعليقات الفنية من هذا الرسام البائع فصاح ك · يقاطع لغو تيتورلى :

ــ احزم هذه اللوحات وسوف يحضر الساعى غدا ليأخذها ·

ــ ليس هذا ضروريا ، واعتقد انه يمكنني ان اطلب الى البواب أن يحملها لك الان ، وأخيرا وقف فوق السرير ليفتح الباب قائلا :

ــ لا تخشى ان تخطو على الفراش فان كل شخص يدخل هنا يفعل ذلك .

ولم يتردد ك . فقد خطا فى وسط الفراش وما أن أصبح خارج الحجرة حتى صاح يسأل الرسام :

ــ ما هذا ؟

ــ ما الذى يسبب دهشتك ؟ هذه هى مكاتب المحكمة · ألم تكن تعرف أن مكاتب المحكمة فى هذه البناية أيضا ؟ ان هناك مكاتب للمحاكم فى الطابق العلوى من كل مبنى تقريبا فلماذا تصبح هذه البناية استثناء ؟ ·· ان هذا الاستوديو ملك لمكاتب المحكمة لكنها وضعته تحت

تصرفى ٠

ولم يكن اكتشاف مكاتب المحكمة هو الذى أذهل ك ٠ بل جهله بكل ما يتصل بالقضاء ٠٠ وامتد أمامه ممر طويل هب منه هواء أكثر فسادا من هواء حجرة الرسام ، وعلى جانبى الممر كانت هناك مقاعد خشبية كتلك التى رآها ك ٠ فى مكاتب المحكمة التى تنظر أمامها قضيته ، وبدا له أن هناك نظاما يحكم هذه المكاتب جميعا ٠

وفى تلك اللحظة لم يكن هناك كثير من العملاء بل رجل واحد يتمدد على دكة ورأسه بين ذراعيه وآخر يقف فى العتمة فى نهاية الممر ، وهرع ك ٠ عبر الطرقة والرسام وراءه ، وسرعان ما ألتقى بحاجب المحكمة الذى ميز ك ٠ بالازرار الاضافية على ملابسه المدنية ، فطلب اليـــه تيتورلى ان يحمل لك ٠ اللوحات ، واستمر ك ٠ يسير متعثرا وقد وضع منديلا على فمه حتى وصل الى الباب الخارجى حيث اندفعت الفتيات للقائه ٠

وهكذا لم يستطع ك ٠ أن يفلت منهن رغم ما بذله من جهد ، وقد بدا واضحا أن الفتيات قد شاهدنه وهو يخرج من الباب الاخر فهرعن يدرن بأقصى سرعة ليلحقن به عند السلم الاخر ، وقال الرسام ضاحكا والفتيات يحطن به :

ـ اننى لا استطيع أن أصحبك أكثر من ذلك ٠٠ الى اللقاء فى المرة التالية ولا تستغرق وقتا طويلا فى التفكير ٠

ولم ينظر ك ٠ خلفه ٠٠ وما أن وصل الى الشارع حتى استدعى سيارة اجرة ، وفكر ك ٠ فى انه يجب التخلص من الحاجب الذى كانت ازرار سترته تسبب له الضيق ، أما الحاجب فانه بحماس واضح صعد ليركب معه لكن ك ٠ أمره بالنزول ٠

وكان النهار قد انتصف منذ مدة حين وصل ك · الى البنك ، ورغم انه كان يفضل أن يترك اللوحات فى السيارة فقد خشى أن يسأله عنها الرسام يوما ما فأمر بأن تحمل الى مكتبه حيث احتفظ بها فى الدرج الاخير كى يبعدها عن انظار نائب المدير ·

الفصل الثالث عشر

التاجر

وفي نهاية الامر استقر عزم ك· على أن يسحب القضية من بين يدى المحامى دكتور هولد ، ورغم أن الشكوك كانت لا تزال تراوده في سلامة هذا القرار فان اقتناعه بضرورة هذه الخطوة تغلب على كل شيء · لكنه ايضا لم يتوصل لاتخاذ القرار بسهولة فقد تطلب منه هذه مجهودا شاقا ·

وفى اليوم الذى اختاره لزيارة دكتور هولد تأخر فى عمله مدة طويلة بسبب شتات أفكاره وهكذا لم يصل الى منزل المحامى قبل الساعة العاشرة ، وفكر مرةأخرىقبل أن يدق الجرس اذ كان ممكنا أن ينقذ قراره عن طريق التليفون أو خطاب ، لكنه فكر فى أنه عندئذ لن يعرف رد فعل المحامى حين يعلم باستبعاده عن الدفاع في القضية وتأثير ذلك على ك · نفسه ، أما فى حالة مواجهة المحامى فانه يستطيع أن يفاجئه بالقرار ويصبح من السهل عليه أن يستنتج من سلوكه ما يريد أن يعرفه · وأخيرا ربما اكتشف حكمة لا يعرفها من ترك القضية بين يدى المحامى ومن ثم يرجع فى قراره ·

ولم يؤد دق الجرس لاول مرة الى اية نتيجة كالعادة ، وفكر ك· فى أن لينى يمكن أن تكون أكثر سرعة ولكن هذا يمكن التجاوز عنه طالما لم يكن هناك شخص آخر ينغص

عليه الزيارة · ونظر ك · الى باب فى نهاية الممر وهو يضغط الزر مرة أخرى ، ولكن أيا من البابين لم يفتح. وأخيرا ظهرت له عينان غير عينى لينى · وسمع هذا الشخص يرفع المزلاج ويصيح « انه هو » ، ثم فتح الباب وهرع ك · الى الداخل ليرى لينى ـ التى لابد أن صيحة التحذير كانت موجهة اليها وهى تسرع فى الممر وهى ترتدى منامتها ·

ركز ك · عليها نظراته لحظة ثم استدار ليرى من فتح له الباب كان رجلا له لحية طويلة يمسك شمعة بيده وسأله ك · :

ـ هل تعمل هنا ؟

ـ لا ، اننى لست من أهل هذا المنزل ، اننى مجرد عميل وقد أتيت لعمل ·

ـ جئت لعمل دون أن ترتدى سترتك ·

ونظر الرجل الى ثيابه وكأنه لا يعرف ما يرتديه :

ـ أغفر لى يا سيدى ·

ـ هل لينى عشيقتك ؟

وجه اليه ك · هذا السؤال وهو يتقدم الى الامام وقبعته فى يده وقد احس بتميزه عن ذلك الرجل الضئيل لانه يرتدى معطفا ، ورفع الرجل يده يغطى بها عينيه فى فزع :

ـ أوه يا الهى ، لا ، ما الذى تفكر فيه ؟

ـ انك تبدو رجلا شريفا ، ولكن ذلك لا يمنع ·· تقدم أمامى ·· ما اسمك ؟

قال الرجل وهو يستدير ليقدم نفسه :

ـ اسمى بلوك ، تاجر جوال ·

لكن ك · لم يتركه يقف بل أخذ يحثه على السير أمامه ثم سأله :

ـ هل هذا هو اسمك الحقيقى ؟
ـ نعم بالطبع ولماذا تشك فى ذلك ؟
ـ خطر لى انه ربما كان لديك سبب يدعوك لاخفاء اسمك الحقيقى ٠

كان ك ٠ يشعر بالراحة الان ، الراحة التى يحس بها شخص ذو مكانة وهو يتحدث الى من هو أقل منه شأنا ، ذلك وهو يناقش الاخر أموره لكنه يستطيع أن يستبعده فى أى وقت ٠ وحين وصلا الى حجرة مكتب المحامى توقف ك ٠ ودفع بالرجل الذى كان يحمل الشمعة الى الداخل وأمره بالتحرك فى ارجاء الحجرة ليرى اذا ما كانت لينى تختفى هناك ، لكن الحجرة كانت خالية ٠

وامام صورة القاضى أمسك ك ٠ بالرجل من ياقة قميصه واشار الى الصورة قائلا :

ـ هل تعرف من يكون هذا ؟
ـ انه قاض ٠
ـ هل هو قاض عظيم ؟

وجه اليه ك . هذا السؤال وهويقترب من الرجل كى يرى اثر الصورة فى نفسه ، حدق الرجل فى الصورة باحترام وقال :

ـ انه قاض له مكانة عالية ٠
ـ لا يبدو انك حاد البصيرة ، فهذا قاض من أدنى المستويات ٠
ـ اننى أتذكر هذا الان ، فقد قال لى أحدهم ذلك يوما مـــا ٠
ـ نعم ، بالطبع وكيف انسى أنا أن أحدهم أخبرك بذلك من قبل ؟
ـ ولكن لماذا ، لماذا يجب أن أعرف ذلك ٠

وكان الرجل ينطق بهذه الكلمات وهو يتحرك الى

الخارج حيث كان ك • يدفعه من الخلف وحين أصبحا فى الممر قال ك • :

ـ اعتقد انك تعرف المكان الذى تختبىء فيه لينى ؟

ـ تختبىء ؟ لا ، انها فى المطبخ تعد الحساء للمحامى •

ـ ولماذا لم تخبرنى بذلك منذ أن دخلت ؟

ـ كنت فى طريقى اليها حين ناديت على كى ادخل معك حجرة المكتب •

قال الرجل ذلك وهو فى حيرة من امره بسبب الاوامر المتضاربة ، وقال ك • :

ـ هل تعتقد انك ماكر ، قد الطريق الى المطبخ •

ولم يكن ك • قد شاهد المطبخ مطلقا من قبل ، فرآه متسعا فسيحا فيه كل مستلزمات مطبخ حديث فيما عدا الموقد الذى كان فى مثل حجم ثلاثة مواقد عادية ، ورأى ك • على ضوء المصباح الخافت المعلق قرب الباب ، لينى وهى تقف بجوار الموقد وقد ارتدت مريلة بيضاء وتضع بيضا فى اناء يخرج منه البخار • قالت وهى تلقى عليه نظرة من فوق كتفها :

ـ مساء الخير يا جوزيف •

رد ك• التحية وهو ينحى التاجر الى ركن بعيد الى حيث مقعد جلس عليه الرجل فى هدوء ثم اقترب ك • من لينى وانحنى على كتفها ليسأل :

ـ من هو هذا الرجل ؟

وضعت لينى يدها الحرة حول خصر ك • وقالت وهى تحرك الحساء :

ـ انه مخلوق بائس ، تاجر جوال يدعى بلوك ، انظر اليه •

ووجه الاثنان نظراتهما الى حيث كان الرجل يجلس فى

المقعد الذى أشار اليه ك • بعد أن أطفأ الشمعة التى لم يعد له بها من حاجة • قال ك • :

ـ لقد كنت فى منامتك • فهل هو عشيقك ؟

ومدت لينى يدها تريد أن تبحث عن اناء تضع فيه الحساء لكن ك • منعها من ذلك • وهو يأمرها بأن تجيب فقالت :

ـ تعال معى الى حجرة المكتب وسأعطيك أجابتى هناك :

ـ لا ، أريد الاجابة هنا •

وحاولت لينى أن تطبع على فمه قبلاتها لكنه لم يمكنها من ذلك ، فحدقت فيه بتوسل ثم قالت بصراحة :

ـ لا يمكن أن تغار من السيد بلوك يا جوزيف •

ثم استدارت الى التاجر وقالت :

ـ هب لنجدتى يا رودى ، ها أنت ترى أننى موضع شك •

وظن ك • ان الرجل لم يكن مركزا انتباهه الى ما يجرى ، لكنه فهم على الفور ما تعنيه وقال دون مواربة :

ـ اننى لا استطيع أن أخمن ما الذى تغار منه أيضا •

قال ك • وهو يبتسم •

ـ ولا أنا كذلك •

وأطلقت لينى ضحكة مجلجلة وتعلقت بذراع ك • وهمست فى أذنه :

ـ دعه وحده فأنت تعرف اى نوع من الناس هو ، لقد وجهت اليه بعض عنايتى لانه افضل عميل عند دكتور هولد • وهذا هو السبب الوحيد ، ولكن ماذا عنك ؟ هل تريد مقابلة المحامى الليلة ؟ انه ليس فى أحسن حالاته على الاطلاق ، غير انى سأخبره بحضورك على اية حال ، لكنك بالطبع ستقضى الليل معى لانك لم تفعل ذلك منذ مدة

طويلة ، وحتى المحامي نفسه سأل عنك عدة مرات ، لن يفيدك أن تهمل قضيتك ؟ ثم ان لدى بعض المعلومات التى اكتشفتها بنفسى أيضا ولكن اخلع معطفك قبل أى شيء ٠

وساعدته لينى على خلع معطفه وأخذت قبعته وهرعت الى البهو لتعلقها ثم عادت بسرعة كى تلاحظ الحساء على النار ٠ وسألت :

ــ هل أعلن عن مقدمك أو أقدم له الحساء أولا ؟

وشعر ك . بالقلق ، لانه كان ينوى أن يناقش القضية برمتها مع لينى وخاصة مسألة استبعاد المحامى ، لكن وجود التاجر افسد كل شيء ٠ لكن ك ٠ عاد يقول لنفسه ان الامر من الاهمية بحيث لا يجب ان يؤثر عليه وجود تاجر تافه ٠ فعاد ينادى لينى التى كانت قد خرجت الى الممر : ــ

ــ لا ، دعيه يتناول حساءه أولا ليعطيه القوة التى سوف يحتاج اليها فى مقابلته معى ٠

قال التاجر فى هدوء من ركنه البعيد :

ــ اذن فأنت أحد عملاء الدكتور هولد أيضا ٠

ــ وما شأنك بهذا ؟

ونهرت لينى التاجر ثم قالت وهى تصب الحساء : ــ

ــ حسنا اذن ، سآخذ اليه الحساء أولا ، لكن هناك خطر من أن ينام بعد ذلك على الفور فقد اعتاد أن ينام بعد تناول عشائه مباشرة ٠

قال ك ٠ وهو ينتهز كل فرصة لكى يشير الى أن مقابلته مع المحامى ستكون خطيرة : ــ

ــ ان ما سأقوله له سيجعله يستيقظ تماما ٠

أراد بذلك أن تسأله لينى عما هنالك وعندئذ يطلب نصيحتها ، لكن لينى لم تفعل سوى ان نفذت اوامره حرفيا ٠ وحين كانت تمر الي جواره حاملة وعاء الحساء

همست فى دلال :

ـ سأعلن عن وجودك فى اللحظة التى ينتهى فيها المحامى من حسائه حتى تعود الى بأسرع ما يمكن ٠

ـ هيا فى طريقك ٠

ـ لا تكن فظا هكذا يا جوزيف ٠

واستدارت فى الممر هى والحساء وكل شىء ٠

ووقف ك ٠ يحدق فيها وقد استقر عزمه على استبعاد المحامى . ولن يضيره الا يناقش الامر مع لينى،فان الامر برمته أعلى من مستواها وسوف تحاول اقناعه بالتأكيد بعكس ما يريده ، وربما حاولت أن تؤجل ذلك الى مرة أخرى ، وسوف يظل بذلك نهبا للشكوك والمخاوف حتى ينفذ قراره طالما أنه لا يستطيع أن يغفله تماما ٠ لكن كلما كان ذلك أسرع كان أفضل بطبيعة الحال ، ثم أن التاجر ربما استطاع أن يلقى بعض الضوء على الموضوع ٠

واستدار ك ٠ نحو الرجل الذى ما أن أحس بنظرات ك ٠ عليه حتى هبواقفا ، لكن ك ٠ قال لهوهو يقترب منه بمقعده :

ـ ابق جالسا ، انك عميل قديم للمحامى ، اليس كذلك ؟

ـ نعم ، عميل قديم جد ٠

ـ مذ متى وهو يهتم بأمورك ؟

ـ لا أعرف بالتحديد الامور التى تعنيها ٠ هل تقصد امورى التجارية فأنا تاجر حبوب ، وقد ظل المحامى يعمل وكيلا لى منذ أن بدأت عملى ، وكان هذا من حوالى عشرين عاما ٠ أما بالنسبة للقضية ـ وربما هى ما تفكر فيه ـ فقد بدأ يدافع عنى فيها منذ أكثر من خمس سنوات ٠٠ نعم ، ان المدة تربو على الخمس سنوات الان ، ٠٠ ها أنا أدون كل شىء فى مفكرتى ٠ فانه من

الصعب أن يحفظ المرء التواريخ بالتحديد ، أعتقد أن قضيتى ترجع الى وقت أبعد مما قلت ، فقد كان ذلك بعد وفاة زوجتى مباشرة ٠

واقترب ك ٠ بمقعده أكثر ، وسأل التاجر وقد بدا عليه الاهتمام بفكرة خلط المحامى بين الامور القضائية والامور التجارية :

ـ اذن فالمحامى يقوم بأعمال تجارية ايضا ؟

ـ بالطبع ، وهم يقولون أنه فى ميدان الاعمال أكثر نجاحا منه فى ميدان القضاء ٠

قال التاجر ذلك فى همس ثم شعر بالندم على ذلك فأمسك بيد ك ٠ وقال : ـ

ـ اتوسل اليك الا تخبر المحامى بما قلته لك ٠

وربت ك ٠ على ركبته فى عطف وقال :

ـ لا ، لا ، لن أقول له ٠

ـ أرجوك ، فهو رجل يستطيع الانتقام ٠

ـ لكنه بالطبع لن يؤذى عميلا قديما مخلصا مثلك ؟

ـ أوه ، نعم ، فحين يثيره شىء لا يميز بين شخص وآخر ، ثم اننى لست مخلصا له فى الحقيقة ٠

ـ وكيف ذلك ؟

ـ ربما لا يجب أن أخبرك ، لكنى سأطلعك على جزء من السر لو أنك بدورك أطلعتنى على أحد أسرارك وبذلك نقف أمام المحامى على قدم المساواة .

ـ أنك حريص جدا ، لكنى سأخبرك بسر يخفف كل ما لديك من شكوك ، ما هو المجال الذى لم تكن فيه مخلصا للمحامى ؟

قال التاجر وكأنه يعترف بشىء مناف للشرف : ـ

ـ لدى محامون آخرون يدافعون عنى سواه ٠

قال ك ٠ وقد يشعر بخيبة أمل : ـ

ـ لكن ذلك ليس بالامر الخطر ٠

وأجاب التاجر الذى كان لا يزال يحبس أنفاسه منذ أن ألقى بالاعتراف ، لكنه الان استرد ثقته بعد أن سمع تعليق ك ٠ : ـ

ـ ذلك شىء مخالف لما يجرى عليه العرف ، او على الاقل فليس من المسموح به أن يستشير المرء محامين غير مسجلين فى حين يكون محاميه رسميا ٠ وهذا هو بالضبط ما أفعله ، فلدى خمسة محامين غيره ٠

وصاح ك ٠ وهو لا يصدق ما يسمع :

ـ خمسة ؟ خمسة محامين بخلاف دكتور هولد ؟

ـ ولقد كنت بسبيلى الى السادس أيضا ٠

ـ ولكن فيم تحتاج الى كل هؤلاء ؟

ـ اننى احتاج لكل واحد فيهم ٠

ـ أخبرنى لماذا ٠

ـ بكل سرور ، اننى لا اريد ان اخسر قضيتى كما تعرف ، ومن ثم لا أستطيع أن أتجاهل أى طريق يمكن ان يساعدنى ٠ ولو كان هناك بصيص من امل فى أى مكان فلا يمكننى أن أستبعده ، وهكذا أنفقت كل مالى على هذه القضية ٠ لقد سحبت كل أموالى من تجارتى ، وهكذا اضمحلت مكاتبى ، وتفرق عمالى ، وبعد أن كنت أستعين بعدد كبير من الكتبة لم يبق لدى سوى مساعد واحد ٠ ان سحب الاموال فقط لم يتسبب فى تدهور العمل ٠ بل ان تشتيت نشاطى هو الذى أدى الى ذلك ٠ فلو أن المرء ركز نشاطه فى دفع قضيته الى الامام فلن تبقى له قدرة على فعل أى شىء آخر ٠

ـ اذن فقد كنت تولى قضيتك اهتمامك ووقتك بالاضافة الى المحامين ، ان هذا بالضبط ما أردت أن أسألك عنه ٠

ـ ليس هناك ما أقوله فى هذا المجال ، لقد حاولت

القيام بالمجهود بنفسى فى أول الامر لكنى سرعان ما اضطررت للتخلى عن ذلك ٠ انه عمل مرهق والنتائج سيئة مخيبة للامال ٠ ان مجرد الذهاب للمحكمة ومتابعة الاوراق كان شيئا فوق طاقتى بالنسبة لى على الاقل ٠ ومجرد انتظار دورك يجمـــد الدماء فى عروقك ، وأنت تعرف جو تلك المكاتب ٠

ـ وكيف عرفت أننى ذهبت الى هناك ؟

ـ لقد كنت فى الممر حين كنت تعبره فى المحكمة ٠

ـ يا لها من مصادفة ، اذن فقد كنت فى الممر حين كنت أسير فيه ، نعم لقد عبرت الممر ذات مرة ٠

ـ لكن ذلك لم يكن محض مصادفة فاننى اذهب هناك كل يوم ٠

ـ يحتمل أن أذهب أنا أيضا هناك كثيرا من الان فصاعدا ، لكنى لا أتوقع أن يستقبلونى هناك بمثل تلك الحفاوة التى استقبلت بها فى تلك المرة ٠ فقد وقف كل من هناك بمجرد دخولى وربما ظنونى قاضيا ٠

ـ لا ، اننا وقفنا للحاجب وليس لك ، فلقد كنا نعرف أنك متهم مثلنا ٠ فان أخبارا كهذه تنتشر بسرعة ٠

ـ اذن فقد كنت تعرف ذلك فعلا ، فربما اذن ظننت اننى رجل هام ذو مكانة ٠٠ هل قال أحدكم شيئا ؟

ـ لا ، فان الانطباع الذى تركته اختلف من شخص لاخر ٠ لكن كل شىء هراء ٠ وما دمت تصر على السؤال فسأخبرك ، لكن يجب قبل ذلك أن تتذكر أن ما يتحدث عنه الناس فى المحاكم لا يتسم بالعقل والمنطق ٠ فان الناس يصيبهم الكلل من التفكير ، وهناك أيضا من يؤمنون بالخرافات ٠ ومن ذلك فانه يمكن معرفة ـ من شكل شفتى المتهم ـ اذا كانت قضيته ستنجح أم لا ٠ وقد حكم من كانوا هناك ـ بناء على شكل شفتيك ـ أنك مذنب ٠

وسيظهر ذلك فى القريب العاجل ايضا ٠ اننى اقول لك ان هذه خرافات لا معنى لها وتتناقض مع الواقع والحقيقة ، ولكن لو عشت مع هؤلاء الناس فلن تصدق الفكرة السائدة ٠ أنك أيضا لن تصدق ما لهذه الخرافات من أثر قوى ، لقد تحدثت الى رجل هناك ، أليس كذلك ؟ ولم يستطع الرجل أن ينطق بحرف ٠ ان أحد الاسباب لذلك هو ان رؤية شفتيك سببت له صدمة ، ولقد قال فيمابعد انه رأى فى شفتيك علامة على جرمه هو ٠

قال ك ٠ وهو يخرج مرآته من جيبـه ويتفحص شفتيه : ــ

ــ اذنى لا أستطيع أن أرى شذوذا فى شفتى ، هل ترى أنت شيئا ؟

ــ لا ٠ لا أرى شيئا غريبا ٠

ــ ولكن كيف يؤمن هؤلاء القوم بالخرافات ؟ هل يتقابلون كثيرا ويتبادلون هذه الافكار ؟

ــ انهم فى العادة لا يتقابلون كثيرا وليس ذلـك بمستطاع فهم كثيرون جدا ، ثم أن ما يربطهم من مصالح قليل ، وربما تعتقد جماعة منهم ان لها مصالح مشتركة لكنها سرعان ما تكتشف خطأها ٠

ان العمل المشترك ضد المحكمة شىء مستحيل ،فان كل قضية يحكم فيها على حدة ، بناء على ما تراه فقط ، ومن ثم فالعمل الجماعى مستبعد تماما ٠ وقد يحرر أحدهم نقطة هنا أو نقطة هناك لكن أحدا لا يسمع بها الا بعد فترة ولا يعرف احد كيف تم ذلك ، اذن فهؤلاء الناس يجمعهم شىء ، أنهم يدخلون ويخرجون من المكاتب دون أن يتحدثوا ٠

قال ك ٠ :

ــ لقد رأيت كل من كانوا ينتظرون فى الممر وظننت

عندئذ أن انتظارهم هناك دون جدوى ٠

ـ لا ، على الاطلاق ، ان وجودهم هناك ليس دون فائدة ، لكن الشىء الذى لا فائدة فيه هو أن يقوم المرء باجراء منفرد ، كما قلت لك ، فرغم أن لدى خمسة محامين فاننى لا أستطيع أن أنفض يدى من القضية كما قد تظن بل يجب أن أرقب الامر عن كثب أكثر مما لو كان لدى محام واحد ٠ اعتقد انك لا تفهم ذلك ؟

ـ لا ٠ وأرجو أن نتحدث بسرعة أقل حتى أستطيع متابعتك ٠

قال التاجر بهدوء :

انى مسرور اذ ذكرتنى بذلك ٠ انك بالطبع حديث العهد بهذه المسألة فانك لست الا قادما جديدا فان قضيتك عمرها ستة أشهر فقط ٠٠ أليس كذلك ؟ هذا ما سمعته ، انها قضية مازالت فى المهد لكن مشاكل القضايا اصبحت طبيعة ثانية لى ٠

قال ك ٠ وهو يتجنب ان يكون سؤاله عن قضية التاجر مباشرا :

ـ وأعتقد انك راض لان قضيتك قد احرزت بعض التقدم ؟

لكنه لم يتلق اجابة على ذلك بل قال التاجر :ـ

ـ لقد حملت ثقلى لمدة خمس سنوات كاملة ، وهذا ليس بالامر السهل بطبيعة الحال ٠

وساد الصمت فترة انصت فيها ك٠ ليعرف اذا كانت لينى عائدة فهو من ناحية لم يكن يريدها ان تعود فى تلك اللحظة فمازالت لديه أسئلة كثيرة يطرحها ، ثم أنه لم يكن يريدها ان ترى كيف توثقت علاقته بالتاجر ، لكنه من الناحية الاخرى شعر بالضيق لانها قضت مع المحامى وقتا أطول مما يتطلبه اعطاؤه وعاء الحساء ٠ واستطرد

التاجر يقول بينما ك • يصغى اليه •

ـ اننى لا ازال اتذكر جيدا الايام التى كانت قضيتى فيها فى المراحل الاولى مثل قضيتك لم يكن لدى عندئذ سوى دكتور هولد يدافع عنى ولقد كنت راضيا به •

وفكر ك • فى نفسه انه سوف يخرج الان بالكثير ، وهز رأسه وكأنه يشجع التاجر على الاسترسال فى حديثه •

ـ ولكن قضيتى لم تحرز تقدما • كان هناك بالطبع استجوابات حضرتها جميعا ، وجمعت الادلة ووضعت جميع سجلات حساباتى تحت تصرف المحكمة وهو شىء لم يكن له ضرورة مطلقا كما اكتشفت فيما بعد ،ولقد استمر ترددى على المحامى الذى ظل يقدم الالتماس بعد الاخر •

ـ التماسات متعددة ؟

ـ نعم بالتأكيد •

ـ ان هذه نقطة هامة بالنسبة لى فلا زال المحامى يفكر فى الالتماس الاول ، انه اذن لم يفعل شيئا حتى الان ، وها أنا الان ارى كيف يهملنى تماما •

ـ ربما تكون هناك أسباب متعددة لعدم كتابة ملتمسك بعد ، ودعنى اخبرك انه تكشف لى فيما بعد ان الالتماسات لم يكن لها فائدة لقد استطعت قراءة احدها بفضل معاونة احد موظفى المحكمة كان الالتماس مكتظ بالامور القانونية واللغة اللاتينية التى لا أفهمها ثم صفحات بأكملها توسلات للمحكمة تشير فى أكثر من مكان الى موظفين بعينهم لم يذكر اسمهم بالطبع ، لكن اى شخص له خبرة يستطيع معرفة من يكونون ، ثم صفحات اخرى يمدح فيها المحامى نفسه ، وهو يقدم نفسه للمحكمة زاحفا على ركبتيه ثم ينتهى الامر بتحليل لقضايا قديمة يفترض أنها تشبه قضيتى ، ولابد ان اقول ان هذا التحليل ـ بالقدر الذى استطعت تتبعه ـ تحليل دقيق

وشامل ٠٠ لا تظن اننى أصدر الاحكام على المحامى فلم يكن هذا الالتماس سوى واحد من عدة ، ولكنى رغم ذلك لم الحظ اى تقدم فى القضية ٠

ـ سأله ك ٠ وهو يتابع الحديث باهتمام :

ـ واى نوع من التقدم كنت تتوقع ؟

قال التاجر وهو يبتسم :

ـ هذا سؤال هام ، انه من النادر ان يكون اى تقدم فى هذه القضايا ملحوظا لكنى لم اكن اعرف ذلك عندئذ ٠ ثم اننى كنت كرجل اعمال واردت ان ارى نتائج محسوسة ٠ ويجب ان تنتهى المناقشات اما بالنجاح او بالفشل لكنه بدلا من ذلك وجدت مقابلات حافلة لا تنتهى ، ولكنها على وتيرة واحدة ، وعدة مرات فى الاسبوع يحضر الى مكان عملى رسول يحمل اخبارا لا قيمة لها ، وكان هذا بالطبع مدعاة للضيق (وقد انتهى ذلك الان لان التليفون يريحنى كثيرا) وفوق كل ذلك بدأت الاشاعات عن قضيتى تنتشر بين رجال الاعمال من زملائى ، ولكن على الاخص بين أقاربى ، وهكذا اخذ هؤلاء وهؤلا يحثوننى على التحرك دون ان يبدو على المحكمة انها تنوى مطلقا ان تصدر حكما فى القضية فى القريب العاجل ٠ وعندئذ ذهبت الى المحامى لاشكو له ذلك ، فأستقبلنى بحفاوة وبدا يقدم لى تفسيرا مطولا عن سبب ذلك لكنه رفض رفضا قاطعا ان يتخذ خطوة تحث المحكمة على الاسراع ، وقد قال عندئذ ان احدا لا يمكنه ان يؤثر على المحكمة كى تحدد موعدا تنظر فيه القضية وانه لم يسمع من قبل بأنه يمكن حث المحكمة عن طريق تقديم التماس ، واننى لو فعلت ذلك لحطمت نفسى وحطمته معى ٠

وتوقف التاجر لحظة ليرى اثر حديثه على ك ٠ ثم استأنف قائلا :

ـ وفكرت انه اذا لم يكن هذا المحامى يريد ان يفعل هذا فهناك من يقبلون وهكذا بحثت عن محام آخر ، وها أنا اقول لك الان ان احدا منهم لم يتقدم للمحكمة بطلب لتحديد موعد للقضية ويحصل على حكم فيها . ان هذا فعلا شيء مستحيل واكتشفت بذلك ان المحامى لم يقصر فى واجبه رغم اننى لم اشعر بالندم لاننى التجأت الى محامين آخرين . اعتقد ان دكتور هولد قد اخبرك عن المحامين غير الشرعيين وكيف انهم غاية فى السوء ، ان ذلك صحيح غير انه يرتكب خطأ واحدا يجدر بى ان اذكره لك .

ـ وماهو هذا الخطأ ؟

ـ انه يشير الى « المحامين الكبار » كنقيض لهؤلاء المحامين غير الشرعيين ، لكن هؤلاء الكبار يسمع المرء عنهم فقط دون ان يراهم ،ذلك حين تعرف أن الدكتور هولد وأمثاله لا يعدون ضمن هؤلاء المحامين الكبار ، وهكذا نجد المحامين الكبار يقفون فى مرتبة اعلى من المحامين العاديين وهؤلاء بدورهم يقفون فى مرتبة اعلى من المحامين غير الشرعيين .

ـ ولكن من هم المحامون الكبار وكيف يصل المرء اليهم ؟

ـ ليس هناك متهم لا يحلم بالوصول الى محام كبير ، ولكن يجدر بك الا تقع فريسة هذا الحلم ، فليس لدى اية فكرة عمن يكونون أو كيف يمكن الوصول اليهم ،كما انى لا اعرف حالة واحدة تدخلوا فيها . انهم يقومون بالدفاع فى قضايا معينة حين يرغبون فى ذلك ، لكنهم لا يعلون ذلك الا حين تخرج القضية من دائرة المحاكم العادية ، وعلى العموم فعلى المرء ان ينتزعهم من ذهنه تماما والا فانه يحكم على المحامين العاديين بأنهم تافهون اغبياء.

ـ اذن فأنت لم تفكر طويلا فى الذهاب لاحد المحامين

الكبار ؟

قال التاجر وهو يبتسم مرة اخرى ··

ـ لا ، ليس لفترة طويلة ، ومن سوء الحظ ان المرء لا يستطيع ان ينساهم تماما خاصة خلال الليل ، لكنى كنت فى تلك الايام ابحث عن نتائج حاسمة سريعة ومن ثم ذهبت الى المحامين غير الشرعيين

صرخت لينى وهى تقف الى جوار الباب ووعاء الحساء فى يدها

ـ ها أنتما تضعان رأسيكما الواحد الى جوار الاخر ؟

وكان ذلك حقيقيا فقد اضطر ك · للاقتراب من التاجر الى حد كبير اذ كان هذا يتحدث فى صوت خفيض وصاح ك · يبعد لينى :

ـ اتركينا بمفردنا دقيقة أو اثنتين .

وقال التاجر محدثا لينى

ـ لقد اراد ان اتحدث اليه عن قضيتى ·

قالت لينى برقة يشوبها الاحتقار ·

ـ حسنا ، استمر فى أخباره بكل شىء ·

واحس ك · بالضيق لذلك ، فها هو يكتشف ان للرجل قيمة فقد مر بتجارب ربما استفاد ك · منها وها هى لينى تخطىء فى الحكم عليه وقال ك · يحثه على مواصلة الحديث : ـ

ـ كنت على وشك ان تحدثنى عن المحامين غير الشرعيين ·

قال ك · ذلك وهو يبعد عنه يد لينى التى كانت قد اقتربت منه ، ووضع التاجر يده على جبهته وكأنه يفكر ، وحاول ك · ان يساعده فقال يذكره :

ـ لقد كنت تريد نتائج سريعة للقضية وهكذا ذهبت للمحامين غير الشرعيين ·

وأما التاجر برأسه لكنهلم يتكلم وفكرك . وقد تملكه الضيق ان الرجل لا يستطيع التحدث فى وجود لينى وتغلب ك . على لهفته على سماع بقية القصة وسأل لينى : ــ

ــ هل أعلنت عن وجودى ؟

ــ نعم بالطبع والدكتور هولد ينتظرك آترك بلوك الان تستطيع ان تستكمل الحديث معه فيما بعد لانه سيبقى هنا .

وتردد ك . وسأل التاجر وقد اراد ان يقول ك . هذا بنفسه :ــ

ــ هل انت باق هنا ؟

ولكن لينى هى التى اجابت بالنيابة عنه قائلة :

ــ انه ينام هنا .

وشعر ك . بكراهية نحو لينى لانها تجيب بالنيابة عن الرجل وكأنه ليس موجودا وصاح . وقد ظن ان التاجر سيبقى فقط الى حين انتهائه من مقابلة المحامى وانه سيذهب معه لكى يناقشا الامر برمته على انفراد .

ــ ينام هنا !

قالت لينى :

ــ ان أحدا لا يستطيع ان يفعل مثلك ياجوزيف فأنت تقابل المحامى فى الوقت الذى تختاره آلا يلفت نظرك ان رجلا مريضا كدكتور هولد يوافق على التحدث اليك فى الساعة الحادية عشرة ليلا انك تأخذ كل خدمات اصدقائك وكأنها شىء مسلم به ، لكن ها أنا اقول لك ان اصدقاءك او على الاقل انا نقوم باشياء من اجلك ، اننى لا اطلب منك شكرا فلست فى حاجة اليه اريد فقط ان تغرم بى كما أنا مغرمة بك .

قال ك . وهو يفكر فيما قالته :

ـ لكن المحامى يقابلنى لاننى عميله ولو اننى اضطررت لان اطلب توصية من احد كىاقابل محامى ، لقضيت الوقت بطوله انحنى لهذا الشخص وذلك ٠

قالت لينى تحدث التاجر

ـانه صعب المراس اليوم الى اقصى حد اليس كذلك ؟

وفكر ك ٠ قائلا لنفسه ها هى تحدث التاجر وكأنى لست هنا لقد جاء دورى فى هذا قال التاجر وهو يحاول التخفيف من وقع كلمات لينى ٠

ـ لكن المحامى لديه اسباب اخرى تدفعه لمقابلته فان قضيته اكثر اثارة من قضيتى ثم انه ليس الا فى البداية وربما فى المرحلة المليئة بالامال ولهذا فان المحامى يجب ان يشغل بها نفسه وسوف ترى ان هذا سيتغير فى المراحل المقبلة ٠

قالت لينى وهى تستدير لتحدث ك ٠ ضاحكة :

ـ نعم ، نعم ، ان له لسانا ماجنا ولاتصدق حرفا مما قاله انه انسان طيب لكنه يهذى كثيرا ويمكن ان يكون هذا سببا لكره القاضى له ٠٠ على أى حال فهو لا يوافق على مقابلته الا اذا كان مزاجه صافيا ٠ لقد بذلت جهدى لاغير ذلك لكننى فشلت تخيل اننى فى بعض الاحيان اقول لدكتور هولد ان بلوك هنا فنتركه أياما بطولها وحين لا يكون بلوك هنا فى اللحظة التى يطلبه فيها تضيع الفرصة ويضطر بلوك للانتظار بضعة أيام أخرى ٠ وهذا هو السبب فى انى اترك بلوك ينام هنا اذ حدث ان طلبه المحامى فى منتصف الليل ٠ وكى يكون بلوك علـى استعداد دائم فعليه ان يكون هنا ليلا ونهارا ٠

والقى ك ٠ بنظرة متسائلة على التاجر الذى هز رأسه مؤيدا ما قالته لينى بنفس الصرامة التى كان يتحدث بها او ربما ببعض الخجل قال :

ـ نعم ان المرء يصبح معتمدا على محاميه كلما مرت الايام ٠

قالت لينى انه يتظاهر فقط بالشكوك فهو كما يقول لى على الدوام يحب النوم هنا ٠

وذهبت نحو باب صغير فتحته وهى تقول :

ـ هل تحب ان تشاهد حجرة نومه ؟

وتبعها ك ٠ وحدق من بعيد ليرى حجرة منخفضة السقف ليس فيها سوى فراش صغير وكان لابد للانسان ان يتسلق أعمدة الفراش حتى ينام فيه وفوق الفراش ٠ وفى فتحة فى الحائط ، كانت هناك شمعة والى جوارها بضعة اوراق ربما كانت وثائق تتصل بقضية التاجر والى جوار هذا كله قلم رصاص ٠ واستدار ك ٠ يتحدث الى الرجل

ـ اذن فأنت تنام فى حجرة الخادمة ؟

ـ ان لينى تتركنى انام فيها وهى مريحة جدا ٠

والقى ك ٠ على التاجر نظرة لها مغزى فأول انطباع له عن الرجل هو ان له خبرة طويلة وطالما استطاع ان يتحمل القضية طوال هذه السنين فقد دفع ثمن هذه الخبرة غاليا ٠ وفجأة لم يعد ك ٠ يستطيع تحمل رؤيته فصرخ فى لينى ان تضعه فى الفراش لكن لم يبد عليها انها فهمت ما يعينيه ٠

وكان ما اراد ك ٠ التعبير عنه هو ان يذهب الى المحامى ويطرده الى الابد ومعه الينى والتاجر ايضا وقبل ان يصل الى نهاية الحجرة قال التاجر فى صوت خفيض متوسل :

ـ لقد نسيت وعدك لى ياسيدى لقد كنت على وشك ان تخبرنى بأحد اسرارك ٠

والقى عليه ك ٠ نظرة شملت لينى التى كانت تنصت

بانتباه ثم قال :

ـ اسمع اذن رغم انه لن يصبح سرا بعد دقيقة واحدة اننى ذاهب للمحامى لاستبعده من قضيتى ٠

وقفز التاجر من مقعده وهو يصيح رافعا يديه فى تعجب :

ـ تطرد المحامى ٠٠ ! انه سيطرد المحامى !

وحاولت لينى ان تمسك ك ٠ لكن التاجر وقف بينها وبينه ورغم انها ابعدته بقبضتها الا انها لم تلحق ك . الذى سرعان ما اصبح فى حجرة المحامى ٠ ولم تكف لينى عن محاولة ايقافه فوضعت قدمها بين ضلفتى الباب لكن ك ٠ لوى رسغها فاضطرت للابتعاد واغلق ك ٠ الباب بالمفتاح خلفه ٠

الفصل الرابع عشر

استبعاد المحامى

قال المحامى وهو راقد فى فراشه وقد وضع على المنضدة وثيقة يقرؤها على ضوء شمعة :
ـ اننى انتظرك منذ فترة ٠
وحدق الدكتور هولد فى ك ٠ من تحت عويناته يفحصه بحدة لكن ك . قال بحدة بدلا من ان يعتذر :
ـ اننى لن اخذ من وقتك سوى لحظة ٠
ولان هذه الكلمات لم تكن اعتذارا فقد تجاهلها المحامى وقال
ـ لن استطيع رؤيتك فى مثل هذه الساعة المتأخرة فيما بعد ٠
ـ وهذا يتفق مع نواياى ٠
وحدجه المحامى بنظرة أخرى متسائلة وقال :
ـ تفضل بالجلوس أظن أنك أغلقت الباب بالمزلاج ٠
قال ك ٠ وهو لا يهتم بالتستر على أى شخص :
ـ نعم ، كان ذلك بسبب لينى ٠
ـ هل كانت تسبب لك مضايقة مرة أخرى ؟
ـ تضايقنى !؟
ـ أومأ المحامى بالايجاب وهو ينفجر ضاحكا حتى تحولت الضحكات الى سعال ثم قال
ـ لابد انك لاحظت انها تضايقك ٠



قال ذلك وهو يربت على يد ك • التى وضعها أثناء انفعاله على المنضدة والتى سحبها الان بسرعة واستطرد المحامى بينما ظل ك • صامتا :

ـ انك لا تولى الامر اهتماما كبيرا وهذا أفضل والا اضطررت أن أعتذر لك بالنيابة عنها انه شذوذ فيها غفرته لها منذ مدة طويلة ، ولم اكن لاذكره لو انك لم تغلق الباب بالمزلاج انك آخر من أشرح له هذا الشذوذ ، وسأفعل ذلك لانك تبدو دهشا ، هذا الشذوذ يتركز فى أنها تجد جميع المتهمين رجالا لهم جاذبية خاصة • فهى تحبهم جميعا وهم يبادلونها الحب ، انها عادة ما تطلعنى على غرامياتها كى تبعث فى نفسى التسلية حين اسمح لها بذلك • ان الامر لا يبعث فى نفسى الدهشة كما يبعثها فى نفسك • ولو أنك دققت النظر فى المتهمين لوجدتهم جميعا ذوى جاذبية ، انها ظاهرة جديرة بالملاحظة ، ربما تكون قانونا طبيعيا • ان توجيه الاتهام لشخص ما لا يغير من مظهره الخارجى بالطبع ، لكن من لهم خبرة فى هذه الامور يستطيعون ان يميزوا أى متهم ولو كان ضمن مجموعة كبيرة من الناس ، ذلك رغم أن هذه التهم ليست كالتهم الجنائية ، والمتهمون هنا يستمرون فى مزاولة أعمالهم كأن شيئا لم يحدث ، لو أنهم اعتمدوا على محام كفء وربما تسأل نفسك ولكن كيف يتعرف المرء عليهم ؟

وكلما زاد تعبير الدهشة على وجه ك • كلما أحس المحامى برضى أكثر واستطرد :

ـ اننى أخشى الا تكون الاجابة على ذلك مقنعة • انهم يعرفونهم لان المهتمين هم أكثر الرجال جاذبية ، ولا يمكن ان يكون احساسهم بالاثم هو الذى يجعلهم أكثر جاذبية ، ولا يمكن أيضا ان يكون العقاب المسلط عليهم هو الذى يجعلهم أكثر جاذبية أيضا ، ولابد ان يكون مجرد توجيه

الاتهام هو الذى يضيف الى جاذبيتهم ثم أن بعضهم بطبيعة الحال يصبح أكثر جاذبية من الاخرين · لكنهم جميعا لهم مايميزهم حتى ذلك المخلوق البائس بلوك ·

وفى الوقت الذى انتهى فيه المحامى من خطبته كان ك · قد تماسك تماما ، ورغم أنه كان يومىء برأسه موافقا الا انه اقتنع ان المحامى لا يفعل شيئا الا ان يشتت فكره عن المسألة الرئيسية وهى : ماهى كمية العمل التى أتمها فعلا فى القضية ؟ وربما كان المحامى قد شعر ان ك · اكثر تحفزا منه الان عن أى وقت مضى فقد توقف لحظة حتى يتيح له فرصة للحديث لكن ك · ظل صامتا فاضطر دكتور هولد ان يقول :

ـ هل حضرت هذا المساء لسبب معين ؟

رفع ك · ذراعه حتى يحجب عن عينيه ضوء الشمعة وبالتالى يرى المحامى جيدا قال :

ـ نعم ، لقد جئت كى أقول لك اننى أستغنيت عن كافة خدماتك ابتداء من اليوم ·

تساءل المحامى وهو يرفع جسده على مرفقيه :

ـ هل أنت واثق مما تقوله ؟

قال ك · وهو ينتصب فى مقعده وكأنما يأخذ حذره :

ـ أعتقد ذلك ·

ـ حسنا هذه خطة يمكننا على الاقل ان نناقشها ·

ـ انها ليست خطة بل هى حقيقة ·

ـ ربما ، لكننا على الاقل يجب ألا نتسرع ·

واستخدم صيغة الجمع وكأنه لا ينتوى ان يترك ك · لينفصل أو كأنه ينوى ان يصبح على الاقل ـ مستشار ك · اذا لم يكن وكيله القانونى · قال ك · وهو ينهض ويتراجع خلف مقعده ·

ـ انه ليس قرارا متسرعا ، فلقد فكرت فيه مرات

عديدة ، وربما لوقت أطول من اللازم ، انه قـرارى النهائى ٠

قال المحامي وهو يبعد الاغطية ويجلس على حافة الفراش وقد بدأ يرتجف من البرد ٠

ـ اذن فربما تسمح لى ببعض التعليقات ٠

ـ وطلب الى ك ٠ ان يناوله سجادة صغيرة فناوله ك ٠ اياها وهو يقول : ـ

ـ ليس هناك ما يدعو لان تعرض نفسك للبرد ٠

ـ ان لدى أسبابا هامة تدعونى لذلك ،فعمك من أعز أصدقائى ولقد أصبحت أنا أيضا ، شغوفا بك على مر هذه الايام ، وها أنا أعترف بذلك صراحة فهو شىء لا يبعث على الخجل ٠

لم يستقبل ك ٠ هذه العواطف التى تفجرت من الرجل العجوز بالترحاب فقد اضطرته ان يكون أكثر صراحة فى شرح أسبابه رغم أنه كان يجب ان يتجنب أى شرح قال :

ـ اننى مدين لك بتقديرك للصداقة ، وأقدر لك أيضا كل ما فعلته من أجلى وما ظننت أنه فى مصلحتى ، ولكننى منذ بعض الوقت أصبحت أكثر اقتناعا أن مجهوداتك لم تعد كافية ، اننى بالطبع لا أحتقر مجهودات رجل أكثر منى خبرة وأطول عمرا وأرجو أن تغفر لى لو بدا ذلك فى حديثى ، لكن لدى اسبابا هامة تدعونى لذلك ٠ وقد اقتنعت تماما من اتخاذ خطوات حاسمة أكثر فى قضيتى مما أتخذ حتى الان ٠

ـ اننى أفهم ما تقول فقد أصبحت أقل صبرا ٠

قال ك ٠ ببعض الانفعال مما جعله أقل حرصا فى اختياره لكلماته ٠

ـ يجب أن تكون قد لاحظت خلال زيارتى الاولى فى صحبه عمى أننى لم آخذ قضيتى بجدية كبيرة ، ولو لم

يذكرني أحد بها بقوة فلقد كان يمكنني أن أنساها كلية ، على اية حال فقد أصر عمي على أن تكون وكيلي ، وقد فعلت هذا كي أرضيه ، ولقد كان من الطبيعي أن أتوقع ــ بعد أن وكلت محاميا ــ ان يخف ثقل القضية من فوق كتفي ، لكن النتيجة كانت عكس ذلك تماما ، فانني لم أشعر بكارثة القضية في الايام الاولى كما شعرت بهابعد أن أصبحت المحامي الذي يدافع عني ، انني حينما كنت اقف وحدي لم أفعل شيئا بتاتا ، لكن ذلك لم يكن يهمني ، لكنني بعد أن استخدمت محاميا شعرت أن المسرح قد أعد لحدوث شيء ، وفي حين انتظرت بقلق وترقب متزايدين حدوث هذا الشيء الا أنك لم تفعل شيئا ، أعترف أنك قد أمددتني بمعلومات عن المحكمة لم أكن أستطيع الحصول عليها من أي مكان آخر ، لكن هذه ليست بالمساعدة الكافية لرجل يشعر ان هناك تهمة موجهة اليه ٠

ودفع ك ٠ بالمقعد بعيدا ووقف منتصبا ويداه في جيبي معطفه ، قال المحامي بهدوء في صوت خفيض :

ــ بعد مرحلة معينة في مهنتي فانني أرى ما تفعله تكرارا لما فعله من سبقوك ، فلقد وصل عديد من عملائي الى نفس مرحلة قضيتك واصبح تفكيرهم مثل تفكيرك وقالوا لي ماقلته أنت ٠

ــ حسنا ، اذن فهم جميعا على حق مثلي تماما وليس في ذلك مايعني خطأ أفكاري ٠

ــ انني لا أحاول أن أقول ذلك ، لكني أحب أن أضيف انني قد توقعت منك حكمة أكثر من الاخرين ، خاصة وانني قد اطلعتك على خبايا المحكمة أكثر من أي شخص آخر بالاضافة الى ما اتخذته من اجراءات ، وها أنا ارى الان رغم كل شيء ــ انك لا تثق في بما فيه الكفاية وبذلك لا تجعل الامور أكثر سهولة أمامي ٠

وفكر ك • كيف ان المحامى يظهر استسلاما أمامه دون النظر الى كرامته المهنية التى كانت لها بالتأكيد حساسية خاصة بالنسبة له ، ثم لماذا يفعل المحامى ذلك ؟ فلو حكم المرء على المظاهر لوجد أن المحامى رجل غنى لن يتأثر بفقدان قضية ك • او الاجر الذى سيناله منه ، ذلك بالاضافة الى أنه رجل مريض ويجب أن يتوقع ان يقل عدد عملائه باستمرار لكنه رغم هذا تعلق ك • باصرار فلماذا ؟ هل عواطفه الشخصية نحو عم ك • هى السبب ؟ أم انه ينظر الى القضية على أنها قضية غير عادية يأمل عن طريقها أن يكسب احترام زملائه فى المحكمة ؟ ولم يبد على وجه المحامى أى ايضاح أو اية اجابة على أسئلة ك • رغم نظراته الفاحصة ، بل أن المرء قد يظن أنه قد تعهد الا يبدر على وجهه اى تعبير بينما ينتظر تأثير كلماته ، وكان من الواضح أنه يعلق أملا كبيرا على صمت ك • فاستطرد قائلا :

ـ لابد أنك لاحظت أنه رغم اتساع مكتبى فاننى لا استخدم اى مساعدين ولم يكن الامر كذلك فى الايام الماضية حين كان يعمل معى عديد من طلبة القانون من الشباب ، لكننى الان أعمل بمفردى ، وقد تسبب هذا فى تغيير أسلوب عملى ، فلقد أصبحت أقتصر على قضايا مثل قضيتك ثم أننى أصبحت أعتقد أن تفويض غيرى لمسئولية القضايا يسبب ايذاء لموكلى ويعود بالخطر على الواجبات التى أخذتها على عاتقى ، وكى أقوم بنفسى بكل العمل فقد اضطررت أن أرفض قضايا عديدةتعرض على ولا أقبل منها سوى أكثرها اثارة لى ، ولك ان تتأكد أن هناك من زملائى من سيسرع بالتقاط فتات القضايا التى ألقى بها اليه •

وبدا على المحامى أنه لم ينته من الفخر بنفسه فقد

أستطرد قائلا :

ـ لكننى رغم ذلك لم أندم على قرارى وربما كان يجب أن أكون حازما فى رفض قضايا أكثر ، لكن تركيز فكرى ونشاطى فى القضايا التى أقبلها اثبت أنه ضرورى وناجح • ذلك بالنظر الى النتائج ، ولقد قرأت وصفا جميلا للفرق بين المحامى الذى يدافع فى قضايا قانونية عادية وآخر يدافع فى قضايا غير عادية مثل قضيتك وقد شبهت مقالة المحامى الاول بأنه يقود موكله بخيط رفيع حتى ينطق بالحكم ، ولكن الاخر يرفع موكله فوق كتفيه منذ البداية ويحمله بكل ثقله ولا يتركه يسقط لحظة حتى يصل به الى الحكم النهائى وربما ابعد من ذلك ، ان هذا حقيقى ـ وحقيقى ايضا اننى لم اندم مطلقا على تكريس نفسى لهذا الواجب الجليل ، أما حين يسىء العميل فهم مجهوداتى ـ كما فى حالتك ـ فاننى عندئذ أشعر بالندم من أجله •

وبدلا من أن يكون هذا الحديث سببا فى اقتناع ك • فقد جعله أكثر نفادا للصبر ، وتخيل بسبب نغمة المحامى التى كانت توحى بالمزيد من هذا اللغو ـ نفس الخطب السابقة ونفس الاستشهاد بثقته فى كتابة الالتماس ، والاشارة الى مزاج هذا الموظف أو ذاك بالاضافة الى ذكر الصعوبات الضخمة التى تعترضه ، وباختصار فانه تخيل تكرار نفس الهراء بهدف أن يجعله أسير أعمال خادعة او فريسة تهديدات غامضة وفكر ك • ان ذلك لابد وان يقف عند حد فقال :

ـ ماهى الخطوات التى تقترح اتخاذها فى قضيتى اذا احتفظت بك وكيلا لى ؟

ـ سوف أستمر فى اتخاذ الاجراءات التى بدأتها فعلا •

ـ لقد كنت أعرف ذلك ، حسنا ان الاستمرار فى هذا الحديث مضيعة للوقت ٠

قال المحامى وكأن ك ٠ هو الذى على خطأ :

ـ سأقوم بمحاولة اخرى ، ان لدى فكرة عن سبب عنادك ، وهذا السبب لا يكمن فقط فى خطأ حكمك على قدراتى بل أيضا لان معاملتى لك كانت أفضل من اللازم رغم انك متهم او بطريقة اكثر تحديدا هى انك عوملت باهمال واضح ، وهناك بالطبع سبب لهذا الاهمال وغالبا ما تكون القيود اكثر امانا من الحرية ، لكننى احب ان أريك كيف يعامل المتهمون الاخرون فربما يفيدك ذلك ، سوف أرسل الان فى استدعاء بلوك ومن ثم فيمكنك أن نفتح الباب وتجلس الى جوار المنضدة هنا ٠

قال ك ٠ وهو يقوم بذلك وهو على استعداد لتعلم المزيد :

ـ بكل سرور لكنى أريدك أن تدرك أننى قد استغنيت عن خدماتك ٠

ـ نعم لكنك قد تغير رأيك ٠

ورقد المحامى فى فراشه مرة أخرى والتحف بالغطاء وأدار وجهه الى الجدار ثم دق الجرس ٠

وما أن دق الجرس حتى ظهرت لينى على عتبة الباب ، وما أن القت بنظراتها لتعرف حقيقة الاوضاع حتى اطمأنت لان ك ٠ كان يجلس فى هدوء الى جوار فراش المحامى ، وأومأت اليه مبتسمة لكنه حدق فيها دون تعبير ، قال المحامى :

ـ استدعى بلوك ٠

وبدلا من أن تذهب لينى لاستدعائه وقفت بالقرب من الباب وصاحت :

ـ بلوك ، ان المحامى يطلبك ٠

وحين رأت لينى أن وجه المحامى متجه للحائط فقد ذهبت لتقف خلف ك • حيث ساعدت على تشتيت انتباهه طوال المقابلة بأن انحنت على ظهر المقعد وأخذت تمسح بأصابعها ، فى حنان ، على شعره وصدغيه ، وفى النهاية حاول ك • منعها من ذلك بأن أمسك بيديها اللتيـن استسلمتا بعد مقاومة بسيطة •

لبى بلوك النداء بأن حضر بسرعة لكنه تردد خارج الباب وكان من الواضح أنه كان يتساءل اذا كان عليه أن يدخل أم لا ، ومد رقبته قليلا وكأنه يتوقع أن يتكرر النداء ، وقد كان يمكن أن يشجع ك • الرجل على الدخول لكنه كان قد أصر على أن ينهى علاقته نهائيا ليس بالمحامى فقط بل بكل من فى المنزل ولهذا ظل دون حراك ، ولما رأى بلوك أن أحدا لا يطرده خارجا خطا الى داخل الحجرة على أطراف أصابعه وقد بدا القلق على وجهه تاركا الباب مفتوحا ليستعمله فى حالة الضرورة ، ولم ينظر بلوك مطلقا الى ك • بل وجه نظراته الى الغطاء الذى رقد تحته المحامى الذى كان من الصعب رؤية وجهه وقد أداره تجاه الحائط لكنه سمع صوت المحامى يقول :

ـ هل جاء بلوك ؟

وما أن سمع بلوك السؤال حتى تعثر وكأن أحدا وجه اليه ضربة على ظهره ثم وقف صامتا وأجاب :

ـ فى خدمتك •

ـ ماذا تريد وقد جئت فى وقت غير مناسب ؟

أجاب بلوك وكأنه يحدث نفسه أكثر مما يحـدث المحامى :

ـ لقد جئت بناء على استدعاء ، أليس كذلك ؟

ـ نعم لقد استدعيتك لكنك رغم ذلك جئت فى وقت غير مناسب وانت دائما فى وقت غير مناسب .

ومنذ اللحظةالتى تكلم فيها المحامى لم يعد بلوك ينظر الى الفراش بل الى ركن بعيد فى الحجرة ولكن كان من الصعب عليه أن يستمع لان المحامى كان يتحدث فى صوت خفيض بالقرب من الجدار وقال بلوك متسائلا :

ـ هل تريد منى أن أخرج ؟

ـ طالما كنت هنا فلك أن تبقى ، لقد التقيت بالامس بصديقى القاضى الثالث وقد حولت الحديث تجاهقضيتك يا بلوك فهل تريد أن تسمع ما قاله القاضى ؟

ورغم توسلات بلوك المتعددة للمحامى أن يفعل فقد ظل صامتا حتى كاد الاخر يركع عند قدميه ٠

وتدخل ك ٠ صائحا :

ـ ما هذا الذى تفعله ؟

وحاولت لينى ان تكتم صيحة ك ٠ لكنه امسك بيدها الاخرى فى عنف ، وبدا بلوك وكأن العقاب سينزل به بسبب صيحة ك ٠

ـ من هو محاميك ؟

ـ أنت محامى ولا أحد سواك ٠

ـ اذن فلا تهتم بأحد غيرى ٠

ولما امتص بلوك ما فى هذه الكلمات من قوة حدج ك ٠ بنظرة غاضبة وهز رأسه بقوة وكأنه يعنفه ، ولو أن هذه الاشارات ترجمت لكلمات لكانت تعبر عن أقذع السباب .

وفكر ك ٠ ، هل هذا هو الرجل الذى أردت أن أبحث معه قضيتى وكأننا أصدقاء ! لكنه قال لبلوك وهو يضجع فى مقعده :

ـ اركع على الارض ، أو ازحف على أربع كما يحلو لك فلن أتدخل مرة أخرى ٠

لكن بلوك كان لا يزال يحتفظ ببعض الاحتـرام لنفسه ـ على الاقل فيما يختص بـ ك ٠ فقد قدم نحوه

وهو يلوح بقبضتيه فى الهواء صائحا وكأن وجود المحامى قد أمده بقوة غير مرئية :

ـ لا تتحدث الى بهذه الطريقة فلن أسمح لك ، ما الذى تقصده باهانتى ؟ اننا أمام السيد المحامى هنا لست أفضل منى فانك متهم ايضا وضميرك مثقل بالذنوب كذلك ، واذا كنت تعتبر نفسك سيدا فأنا لست أقل منك ، واذا كنت تظن أنك متميز لانك تجلس على مقعد مريح لترقبنى أزحف على أربع كما تقول فاننى أذكرك بالحكمة القائلة : « ان الاشخاص المشكوك فى أمرهم يتصرفون أفضل من الاخرين ، لان الاخرين ـ دون أن يعرفوا ـ قد يكونون مثقلين بآثام اكثر » ٠

ولم ينطق ك ٠ بحرف بل أخذ يحدق فى الرجل بدهشة ، فما سبب هذا التغيير الذى ألم به فى الساعة الاخيرة ؟ هل انفعل بقضيته لدرجة فقد معها التمييز ٠ بين أصدقائه وأعدائه ؟ ألا يرى أن المحامى يحقر من شأنه عمدا ؟ ألا يرى أنه يجعل منه مشهدا أمام ك ٠ حتى يستسلم ك ٠ أيضا ؟ ولكن لو كان بلوك لا يستطيع أن يدرك هذا وكان يخاف المحامى الى هذا الحد فمن أين له الجرأة التى ذهب بها الى المحامين الاخرين ؟ وكيف له أن يتهور هكذا حتى يهاجم ك ٠ وهو يعرف أن هذا يمكنه افشاء سره ؟ وذهب بلوك فى تهوره الى حد أن اقترب من دكتور هولد وقال يشكو ك ٠ قائلا :

ـ يا سيدى المحامى هل سمعت ما قاله لى هذا الرجل ؟ ان عمر قضيته لا يعدو بضع ساعات بالنسبة لقضيتى ورغم هذا يحلو له أن يسدى الى النصيحة رغم خبرتى التى تربو على خمس سنوات مع قضيتى ٠ انه لا يعرف شيئا ورغم ذلك يسبنى أنا الذى درست كل تقليد وكل واجب قمت به ٠

ــ لا تلتفت الى ما يقول وافعل ما تراه صالحا لك .

وركع بلوك الى جوار الفراش وقال :

ـ بالتأكيد ياسيدى ، وها أنا راكع على ركبتى ياسيدى المحامى ·

ورغم ذلك لم يجب المحامى على توسلاته ، وقطعت لينى الصمت الذى تلا ذلك وهى تحاول تحرير يدها وقالت :

ــ دعنى انك تؤذى يدى ، اننى أريد أن أذهب الى بلوك ·

ثم ذهبت الى الفراش لتجلس على حافته بينما بدا بلوك مسرورا بها وأخذ يشير اليها بتعبيرات وجهه وكأنه ممثل صامت أن تستعطف المحامى ، وكان من الواضح أنه فى مسيس الحاجة للمعلومات التى قد يعطيها له المحامى ، وربما لكى يبلغها الى المحامين الاخرين لاستغلالها ·

وكان من الواضح أن لينى تعرف الطريقة التى تثير بها المحامى فأشارت على بلوك أن يقبل يده ، وأسرع هذا يقبل يد المحامى عدة مرات لكن المحامى ظل صامتا ، ولم تجد لينى بدا من أن تنحنى على وجه الرجل العجوز وتربت على شعره الابيض الطويل وقد أسفر هذا عن أثر سريع فقد قال المحامى وهو يهز رأسه :

ــ اننى أتردد فى اطلاعه على ما هناك ·

واستمع بلوك الى هذا بعينين كسيرتين وكأن هذا واجب عليه ، سألت لينى :

ــ ولماذا تتردد اذن ؟

وشعر ك · أنه ينصت الى محاورة تم التدريب عليها مرات ومرات ، وها هى تعاد للتأثير على بلوك،وبدلا من أن يجيب دكتور هولد على سؤال لينى قال :

ــ كيف كان سلوكه اليوم ؟

وقبل أن تجيب لينى نظرت الى بلوك الذى كان يرفع

يديه اليها فى توسل وضراعة وأومأت برأسها أخيرا قائلة للمحامى :

ـ لقد كان هادئا ومجدا ٠

كان منظرا يثير التقزز حتى فى نفس من يشاهده ، فها هو رجل أعمال متقدم فى السن يتوسل الى فتاة شابة كى تقول كلمة فى صالحه ، وها هو ك ٠ ـ من حسن حظه ـ يكتشف اساليب المحامى الملتوية والتى لم يتعرض لها ك ٠ فقد كان المحامى يصل بالعميل الى مرحلة ينسى فيها العالم ويعيش فقط على أمل أن يسير فى هذا الطريق الخادع حتى نهاية قضيته ، وهكذا يتوقف العميل عن أن يكون عميلا ويصبح كلبا تابعا للمحامى ، فاذا ما أمره هذا بالزحف على يديه وقدميه فعل ٠

أخذ ك ٠ يستمع لكل ذلك وكأنه فى عالم آخر أو كأنه سيكتب تقريرا لجهات أعلى واستمر المحامى يقول :

ـ ما الذى كان يفعله طوال اليوم ؟

ـ لقد احتفظت به محبوسا فى حجرة الخادمة حتى لا يسبب لى مضايقة أثناء عملى ، وكنت أراقبه بين الحين والاخر لاجده منشغلا فى قراءة الكتاب الذى أعطيته له وهذا ما أكد لى أن بلوك كان مجتهدا صبورا ٠

ـ اننى مسرور لذلك ولكن هل فهم ما كان يقرأ ؟

ظل بلوك طوال تلك الفترة صامتا تماما ، لكنه بدأ الان يرسم بشفتيه الاجابة التى أراد لينى أن تجيب بها على السؤال ٠ قالت لينى :

ـ ان هذا بالطبع شىء لا استطع التأكد منه ، لكنى أستطيع القول أنه كان دقيقا فى القراءة فلم يخرج عن الصفحة التى كان يقرؤها طوال اليوم وكان يتتبع الكلمات بأصبعه ، وفى كل مرة كنت أراه يتنهد بعمق وكأن القراءة

تكلفه مجهودا شاقا ، ولابد ان الكتاب الذى أعطيته اياه كان صعبا للغاية ٠

ــ نعم ، ان تلك المخطوطات صعبة جدا ولا أعتقد أنه سيفهمها بل قصدت بها فقط ان يعرف اى نوع من الصراع أتحمله فى سبيل الدفاع عنه ، ان ذكر ذلك يدعو للسخرية ، لكنى أفعل كل ذلك من أجل بلوك ٠ ويجب عليه أن يفهم ما يعنيه ذلك ٠ هل كان يقرأ باستمرار ؟

ــ نعم دون توقف مطلقا ، ولقد سألنى مرة أو اثنتين أن أعطيه كوب ماء

ونظر بلوك الى ك ٠ وهو يتوقع ان يراه وقد تأثر من هذا السجل الحافل بالاعمال ، وكان للسجل تأثير عليه هو فقد اصبح اقل عصبية واكثر املا ٠ وفى تلك اللحظة ألقى المحامى على مسامعه بما جعله يتجمد فى مكانه ، قال المحامى :

ــ ان ما يجعل اطلاعه على الاخبار أمرا صعبا هو أن ملاحظات القاضى لم تكن فى صالح بلوك ولا فى صالح القضية ٠

قالت لينى : ــ ليست صالحة وكيف يمكن ذلك ؟

ــ ليست فى صالحه ، بل ان القاضى قد امتعض حين ذكرت له بلوك وقال لى « لا تذكر بلوك أمامى » وحين قلت له أن بلوك موكلى قال « انك تضيع وقتك مع هذا الرجل » ، وحين قلت له أن هناك أملا فى قضيته قال مرة أخرى أننى أضيع وقتى ٠ لكنى لم أستسلم وقلت له أن بلوك يهتم بقضيته ويكرس لها كل مجهوده فهو يعيش فى منزلى ويتتبع الاجراءات باستمرار ، ورغم أن سلوكه سىء لكنه لا غبار عليه كعميل ٠ لكن القاضى قال أن بلوك ماكر فلقد حصل على كثير من الخبرة ويعرف كيف يستغل الموقف ، لكن جهله أكثر من مكره ، ماذا يعتقد أنه سيفعل

حين يعرف أن قضيته لم تكد تبدأ بعد ، وحين يعرف أن الجرس الذى يعلن بدء القضية لم يدق بعد ٠

وبدأ المحامى بعد هذه المحادثة الخيالية بينه وبين القاضى ينهر بلوك الذى كان يتمتم بكلمات يطلب فيها تفسيرا لذلك ٠ وكان هذا الانتهار أول ما وجهه المحامى الى بلوك من حديث ٠ واستطرد يقول حين خفض بلوك نظراته :

ـ ان ملاحظة القاضى ليست لها دلالة عندك ولا داعى لان تبكى عند كل كلمة ، واذا فعلت ذلك مرة أخرى فلن أطلعك على شىء مما يحدث ، فاننى لا أكاد أبدأ خبرا الا وحدقت فى كما لو كان هو الحكم النهائى ، يجب عليك يابلوك أن تخجل من سلوكك أمام عميلى ، فانك بذلك تحطم ثقته فى ، ماذا يضيرك ؟ انك مازلت حيا ، ومازلت تحت رعايتى ومن ثم فان خوفك لا معنى له ، لقد قرأت فى مكان ما أن الحكم على شخص غالبا ما يأتى بسبب كلمة عارضة او شخص عارض او وقت شاذ ، ومع بعض التحفظات فهذا بالتأكيد حقيقى ، لكن خوفك وفزعك يثيران اشمئزازى ويوحيان بعدم ثقتك الضرورية فى عملى وهذا أيضا حقيقى ٠

وكان واضحا أن بلوك قد استفاد من هذه العظة فبدا صامتا تماما ٠

واستطرد المحامى قائلا :

ـ اننى لم أخبرك الا بملاحظة عابرة للقاضى وأنت تعرف أن هذه الامور تختلف فيها الاراء فتجد قاضيا يعتقد بأن القضية تبدأ فى نقطة معينة وأنا أقول أنها تبدأ عند نقطة اخرى وهذا ليس الا اختلافا فى الاراء ليس أكثر ، وهناك تقليد قضائى يقول بأن يدق الجرس عند مرحلة معينة من القضية ، وهناك قاض يقول أن هذا

الجرس ايذان ببدء القضية لكن هناك أيضا مـن يعارضون ٠

وجلس بلوك أمام الفراش وقد بدا عليه الفزع بسبب ما قاله القاضى عنه فأخذ يقلب كلماته ويدرسها من جميع النواحى وهو يعبث فى السجادة فقالت لينى :

ـ اسمع يا بلوك : اترك السجادة واستمع الى ما يقوله لك المحامى ٠

ولم يفهم ك ٠ كيف تخيل المحامى أنه يمكن أن يؤثر عليه هذا المشهد ، ولذا لم يكن المحامى قد نجح فعلا فى أن يثير غضبه فقد أنهى هذا المشهد كل ما بينهما تماما ٠

● ● ●

الفصل الخامس عشر

فى الكاتدرائيـــــة

استدعى ك · لمهمة يقوم بها خارج البنك ، وذلك لمصاحبة أحد زملائه الايطاليين ذوى النفوذ ـ والذى كان يزور المدينة لاول مرة ـ فى جولة يريه فيها الاثار ومعارض الفن ، ولقد كان ك · يعتبر هذه المهمة مصدر فخر له ، ولكنه فى الوقت الحالى ـ وكل نشاطه موجه لقضيته ـ لم يكن يرحب بها فلقد كان فى حاجة الى مزيد من النشاط كى يحـافظ على مســتواه فى البنـك ·

كانت كل ساعة يقضيها خارج البنك مصدر عذاب له ولقد أصبح الان لا يستطيع أن يركز تفكيره فى عمله بحيث يشغل كل ساعات العمل تماما ، ومن ثم فقد كان يضيع ساعات بأكملها وهو يدعى القيام بأعماله الحقيقية ، لكن قلقه كان يشتد حينما لا يكون فى مكتبه ، وكان يرى بخياله نائب المدير ـ الذى كان يتجسس عليه ـ يجوس فى مكتبه ويعبث باوراقه ويستقبل العملاء الذين اصبحوا اصدقاء ك · على مر السنين ، وكان ك · يعرف أيضا أن اخطاءه الكثيرة تهدد عمله وأنه لم يعد يستطيع أن ينكر ذلك ، ومن ثم فحين كانت تسند اليه بعض المهام خارج البنك يطلب فيها اليه أحيانا أن يتغيب يوما أو اثنين ، لم يكن يستطيع أن يتغلب على الشكوك التى تراوده بأنها مؤامرة لابعاده عن مكتبه كى تتاح الفرصة للتفتيش على عمله ، واذا لم

يكن هذا صحيحا فهو دليل على انه لم يعد يشكل ركنا هاما فى العمل ·

وكان ك · يستطيع أن يرفض معظم هذه المهام ، لكنه لم يكن ليجرؤ على ذلك فان الرفض معناه أنه يعترف بقلقه ، ولذلك فقد قبل كل المهام واحدة وراء الاخرى بهدوء واضح ، وفى أحدى المرات حين كلف بالذهاب فى رحلة متعبة تستغرق يومين لم يذكر شيئا عن نزلة البرد التى ألمت به ، وكان يمكنه الاعتذار كى لا يخاطر بالذهاب فى ذلك الجو الخريفى الرطب ، وعندما عاد من الرحلة بصداع شديد اكتشف انه قد أختير كى يرافق هذا الزائر الايطالى ، وقد أحس ك · باغراء شديد للرفض · خاصة وان التهمة الموجهة اليه لا تتصل بالعمل لكن المهمة كانت قبل كل شىء واجبا اجتماعيا نحو زميل ثم انها لن تفيده فى قليل أو كثير ـ هذا اذا وجده الزائر الايطالى مسليا ·

وأحس ك · بامتعاض لان يجد نفسه مبعدا عن عمله ولو ليوم واحد ، ذلك انه كان يخشى الا يسمح له بالعودة أبدا ورغم أن الخوف لم يكن له ما يبرره وأنه مبالغ فيه فقد كان يخالجه · وكان من الصعب على ك · هذه المرة أن يجد عذرا مقنعا ، ورغم أن معرفته للغة الايطالية لم تكن قوية فقد كانت كافية ، ثم أنه كانت لديه معلومات فى الفن ـ وكان هذا شيئا مبالغا فيه لدى موظفى البنك بسبب انتمائه لعضوية « جمعية المحافظة على الاثار القديمة » وحيث أنه قد شاع أن الايطالى كان خبيرا فى هذا المضمار فقد أصبح ترشيح ك · لمصاحبته شيئا لا يمكن تجنبه ·

كان الطقس سيئا حين وصل ك · الى البنك فى الساعة السابعة من ذلك اليوم ، وأحس ك · بتوتر أعصابه بسبب البرنامج الذى ينتظره لكنه صمم على أن ينجز بعض العمل قبل أن يذهب مع الزائر · ورغم احساسه بالتعب

ـ حيث ظل معظم الليل يدرس قواعد اللغة الايطالية ـ فقد وقف الى جوار النافذة ، وهو شىء اعتاد أن يفعله مؤخرا ، لكنه تغلب اليوم على هذا الاغراء وجلس الى مكتبه ليعمل ٠

لكن لسوء الحظ ظهر الحاجب فى تلك اللحظة ليقول له أن المدير ينتظره فى مكتبه ، حيث أن سيدا ايطاليا قد وصل فعلا ، فقال ك ٠ وهو يضع القاموس فى جيبه وألبوم الصور السياحية الذى كان قد جاء به خصيصا للزائر تحت ابطه :

ـ حسنا اننى قادم ٠

وأخترق ك ٠ حجرة نائب المدير الى حجرة المدير وهو يشعر بالسرور لانه حضر فى وقت مبكر كى يكون فى مكانه حين يطلبه المدير ، وزاد سرور ك ٠ حين رأى حجرة نائب المدير خالية وخمن أن المدير قد أرسل فى طلبه أيضا دون جدوى ، وحين دخل ك ٠ حجرة الاستقبال نهض المدير والزائر الايطالى لتحيته وقد بدا المدير مسرورا لرؤيته ، وعلى الفور تم التعارف وقال الايطالى وهو يضحك أنه يعرف شخصا يبكر فى الصحو أيضا قبل ك ٠ ورغم أن ك ٠ لم يفهم ما يعنيه بهذا فقد أجاب بعبارات رقيقة تقبلها الايطالى بالضحك أيضا ٠

وما أن بدأ الحديث التمهيدى حتى اكتشف ك ٠ أنه لا يفهم من لغة الايطالى الا القليل اذ كان هذا يتـــحدث بسرعة فتخرج الكلمات من فمه كأنها الفيضان ، ورغم انها لم تكن لغة ايطالية تقليدية فقد كان المدير يفهمها تماما ، ذلك أن المدير كان قد عاش فى جنوب ايطاليا عدة سنوات متصلة ، وهكذا أدرك ك ٠ أن التفاهم بينه وبين الزائر لن يكون سهلا لان الايطالى لم يكن يتكلم الفرنسية

أيضا ، وبدأ بعد قليل يتخلى عن محاولة تتبع ما يقوله الرجل ، ولم يكن يضيره هذا فى حضور المدير الذى استطاع تغطية الموقف ، وفى النهاية شعر ك • بالارهاق وهو جالس دون أن يشارك فى الحديث بل ينظر الى شفتى الرجلين ، وفجأة وجد نفسه ينهض بذهن شارد ليدير ظهره للرجلين ويتحرك بعيدا ، وعلى الفور نظر الايطالى فى ساعته وحيا المدير وأنضم الى ك • وكان المدير ماهرا فقد أدلى الى ك • بكل ما قاله الايطالى بطريقة لا توحى بأنه يفعل ذلك ، وهكذا فهم ك . أن الايطالى لديه عمل عاجل سيقوم بادائه وحيث انه لا ينوى أن يشاهدكل شيء فى عجلة فسوف يقتصر ـ اذا وافق ك • ـ على مشاهدة الكاتدرائية ، لكنه يريد أن يراها بدقة وشمول ، ويسره أن يفعل هذا مع رجل متعلم خبير مثل ك •

كان ك. يحاول أن يركز ذهنه فيما يقول المدير بينما الاخر يتكلم ، وعندما علم ك • بأن المدير سيكون عند الكاتدرائية فى حوالى الساعة العاشرة وافق على ذلك فى كلمات رقيقة ، وشد الايطالى على يدالمدير ثم يد ك وأسرع بالخروج ، بينما ظل ك • يتحدث مع المدير لعدة دقائق عبر خلالها الاخير عن امتنانه لانه كان ينوى مصاحبة الايطالى لكنه قرر فى آخر لحظة أن يعهد بذلك الى ك. ، وقال أنه أنكان لم يفهم بداية حديث الرجل فعليه ألا يترك لليأس سبيلا الى نفسه فسوف يلم بما يقصده الايطالى فى نهاية الامر ولن يضيره لو لم يفهم لان الايطالى لا يكترث بذلك ، هذا بالاضافة الى أن معرفة ك • باللغة الايطالية كانت كافية فعلا •

وهكذا عاد ك • الى مكتبه وقد اتسع أمامه وقت يكرسه كى ينسخ من القاموس عدة تعبيرات مألوفة • ولقد كان

هذا عملا شاقا بالنسبة له فقد كان الحاجب يأتى باوراق للتوقيع والكتبة للاستفسار عن بعض الامور ، ورغم أنهم كانوا يتلكؤن أمام مكتبه حين يرونه مشغولا لكنهم لم يكونوا ينصرفون الا بعد قضاء حاجتهم ، ثم ان نائب المدير استغل الفرصة لمضايقة ك • بالحضور الى مكتبه ليتصفح القاموس ،كان كل شيء حول ك. يدور وكأنه هو المركز ، أما هو فكان ينسخ الكلمات من القاموس ثم يتدرب على نطقها ، وأخيرا يحاول حفظها عن ظهر قلب ، وبدا له أن ذاكرته القوية بدأت تخونه ، وأخذ بين الحين والاخر يصب لعناته على الايطالى وهو السبب فى كل هذه المشقة ، وعندئذ يضع القاموس تحت كومة من الاوراق ، لكنه كان يستعيده مرة أخرى وهو يفكر أن الرحلة مع الايطالى وهو صامت تماما لن تكون لها معنى •

وفى منتصف الساعة العاشرة نهض ليخرج فى اللحظة التى دق فيها جرس التليفون وما أن رفع السماعة حتى سمع لينى تلقى عليه تحية الصباح وتسأله عن صحته ، وشكرها ك . بسرعة قائلا انه مضـــطر للذهاب الى الكاتدرائية على الفور • وقالت لينى متعجبة :

ــ ذاهب الى الكاتدرائية ؟

ــ نعم ، سأتوجه الى الكاتدرائية .

وصاحت لينى قائلة :

ــ ولكن لماذا تذهب الى الكاتدرائية ؟

ــ وحاول أن يشرح لها الامر لكنها قالت له فجأة :

ــ انهم يعاملونك بقسوة •

وكانت هذه الشفقة التى لم يطلبها أو يتوقعها ك• أكثر مما يحتمل فألقى عليها بكلمة وداع ، لكنه وهو يضع السماعة غمغم لنفسه وللفتاة التى لم تعد تسمعه :

ــ نعم ، انهم يعاملوننى بقسوة •

ولكيلا يتأخر عن موعده استأجر سيارة أجرة وكان قد تذكر البوم الصور فى آخر لحظة ، ووضع البوم الصور على ركبتيه وأخذ ينقر عليه بأصابعه طوال الوقت ٠ كان المطر قد كف عن السقوط لكن الطقس لم يتحسن فقد كان باردا شديد العتمة ، وفكر ك ٠ انه فى مثل هذا اليوم لن يستطيع الايطالى أن يشاهد الكاتدرائية ٠

بدا الميدان الذى تقع الكاتدرائية فى أحد اطرافه مهجورا ، وتذكر ك ٠ كيف أنه كان يرى ستائر نوافذ المنازل المحيطة بالميدان مسدلة تماما ، ولقد كان متوقعا فى مثل هذا اليوم ، وبدت الكاتدرائية مهجورة ايضا فلم يكن هناك ما يدفع أحدا لزيارتها فى يوم كهذا ٠ ورغم أن ك ٠ سار الى نهاية كل من المشى الايمن والايسر فى الكنيسة فانه لم يجد أحدا سوى امرأة عجوز تضع شالا وتركع أمام صورة العذراء وقد ظهر الابتهال فى عينيها ٠ وعلى البعد شاهدشماسا يعرج وهو يختفى من خلال أحد الابواب ٠

ورغم ان ك ٠ وصل فى الموعد المحدد ـ حيث كانت الساعة تدق العاشرة ـ فلم يكن الايطالى قد وصل بعد ٠ وعاد مرة أخرى للمدخل ووقف هناك وهو لا يعرف ماذا يفعل ، وبعد فترة أخذ يدور حول المبنى تحت رذاذ المطر ، وذلك حتى يتأكد أن الايطالى لا ينتظره عند باب اخر ٠ لكنه لم يعثر عليه ، فهل اخطأ المدير من حيث الموعد ؟ وكيف يمكن لاى شخص أن يتأكد من فهم ما يقوله مثل هذا الايطالى ؟ ورغم كل شىء فان ك ٠ سينتظر وجلس على أقرب مقعد وغطى رقبته بياقة معطفه ، ولكى يشغل نفسه بشىء فقد فتح ألبوم الصور وأخذ يقلبه فى عدم اكتراث ، لكنه سرعان ما اضطر أن يغلقه حيث اشتدت العتمة حتى أنه لم يكن يستطيع أن يميز شيئا فى المشى المجاور ٠

وعلى البعد لمح بضع شموع موقدة على المبسح المرتفع ، ولم يستطع ك ٠ أن يحدد اذا كان قد لاحظها عند دخوله أم لا ٠٠ وربما قد أوقدها أحدهم منذ لحظة دون أن ينتبه ك ٠ حيث أن الشمامسة يسيرون دون أن يصدروا صوتا على الاطلاق ٠ وحين التفت خلفه رأى شمعة أخرى مضاءة فوق عامود مرتفع ٠ لكنها لم تكن كافية لاضاءة ما حولها بل على العكس زادت من عتمته ٠ وفكر ك ٠ ان الايطالى كان عاقلا فى عدم الحضور رغم مخالفة ذلك لقواعد السلوك ، لانه لم يكن سيرى شيئا سوى بضع صور صغيرة على ضوء مصباحه الكهربى الصغير ، وشعر ك ٠ بحب استطلاع ليعرف اذا كان هذا شيئا عمليا أم لا ٠ فسار بضع خطوات وصعد عدة درجات الى منصة منخفضة واضاء مصباحه الكهربى وانحنى على الدرابزين ليرى صورة على جدار الهيكل وشاهد فى ركن منها فارسا ينحنى على سيفه الذى كان مغروسا فى الحشائش ٠ وأخذ ك ٠ يدرس الصورة لفترة طويلة رغم خفوت ضوء المصباح مما سبب اجهاد عينيه ، وحين وجه ضوء المصباح الى بقية الصور المعلقة على جدار الهيكل شاهد صورة المسيح وهو يوضع فى القبر ٠٠ وضع ك ٠ المصباح فى جيبه وعاد الى مقعده ٠

ولم يكن ك ٠ مضطرا للانتظار أكثر من ذلك ، لكن لان المطر كان ينهمر فى الخارج وكانت الكاتدرائية أكثر دفئا فقد قرر أن يمكث وقتا أطول ٠ والى جواره مباشرة كان هناك المنبر المرتفع الذى علق فوقه صليبان كبيران اما الدرابزين الخارجى والعواميد التى ارتفع المنبر فوقها فقد كانت مغطاة بالنباتات وقدعلقت هنا وهناك تماثيل صغيرة ، للملائكة ، تماثيل اتسمت بالرزانة والوقار فى الضوء الخافت ، وذهب ك ٠ الى المنبر وأخذ يتفحص

جميع جوانبه بما فى ذلك النقوش التى حفرت فى الحجارة التى كانت دقيقة وفنية جدا أما المغارة الكبيرة العميقة فقد بدت مظلمة معتمة ٠

ووضع ك ٠ يده على أحد التماثيل ليتحسس تفاصيله وقد تملكته الدهشة لانه لم يكن يعرف بوجودهذاالمنبر ، ولمح بالصدفة أحد الشمامسة يقف خلف أقرب صف من المقاعد ٠ وكان الرجل يرتدى ملابس الشـــمامسة الفضفاضة وقد أمسك بيده صندوقا صغيرا وهو يحدق فى ك ٠ وقال ك ٠ لنفسه « ما الذى يبغيه هذا الرجل ؟ وهل أبدو شخصية مثيرة للشك ، هل يريد بقشيشا ؟ » لكن ما أن أحس الرجل بان ك . لمحه حتى بدأ يشير له بيده فى اتجاه معين ، لم تكن لحركاته معنى خاص ولذلك ظل ك ٠ واقفا فى مكانه مترددا فترة رغم أن الشماس لم يتوقف عن الاشارة بيده وتأكيد اشارة يده بهزة من رأسه ٠

وقال ك ٠ فى صوت خفيض لم يجرؤ على أن يجعله مسموعا فى مثل هذا المكان « ما الذى يريده هـــذا الرجل ؟ ثم أخرج محفظته وتقدم عبر المقاعد فى اتجاه الشماس ، لكن الرجل هز رأسه بالرفض على الفور وأخذ يبتعد وهو يعرج بنفس الخطوات السريعة التى طالما قلدها ك ٠ وهو صغير ٠ وقال ك ٠ لنفسه « يا له من عجوز مضحك لا يستطيع الا أن يكون شماسا ، ها هو يتوقف حين أتوقف أنا وينظر خلفه ليرى أن كنت اتبعه أم لا : « وابتسم ك ٠ لنفسه وهو يتبع الرجل ويخترق الكنيسة فى اتجاه الهيكل ، ورغم أن الرجل العجوز كان يشير فى اتجاه مختلف وقد امتنع ك ٠ عن النظر فى تلك الناحية وربما لا يكون لتلك الاشارة من مقصد سوى أن يفزعه ، وفى النهاية كف ك . عن المطاردة لانه لم يرد أن يزعج

الرجل أكثر من ذلك ، وفضلا عن هذا فانه لا يجب أن يخيف الشماس الوحيد الذى ربما يستطيع أن يشرح للايطالى حين يحضر ·

وعندما عاد ك· الى صحن الكنيسة حيث المقعد الذى ترك عليه ألبوم الصور شاهد ك · منبرا صغيرا بالقرب من الارغن ·· منبر بسيط من الحجر ، وبلغ من صغر المنبر أن من يراه من بعيد يظنه قاعدة لتمثال ، ثم أنه لم يكن هناك فراغ كاف يتحرك فيه الواعظ ، أما أعمدة هذا المنبر فلم تكن محفورة أو مغطاة بالنباتات ، ولم يجد ك · لهذا المنبر من فائدة مع وجود المنبر الاخر الواسع المنقوش ·

ولم يكن ك · بالتأكيد سيرى هذا المنبر الصغير لولا أنه لاحظ فوقه مصباحا صغيرا ، وهو العلامة المادية على أن شخصا سيقوم بالقاء العظة ، وسأل ك · نفسه « هل سيقوم أحدهم بالخدمة الان ؟ وفى هذه الكنيسة الخاوية » · وأخذ ك · يحدق فى درجات السلم القليلة التى تقود لأعلى المنبر ، ولم يصدق أن شخصا يمكنه أن يستخدمها فى الصعود ، لكن ما أن وصل ك ·بالقرب منه حتى ابتسم لنفسه لانه شاهد شبحا يرتدى رداء الكهنة عند أسفل الدرج مستعدا للصعود ، كان الشبح يضع يده على الدرابزين وعيناه مثبتتان على ك ·

أومأ الكاهن لـــ ك .أن يقترب فوجد هذا نفسه امامه ينحنى له ، وبدأ الكاهن يصعد درجات السلم فى رفق فسأل ك · نفسه « هل سيلقى العظة حقا ؟ » وربما لم يكن الشماس شخصا مزعجا ولكنه كان يحاول أن يدفع ك. الى الكاهن لانه بدون ذلك كان هناك احتمال بألا يراه.

وأخذ ك · يتلفت بحثا عن المرأة العجوز التى كانت

تركع أمام صورة العذراء · انها يجب أن تحضر العظة أيضا ، ولكن اذا كانت هناك خدمة فلماذا لا يقوم أحدهم بالعزف على الارغن ، لكن الارغن ظل صامتا فقد خيم الظلام عليه ·

أخذ ك · يسائل نفسه اذا كان الوقت قد حان ليمضى بعيدا ، فانه لو لم يخرج الان لما استطاع أن يفعل هذا خلال العظة ، وبالتالى يتعين عليه أن يبقى طوال القائها ولما كان قد تأخر فعلا عن المكتب ولم يعد أيضا مضطرا لانتظار الايطالى أكثر من ذلك فقد نظر فى ساعته التى قاربت الحادية عشرة ، ولكن هل هى عظة حقا ؟وهل يستطيع ك · أن يمثل جمهور الكنيسة بمفرده ؟ وكيف يكون الحال لو أنه كان غريبا يزور الكنيسة ؟ ان هذا هو وضعه بطريقة ما ، وقد كان من غير المفهوم أن يلقى أحدهم عظة فى صباح يوم عادى من أيام الاسبوع خاصة فى مثل هذا الطقس ، ربما يكون الكاهن ـ ولا شك فى أنه كاهن وهو شاب اسمر البشرة حليق اللحية ـ قد أخذ يصعد الى المنبر ليطفىء مصباحا أضىء بطريق الخطأ ·

لكن الامر لم يكن كذلك ، فان الكاهن ـ بعد أن فحص المصباح ــ زاد من اضاءته ثم استدار الى الدرابزين وأمسكه بكلتا يديه ثم وقف بضع دقائق يدور بعينيه فيما حوله دون أن يحرك رأسه ، وساد الكاتدرائية صمت وسكون عميقين . لكن ك .كان عليه أن يبددذلك الصمت فقد كان فى نيته أن يخرج ، وفكر أنه لو كان من واجب الكاهن أن يلقى بالعظة فى مثل هذه الساعة دون النظر الى الظروف فليفعل هذا دون مساعدة ك . ذلك أن حضور ك .لن يؤدى بالتأكيد الى فعالية هذه العظة م،

وهكذا بدأ يتحرك ببطء وهو يتحسس طريقه بين المقاعد حتى أصبح وسط صحن الكاتدرائية ، ولم يعقه شىء فى

تقدمه سوى الصوت المجلجل لوقع خطواته على الاحجار والتى كانت تزداد كلما تقدم ، وشعر ك · بالوحشة وهو يسير كشبح وحيد بين صفوف المقاعد الخالية ونظرات الكاهن تتبعه ، وكان حجم الكاتدرائية الضخم يمثل بالنسبة له مساحة لا يستطيع انسان أن يقطعها ، لكنه حين وصل الى المقعد الذى ترك عليه البوم الصـــور اختطفه بسرعة دون أن يتوقف وأخذه معه .

كان ك · قد تخطى آخر صفوف المقاعد وبدأ يخطو عبر الفراغ الذى يفصل بين المقاعد والباب الخارجى عندما سمع صوت الكاهن ، صوتا مدويا ، وتردد صـــدى الصوت فى الكاتدرائية الخاوية التى تكسوها الرهبة ، لكن الكاهن لم يكن يتحدث فى جمع المصلين لكنه كان يقول فى صوت واضح جلى عالى النبرة :

ـ اسمع يا جوزيف ك ·

الفصل السادس عشر

على أبواب العدالة

أصاب ك • الارتباك واخذ يحدق فى الارض امامه ، انه ما يزال حرا حتى هذهاللحظة ، ويستطيع أن يستمر فى طريقه ويختفى خلف أحد الابواب الخشبية المظلمة التى لم تعد تبعد عنه سوى بضع خطوات ، وقد يفسر معنى خروجه ببساطة أنه لم يسمع النداء أو أنه سمع النداء لكنه لم يهتم ، لكن ك • أدار رأسه ، وكان معنى ذلك اعترافه بأنه وعى النداء جيدا وأنه هو الشخص المقصود ، وأنه أيضا على استعداد كى يطيع ، ولو أن الكاهن هتفباسمه مرة أخرى لانطلق ك • فى طريقه لكنه وقد ساد الصمت ـ رغم أنه ظل واقفا ينتظر برهة ـ فانه لم يستطع الا أن يدير رأسه كى يرى ما يفعله الكاهن •

كان الكاهن يقف بهدوء فوق المنبرلكن كان منالواضح ايضاأنه لاحظ أن ك • قد أدار رأسه ، ولو لم يستدر ك • لمواجهته لكان الامر أشبه بلعبة الاستخفاء ، وما أن فعل ك • ذلك حتى أومأ اليه الكاهن أن يقترب ، ولما لم تكن هناك حاجة للتهرب فقد أسرع ك • عائدا وقد تملكه الشغف والحماس كى يقصر من امد المقابلة ، وهكذاقطع المسافة حتى المنبر فى بضع خطوات قليلة

وعند الصفوف الاولى من المقاعد توقف ك • ، لكن المسافة بدت للكاهنأكثر من اللازم فأومأ الى موضع أمام

المنبر مباشرة كى يتقدم اليه ك • وحين فعل ك • ذلك اضطر أن يحنى رأسه للخلف بقوة حتى يرى الكاهن الذى قال وهو يرفع يده عن الدرابزين فى اشارة غامضة :

ـ هل أنت ك • ؟

ـ نعم •

وفكر ك • أنه قد اعتاد مؤخرا أن يرى أشخاصا يعرفون اسمه مقدما ، وشعر بالاسف على الايام التى كان يحس فيها بالسرور اذ يستطيع أن يقدم نفسه الى الناس •• وقال الكاهن بصوت منخفض :

ـ انك متهم ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، لقد أخبرونى بذلك.•

ـ اذن فأنت الرجل الذى أبحث عنه ـ أنا كاهـن السجن •

ـ حقا ؟

ـ لقد اضطررت لاستدعائك هنا كى أتحدث معك •

ـ لم أكن أعرف ذلك فقد أتيت الى هنا كى أصحب رجلا ايطاليا لمشاهدة الكاتدرائية •

ـ ليس هذا سوى عذر ، ما هذا الذى فى يدك ؟ هل هو كتاب صلاة ؟

ـ لا انه البوم يحتوى على المناظر التى تستحق المشاهدة فى المدينة •

ـ ضعه جانبا •

وألقى ك • الالبوم بعنف حتى أنه انفتح فى الهواء وتطايرت بعض صفحاته ، وسأله الكاهن :

ـ هل تعرف أن قضيتك تسير من سىء الى أسوأ ؟

ـ لقد خمنت ذلك بنفسى ، لقد فعلت كل ما فى وسعى لكن دون نجاح حتى الان •

ـ وكيف ستكون نهايتها على ما تعتقد ؟

ـ لقد ظننت فى البداية أن كل شىء سينتهى الى خير ، لكننى كثيرا ما تساورنى الشـكوك ـ ولا أعرف كيف ستكون النهاية ، هل تعرفها أنت ؟

ـ لا ، لكننى أخشى أن تكون النهاية سيئة فقد ثبت جرمك ، وربما لا تتعدى قضيتك محكمة أول درجة فلقد كانت الادلة على جريمتك ثابتة ٠

ـ لكننى لست مذنبا ، يجب أن يكون هناك خطأ ما ، ولو سارت الامور بهذه الطريقة فكيف يمكن أن يسمى أى شخص مذنبا ؟ اننا ببساطة لسنا الا رجالا هنا ، أحدنا مثل الاخر تماما ٠

ـ هذا حقيقى لكن كلامك يشبه ما يقوله الرجال المذنبون ٠

ـ هل أنت متحيز ضدى أيضا ؟

ـ لا اننى لست متحيزا ضدك ٠

ـ أشكرك لكن كل من لهم صلة بهذه القضية متحيزون ضدى ، وهم يؤثرون حتى على من ليس لهم شأن ، وهكذا يصبح موقفى صعبا أكثر فأكثر ٠

ـ انك تسىء فهم حقائق القضية فانهم لا يصدرون الحكم فجأة هكذا بل ان الاجراءات تؤدى بالتدريج الى الحكم ٠

قال ك ٠ ورأسه يغوص بين كتفيه :

ـ هكذا اذن ٠

ـ ما هى الخطوة التالية التى ستخطوها فـى الموضوع ؟

ـ سألجأ الى طلب مزيد من المساعدة وهناك وسائل أخرى لم أطرقها بعد ٠

قال ك ٠ ذلك وهو يرمق الكاهن بنظراته ليعرف وقع كلماته ، قال الكاهن فى عدم موافقة :

ـ انك تعتمد كثيراعلى المساعدات الخارجيةوخاصة من النساء ، ألا تعتقد أن هذا هو نوع المساعدة الملائم ؟

ـ اننى أوافقك علىذلك فى قضايا كثيرة ، لكن النساء لهن نفوذ كبير فى أحيان أخرى فلو أننى استطعت تجنيد بعض النساء ليشتركن فى الدفاع عنى فاننى أستطيع أن أصل لاى شىء خاصة أمام مثل هذه المحكمة التى يتكون معظمها من رجال تدير النساء رؤوسهم ·· دع قاضى التحقيق ير امرأة على البعد وسوف تجده يقلب مكتبه ويزيح المتهم جانبا كى يلحق بها ·

وانحنى القس على الدرابزين وهو يحس ـ ربما لاول مرة ـ بضيق المكان ، وتساءل ك . بينه وبين نفسه « ماهو حالالطقس فى الخارج ؟ » لم يعد هناك أثر لنور النهار بل خيمت الظلمة على كل شىء ، حتى النافذة الزجاجية الكبيرة لم تكن تميزعن الجدار المظلم حولها ، وفى هذه اللحظةنفسها بدأ الكاهن يشعل الشموع واحدة بعد الاخرى · وسأله ك · :

ـ هل أنت غاضب منى ؟ ربما لا تكون على معرفة كاملة بطبيعة المحكمة التى تخدمها .

ولما لم يتلق اجابة استطرد قائلا :

ـ ان هذه ليست الا خبرات شخصية ·

لكنه لم يتلق اجابة مرة أخرى فقال :

ـ اننى لا أقصد أن أسىء اليك ·

وهنا صاح الكاهن من فوق المنبر قائلا :

ـ ألا تستطيع أن تفهم اى شىء على الاطلاق ؟

لم تكن مجرد صيحة غضب بل كانت صيحة انسان يرى انسانا آخر على حافة الهاوية يوشك أن يتردى فيها ولا يتمالك الا أن يصرخ .

وساد الصمت برهة طويلة ، ولم يكن الكاهن بالطبع

يستطيع ـ في الظلام السائد ـ أن يميز ملامح ك • في حين كان ك • يستطيع أن يميز ملامح الكاهن في ضوء المصباح • وتساءل ك • «لماذا لم يهبط الكاهن من المنبر؟» انه لم يلق بعظة بل ألقى على مسامع ك • ببعض الملومات التي قد تضره أكثر مما تفيده ، ورغم هذا بدا لـ ك • أن نوايا الكاهن الحسنة فوق كل الشكوك ، وأنه لم يكن من المستحيل ان يتفقا لو ان الكاهن هبط من المنبر وكان من الممكن أن يحصل ك . منه على مشـــورة حاسمة قد تصل به الى حل للقضية ، مشوزة قد تخلصه من القضية نهائيا وتمكنه من أن يعيش بعيدا عن نفوذ المحكمة كلية •

لقد ظل ك • مؤخرا يفكر في هذا الاحتمال كثيرا ، ولو أن الكاهن يعرف بوجود مثل هذا الاحتمال لاخبر ك • رغم أنه ينتمي الى المحكمة ، ولانه قبل كل شيء خادم لها فقد نسي طبيعته الطيبة وصرخ في ك • الذي قال :

ـ لماذا لا تهبط؟ وطالما ليس هناك عظة تلقيها فتعال الى جانبي •

قال الكاهن وكأنه ندم على انفعاله وقال وهو يهبط :

ـ نعم أستطيع أن أهبط اليك الان ، لقد كان يجب على أولا أن أتحدث اليك من بعيد والا فقد كان من السهل أن تؤثر على لانسى واجبي .

وانتظره ك . عند اسفل المنبر ، ومد اليه الكاهن يده قبل أن يصل للارض تماما ، وسأله ك . :

ـ هل لديك وقت تقضيه معي ؟

قال الكاهن وهو يسلم المصباح لـ ك • :

ـ كل الوقت الذي تريد •

وبدأ الاثنان يذرعان الممر جيئة وذهابا الى أن قال ك • :

ـ انك رفيق جدا بى ، وأنت بذلك تصبح استثناء من كل الذين ينتمون للمحكمة ، وانى أوليك ثقة أكثر من أى شخص منهم رغم أننى أعرف منهم الكثيرين ومن ثم فاننى استطيع أن اتحدث معك بصراحة .

ـ لا تنخدع ·

ـ وكيف يمكن أن أكون مخدوعا ؟

ـ انك تخدع نفسك فيما يختص بالمحكمة وقد نص على هذا الخداع فى مقدمة القانون كما يلى :

« أمام العدالة يقف حارس باب متيقظ ، والى هذا الحارس يأتى رجل من الريف يتوسل أن يسمح له بمقابلة العدالة ، لكن حارس الباب يقول أنه لا يستطيع أن يسمح للرجل بالدخول فى الوقت الراهن ، ومن ثم يتوجه الرجل بسؤال اذا كان سيسمح له بذلك فى المستقبل فيجيب الحارس أن ذلك ممكن لكن ليس فى تلك اللحظة ـ

« وحيث أن الباب الذى يؤدى الى العدالة مفتوح كالعادة فان الحارس يتنحى جانبا ليسمح الريفى أن يلقى نظرة متلصصة الى الداخل ، وحين يرى الحارس أن الريفى متحمس للدخول يقول له :

ـ اذا كنت تحس باغراء قوى فادخل دون تصريح ، ولكن تذكر اننى قوى رغم انى أقل الحراس مرتبة ، فانك سوف تجد من بهو الى بهو حراس أبواب أكثر منى قوة حتى أن ثالث الحراس له من القوة ما يجعلنى غير قادر على النظر اليه ·

« كانت هذه هى الصعوبات التى لم يتوقع الريفى أن يواجهها فقد ظن أن جميع الناس لهم الحق فى الوصول الى العدالة فى جميع الاوقات ، وحين يتفحص حارس الباب جيدا بانفه المعقوف وذقنه الطويلة يقرر أنه يجدر به الانتظار حتى يؤذن له بالدخول ، ويعطيه الحارس مقعدا

ليجلس الى جوار الباب ، وهناك يجلس الريفى أياما وأعواما يحاول خلالها مرات عديدة أن يحصـــل على الاذن ، وهو بذلك يسبب للحارس ضيقا شديدا ، ومن حين لاخر يتبادل معه الحارس حديثا قصيرا يسأله فيه عن بيته وأموره لكنه يلقى بهذه الاسئلة بطريقة موضوعية كما يفعل العظماء ويختم الحارس أسئلته بان الريفى لم يؤذن له بالدخول بعد « ويضطر الريفى الذى أحضر معه الكثير من أجل رحلته أن يتخلى عن كل ما معه على أمل أن يرشو الحارس ، ويقبل الحارس كل شىء قائلا وكأنه يقبل هدية :

ـ اننى آخذ هذا منك فقط لكيلا تحس أنك تركت بابا دون أن تطرقه .

« وطوال تلك السنوات يراقب الريفى الحارس بصفة مستمرة تقريبا ، وهو ينسى كل شىء عن بقية الحراس ويعتقد أن هذا الحارس هو العقبة الوحيدة بينه وبين العدالة . وفى الاعوام الاولى يلعن قدره السىء بصوت عال ، أما فيما بعد ـ حين يصبح أكثر تقدما فى السن ـ يغمغم بذلك بينه وبين نفسه ، وكلما تقدمت به الاعوام أصبح أقرب الى الاطفال . ولانه كان يراقب الحارس طوال هذه الفترة فقد أصبح يعرف عدد البراغيث التى تعلق بياقة الحارس ، وهو يتوسل الى هذه البراغيث أن تساعده فى اقناع الحارس أن يغير رأيه ، وفى النهاية يضعف ابصاره ولا يعرف اذا ماكانت الدنيا مظلمة حوله أم أن عينيه تخدعانه ، لكنه رغم هذا الظلام يحس بالانشعاع المستمر الذى ينبعث من باب العدالة الخالد، وبعد حين تقترب حياته من النهاية ، وحين يصبح فى النزع الاخير يتركز فى ذهنه كل ما حيره طوال الوقت ، ويخرج من ذلك بسؤال واحد لم يلقه أبدا على الحارس ،

ولذلك فهو يشير الى الحارس ان يقترب منه حيث لم يعد يستطيع أن يرفع جسده المتصلب ، وينحني الحارس حتى يستطيع أن يسمعه ثم يقول له :

ـ ما الذى تريد أن تعرفه الان؟ انك رجل عديم القناعة ·

فيجيب الريفى قائلا :

ـ ان كل شخص يناضل كى يحصل على العدالة ، فكيف يحدث أنه طوال هذه السنين لم يحضر أحد ليدخل اليها سواى ؟

« ويلاحظ الحارس أن الريفى لم تعد له القدرة على السمع ومن ثم يضطر لان يصرخ فى أذنه قائلا :

ـ لم يكن أحد سواك ليحصل على الاذن بالدخول خلال هذا الباب ، لان هذا الباب لك أنت وحدك وسوف أغلقه بعد أن تذهب » ·

وهنا قال ك · على الفور وقد جذبته القصة :

ـ وهكذا خدع الحارس الرجل ·

قال الكاهن : ـ لا تتسرع فى الحكم ولا تدل برأى قبل أن تفحصه جيدا ، لقد أخبرتك بالقصة بحذافيرها وليس فيها اشارة للخداع ·

ـ لكن ذلك كان واضحا بما فيه الكفاية ، وقد كان تفسير ك. الاول محقا تماما ، فقد أعطى الحارس رسالة الخلاص للريفى فى الوقت الذى لم يعد هذا فى حاجة اليها ·

ـ لكن الريفى لم يلق على الحارس ذلك السؤال فى وقت مبكر ، وعليك أيضا أن تأخذ فى اعتبارك أنه لم يكن سوى حارس قد أدى واجبه ·

ـ ما الذى يجعلك تظن أنه أدى واجبه ؟ أعتقد أنه لم يفعل ، فان واجبه هو ألا يسمح لجميع الغرباء بالدخول

سوى هذا الرجل الذى كان الباب مفتوحا له خصيصا ، وكان يجب أن يدعه يدخل ٠

قال الكاهن : ـ انك لا تظهر احتراما كافيا لنص الرواية ، وبذلك تغير من مفهومها ٠ ان الرواية تحتوى على جملتين هامتين للحارس عن الاذن بالدخول الى العدالة ، الاولى أنه لا يستطيع السماح للريفى بالدخول على الفور ، والاخرى أن الباب مخصص للرجل فقط ، فاذاكان هناك تناقض بين الجملتين فان الحارس يكون قد خدع الرجل ، لكنه فى الحقيقةليس هناك من تناقض ، بل ان الجملة الاولى تتضمن فى معناها الجملة الثانية ، بل انه يمكن القول أن الحارس قد تعدى واجبه حين أوحى للرجل باحتمال الاذن له بالدخول فى حين أن واجبه هو أن يرفض دخوله فى ذلك الوقت ، ثم أن هناك من يقولون أن الحارس هو الشخص المخدوع ٠

ـ ان هذا تفسير مستبعد تماما وليس له أساس ٠

ـ أساسه هو سذاجة الحارس ، فانه لا يعرف العدالة من الداخل بل يعرف الطريق الذى يقود اليها فقط ، وهو يخاف من الحراس الاخرين ، وربما كان خوفه أكثر من الريفى نفسه ٠ ولا يمكن للحارس أن يكون قد دخل الى العدالة فانه لم يستطع أن يتحمل مواجهة الحارس الثالث ، ذلك بالاضافة الى أنه لم يشر طوال تلك الاعوام الى أية معرفة له بالداخل ، ومن ثم فهو يظل فى حالة انسان مخدوع ، وفضلا عن ذلك فهو مخدوع أيضا فى علاقته بالريفى دون ان يعرف ، فرغم كل شىء فهو شخص مغلول بالنسبة للريفى الذى يتمتع بالحرية ، فقد كان هذا الريفى حرا حقا فهو يستطيع الذهاب الى حيث يريد وليس من شىء أمامه سوى باب العدالة ، ثم انه حين يجلس أمام الباب يفعل ذلك بمحض ارادته وليس تحت أى

ضغط ، ذلك فى حين أن الحارس مرتبط بوظيفته فى ذلك المكان فلا يستطيع مثلا أن يذهب الى الريف ولايستطيع أيضا أن يدخل الى العدالة حتى لو أراد ذلك ٠

وحيث أن ك ٠ كان ينصت بعناية فقد استطرد الكاهن قائلا :

ـ ورغم أنه يعمل فى خدمة العدالة فان خدمته تقتصر على ذلك المدخل ومن ثم فهو يقوم بخدمة هذا الريفى الذى فتح الباب له ، وعلى ذلك يكون الحارس خاضعا للريفى ، ولقد كان كذلك لمدة طويلة اذ أنه اضطر أن ينتظر الريفى حتى يحضر ، واضطر كذلك أن ينتظره مدة طويلة جدا حتى ينتهى من خدمته التى امتدت بامتداد حياة الريفى ، وقد أصبح بذلك خاضعا له ، ثم أن الحارس لم يكن يعى ذلك طوال الوقت ولذلك فهو مخدوع ، وحين قال فى النهاية « وسوف أغلق الباب بعد أن تذهب » فقد قال ذلك رغم أن الباب المؤدى للعدالة لا يغلق أبدا ، ولقد كانت هناك دوافع كثيرة وراء عبارة الحارس هذه ، فربما قالها لانه اضطر للاجابة على الريفى أو ليؤكد احترامه لواجبه أو ليدفع بالرجل الى الحزن فى لحظته الاخيرة ، لكن على اى حال ليس هناك خلاف على أن الحارس لن يستطيع أن يغلق الباب ٠

قال ك ٠ بعد أن أعاد على نفسه بصوت منخفض بعض ما قاله الكاهن :

ـ هذه أدلة طيبة وأنا أميل للموافقة على أن الحارس هو الذى خدع ، لكن لا تنس أن كون الحارس هو المخدوع لا يسبب له ضررا ولكن كون الريفى مخدوعا سبب له ضررا ماحقا ٠

ـ انى أعترض على هذا فليس لاحد أن يصدر حكما على حارس الباب فانه قبل كل شىء خادم العدالة وهو

بذلك غير خاضع لاى حكم بشرى ، وهو رغم ارتباطه بمركزه عند باب العدالة فهو أكثر حرية من أى شخص فى العالم ، فالناس تطلب العدالة فقط لكن الحارس متصل بها ، والعدالة هى التى وضعته فى مركزه ، وحين نشك فيه نشك في العدالة نفسها ٠

قال ك ٠ وهو يهز رأسه :

ـ اننى لا أتفق معك فى هذا الرأى لاننى لو قبلته فعلى أن أقبل كل ما يقوله الحارس وقد قلت بنفسك أنه من المستحيل على المرء أن يفعـــل ٠

ـ لا ليس من الضرورى أن تقبل كل شىء على أنه صادق ، بل علينا أن نقبله كشىء ضرورى ٠

ـ هذه نتيجة محزنة وهى تكشف عن مبدأ عام عالمى ٠

قال ك ٠ ذلك لينهى الحديث ، لكن هذا لم يكن حكمه الاخير ، فانه بسبب الارهاق الذى يحسه لم يستطع أن يخرج بجميع نتائج القصة ، وكانت الخواطر التى توحى بها الرواية غير عادية بالنسبة له. كانت القصة البسيطة قد فقدت هيكلها الواضح فاراد ان يبعدها عن ذهنه ورغم أن الكاهن لم يكن يوافقه على تعليقه الاخير فقد احترم أفكاره دون ان يتكلم ٠

واستمر الاثنان يذرعان الممر برهة و ك . يسير والمصباح فى يده رغم أنه أنطفأ منذ مدة ، وفى لحظة خاطفة رأى صورة قديس تلمع لكنها سرعان ما اختفت فى الظلام ثانية قال ك . وهو يريد الا يبدو معتمدا على الكاهن كلية :

ـ ألم نصبح بالقرب من الباب الخارجى الان ؟

ـ لا ، اننا أبعد ما نكون عنه ، هل تريد ان تنصرف الان فعلا ؟

ورغم ان ك ٠ لم يكن يفكر فى الرحيل فقد أجاب على الفور .

ـــ بالطبع اننى يجب على ان أذهب فاننى أعمل مساعدا لمدير أحد البنوك وهو ينتظرنى هناك الان ، ولقد جئت فقط كى أصحب صديقا لى من الخارج فى مشاهدة الكاتدرائية ٠

قال الكاهن وهو يمد يده لمصافحة ك ٠ :

ـ حسنا تستطيع ان تذهب ٠

ـ لكننى لن استطيع أن أجد الطريق الى الخارج بمفردى وسط هذا الظلام .

ـــ انعطف الى يسار الحائط ثم سار بجوار الجدار حتى وصل الى الباب .

قال الكاهن ذلك وابتعد عن ك . خطوتين فاضطر ك . ان يصيح

ـ اننى أنتظر

ـ الا تريد منى شيئا الان ؟

ـ لا ٠

ـ لقد كنت تعاملنى برقة لفترة وقد شرحت لى الكثير ، والان تتركنى اذهب وكأنك لا تهتم بى مطلقا ٠

ـ لكنك مضطر للرحيل ٠

ـ نعم ، ولكنك ترى أننى لا اعرف الطريق ٠

ـ عليك ان تدرك أننى لا أستطيع ان أكون سوى كاهن السجن ٠

وتحسس ك . طريقه الى الكاهن ثانية وطرأ فى ذهنه أن عودته الى البنك لم تكن ملحة الى هذا القدر وقال الكاهن .

ـ وهذا يعنى أننى أنتمى الى المحكمة فلماذا اطالبك بشىء أن المحكمة لا تطالبك بشىء فهى تستقبلك عندما تحضر وتلفظك عندما تذهب ٠

الفصل السابع عشر

« الخاتمـة »

في مساء اليوم الذى يسبق عيد ميلاد **ك**. الواحـد والثلاثون جاءه رجلان الى حيث يقطن ، كان ذلك في حوالى الساعة التاسعة فى الوقت الذى يخيم فيه السكون على الشوارع ، كانا يرتديان معطفين سـوداوين فضفاضين وقبعتين عاليتين رسميتين وبعد ان تبادلا المجاملات امام الباب الخارجى فيمن يدخل أولا دخلا الى حجرة **ك** • وهناك تكررت المجاملات مرة أخرى • ودون ان يعرف **ك** • بمجيئهما كان يرتدى حلة سوداء ويجلس فى مقعده المريح الى جوار الباب ويضع قفازه الجديد •• نهض ك. فجأة وأخذ يلقى على الرجلين نظرات فاحصة ثم سأل

ـ هل أنتما المعينان لى ؟

وأحنى احدهما رأسه موافقا وهو يلمس قبعته واعترف **ك** • بينه وبين نفسه أنه كان يتوقع زائرين مختلفين • سار الى النافذة ونظر الى الشارع المعتم حيث كانت معظم النوافذ مغلقة ومظلمة فيما عدا مسكنا واحدا كان الاطفال يلعبون الى جوار نافذته وقال **ك**. لنفسه كى يؤكد انطباعه .

ـ اذن فقد أرسلوا لى ممثلين من الدرجة العاشرة عفا عليهما الدهر فهم يريدون ان يقضوا على بأرخص الاسعار •

والتفت نحو الرجلين بحدة وسأل ،

ـ ماهو المسرح الذى تمثلان عليه ؟

ونظر كل منهما للاخر وكأنه يستوحى منه اجابة على السؤال ثم قال احدهما متعجبا

ـ مسرح ؟

اما ك • فقد قال لنفسه وهو يذهب لاحضار قبعته

ـ انهما غير مستعدين للاجابة على أية أسئلة •

وعلى درجات السلم حاول الرجلان ان يضعا ايديهما تحت ابطه . فقال لهما .

ـ انتظرا حتى نصبح فى الشارع اننا لست مريضا .

لكنهما ما ان أصبحنا فى الشارع الواسع حتى أمسكا بذراعيه بطريقة لم يرها ولم يجربها من قبل فقد التصق كتفاهما بكتفيه ولفا ذراعيهما حول ذراعيه وقد تشابكت أصابع أيديهما بأصابعه وسار ك • بينهما مشدودا بينما تقدم ثلاثتهم وقد كونوا وحدة لا يمكن ان تنفصم ولو ان احدهم سقط فيستيقظ معه الآخران ، كان اتحاد لا يتم الا بين عناصر لا حياة فيها .

وتحت مصابيح الشارع حاول ك • المرة بعد الاخرى أن يرى وجهى رفيقيه بوضوح حيث أن الضوء فى حجرته لم يكن كافيا وفكر وهو يتأمل ذقنيهما فى انهما ربما يكونان عازفى المزمار فى الفرقة ، فقد كانا حليقين الى درجة منفرة وقد بدت آثار الحلاقة على جانب عينيهما •

وحين خطر ذلك لـ ك.توقف فتوقف الرجلان ايضا وكان ذلك فى ميدان مهجور تزينه الزهور قال وكأنه يصيح

ـ لماذا وقع الاختيار عليكما بالذات دون بقية الناس ؟

وكان من الواضح انه لم يكن عند الرجلين جواب لهذا السؤال فقد وقفا وذراعهما الحران متدليان الى جانبهما كما تفعل الممرضات وهن ينتظرن مريضهن حتى يأخذ

قسطا من الراحة .. قال ك . وكأنه يختبرهما .

ـ لن أتقدم معكما أكثر من ذلك .

ولم تكن هناك حاجة للرد فقد اكتفى الرجلان بان شددا قبضتهما على ذراع ك . وحاولا تحريكه الى الامام لكنه أخذ فى مقاومتهما وهو يقول لنفسه « لن اكون بحاجة الى قواى فيما بعد ، وسوف أستخدمها كلها الان » وخطر له منظر الذبابة وهى تطير أمام « مضرب الذباب » حتى تقع لتموت .

وفجأة ظهرت أمامه فراولين بورستنر تصعد درجات سلم يقود الى الميدان من شارع جانبى صغير . لم يكن ك . واثقا من شخصيتها لكن الشبه كان كبيرا وسواء كانت هى فراولين بورسنر أم لا فان ذلك لم يكن ذا اهمية بالنسبة لـــ ك . لكن المهم هو انه ادرك فجأة عدم جدوى مقاومته ، فلم يكن فى هذه المقاومة ما يوحى بالبطولة ثم ان ذلك لن يسفر عن شيء الا ان يجعل مهمة رفيقية أكثر صعوبة وان يتعلق بآخر مظاهر الحياة وهو يمارس النضال .

وما ان بدأ ك . فى التحرك حتى شعر حارساه بالراحة التى مالبث ان أحس بعدواها ، أما هما فقد تركا له اختيار الطريق فتقدم فى الاتجاه الذى سلكته فراولين بورستنر ورغم انه لم يكن يريد ان يتبعها فقد تذكر الدرس الذى خطر له عندما رآها ، الدرس الذى يقول « ان الشيء الوحيد الذى أستطيع ان افعله الان هو أن احتفظ بذكائى فى هدوء حتى النهاية ولقد كنت أحاول ان احصل على كل ما أريد من الحياة دون دافع قوى ، لكن هذا كان خطأ فهل ابدو الان وكأن كفاح عام بأكمله فى قضيتى لم يعلمنى شيئا ؟ وهل أترك هذا العالم كرجل يهرب من نهايات

المسائل؟ وهل سيقول الناس بعد موتى أننى فى بداية قضية أردتها انتنتهى ، وفى النهاية أردتها أن تبدأ ؟ لا لا أريدهم أن يقولوا عنى ذلك ، اننى أشعر بالامتنان لان هذين المخلوقين الغبيين يصحبانني فى هذه الرحلة وقد تركا لى الفرصـة لكى أقول لنفسى ما أريد » .

وفى الوقت نفسه انحدرت فراولين بورستنر فى شارع جانبى ، وهنا تخلى ك • عن تتبعها واستسلم لرفيقيه ، وتقدم الثلاثة فى تناسق كامل يعبرون القنطرة تحت أشـعة القمر ، وحين استدار ك • الى السور استدارا معه ، فى وحدة متماسكه ولمع الماء وهو يضطرب فى أشعة القمر على كلا الجانبين وظهرت الشجيرات والنباتات الكثيفة فى الجزيرة وتحت الشجر •• كانت هناك طرق عبدت بالحصى ـــ وعند كل منحنى مقعد كثيرا ما استراح ك. عليه أثناء الصيف وقال ك • لرفيقيه وهو يشعر بالخجل لتوقفه لحظة

ـ اننى لم أقصد أن أقف تماما •

وبدأ الرجلان وكأن كلا منهما يؤنب الاخرلهذه الوقفة، وأستأنف الثلاثة مسيرتهم فمروا بشوارع شـديدة الانحدار ، حيث كان رجال الشرطة يقفون فى أماكنهم هنا وهناك وقد اقترب أحدهم من المجموعة التى لم يبد عليها الهدوء تماما • وتوقف رجل الشرطة فى مواجهتهم وهم بفتح فمه للحديث ، لكن ك • أسرع يحث رفيقيه على السير • واخذ بعد ذلك ينظر خلفه بين الحين والاخر كى يرى اذا كان رجل الشرطة يتبعهم أم لا • وما ان اختفوا عن انظاره عند احد المنحنيات حتى بدا ك.يعدو باقصى سرعته واضطر حارساه وقد تقطعت انفاسهما الى العدو الى جواره •

وهكذا اصبحوا خارج حدود المدينة بسرعة ووجدوا أنفسهم بين الحقول المفتوحة ، وأمامهم كان هناك محجر قديم مهجور الى جوار بيت ريفي هادىء • وهنا توقف الرجلان ولم يعرف ك • اذا كان هذا المكان هو الذى يقصدانه أم أنهما توقفا بسبب الاجهاد وخفف الرجلان قبضتيهما على ك • الذى وقف ينتظر فى غباء وما ان خلع الرجلان قبعاتهما حتى أخذا يتفحصان المحجر وهمـا يجففان العرق الذى كان يتصبب من جبهتيهما فى حين كان القمر يرسل أشعته بوقار لتضىء كل شىء •

وبعد ان تبادل الرجلان مجاملات أخرى بشأن من يسبق الاخر في تنفيذ الواجب التالى وقد بدا أنكلامنهما منوط به واجبات معينة في المهمة الموكولة اليهمامعافقد تقدم أحدهما من ك • وخلع معطفه وسترته ثم قميصه وكانت نتيجة ذلك أن بدأ ك.يرتجف بشدة دون ارادة منه فى حين ربت أحد الرجلين على كتفه يطمئنه ثم أخذ الرجل يطوى الملابس بعناية وكأنه سوف يستعملها فى المستقبل • وكى لا يترك ك • معرضا لنسمة هواء المساء الباردة فقد أمسك به من ذراعه وأخذ يسير به جيئة وذهابا بينما كان رفيقه يتفقد المحجر ليجد المكان المناسب وحين عثر على بغيتهأشار لرفيقه الذى قاد ك. الى ذلك المكان.كانت قطعة فضاء مربعة صغيرةالى جوارصخرة مستوية وحمل كلاهما ك • على ان يجلس وظهره الى الصخرة وقد استقرت رأسه عليها تماما ورغم المتاعب التى تجشماها بسبب رفض ك • للامتثال لهما فقد ظل مظهر ك • الخارجى غير عادى ولهذا فقد طلب احد الرجلين الى الاخر ان يترك ك • ليتخذ الوضع المناسب لما سيفعلانه ثم اخرج احدهما سكين جزار ذات حدين من

تحت سترته كانت فى جراب من الجلد ، أخرجها الرجل واخذ يتفحص نصلها فى ضوء القمر.مرة أخرى بدأت المجاملات بين الرجلين ، وكل منهما يناول الاخر السكين الحاد أمام عينى ك • ، ولما تكرر ذلك عدة مرات أصبح من الواضح لـ ك.أن المفروض ان يمسكها هو أثناء تنقلها من يد لاخرى أمامه ويغرسها فى صدره.لكن ك . لم يفعل ذلك بل أخذ يحرك رأسه ـ وما تزال حرة ـ ليحدق فيما حوله ، لم يستطع ان يرتفع الى مستوى الموقف فهو لا يقدر أن يريح الموظفين منواجبيهما ، وفكر فى ان مسئولية فشله الاخير تقع عليهما لانهما لم يتركا له القوة الضرورية لتنفيذ العمل الكبير ، ووقعت أنظاره على البيت ذى الطابق الواحدالملحق بالمحجر وفجأة فتحت نافذة خرج منهاضوء خافتوفىهذاالضوء شاهدك.شبح انسان نحيل ينحنى على حافة النافذة وقد فتح ذراعيه ، وتساءل ك.من هو هذا الشخص ؟ هلهو صديق ؟ هل هو انسان طيب ؟ هل هو شخص يواسيه فى كربه ؟ هل الشـبح لشـخص واحد ؟ أم هل هم كثيرون ؟ هل ينتظـر منـه مسـاعدة ؟ هـل قدم أحـدهم أدلة فى صالحه لم ينظر فيها من قبل ؟ نعم يجب ان يكون الامر كذلك.أن المنطق لا يمكن تغييره دون شك لكن المنطق لا يستطيع أن يصمد أمام رجل يريد أن يعيش .

اين هو المحامى الذى لم يره مطلقا ؟ اين هى المحكمة العليا الذى لم يستطع مطلقا ان يصل اليها ؟ ورفع ذراعيه ويديه وابعد مابين أصابعه •

لكن يد أحد رفيقيه اسرعت بالاطباق على رقبته بينما الاخر يغرس السكين فى قلبه ويديره مرة واثنتين .
واستطاع ك • وهو يغيب عن الوعى ان يرى الرجلين

وصدغ احدهما الى جوار الاخر أمام وجهه مباشرة يشاهدان المنظر الاخير ، ولفظ ك • آخر انفاسه وهو يقول :

ـ هاأنا أموت مثل كلب حقير •

وكأنما أراد بذلك ان يخلد العار الذى لحق بالبشرية •

تمت

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٠ / ٢٩٣٥

مطابع الأهرام التجارية